

د. زينب صالح الأشوح

اقتصاديات الوقت

دراسة مقارنة بين الفكر الوضعي والفكر الإسلامي

اقتصاديات الوقت

دراسة مقارنة بين
الفكر الوضعي والفكر الإسلامي

الدكتورة

زينب صالح الأشوح

أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد – كلية التجارة "بنات"

جامعة الأزهر

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣))

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

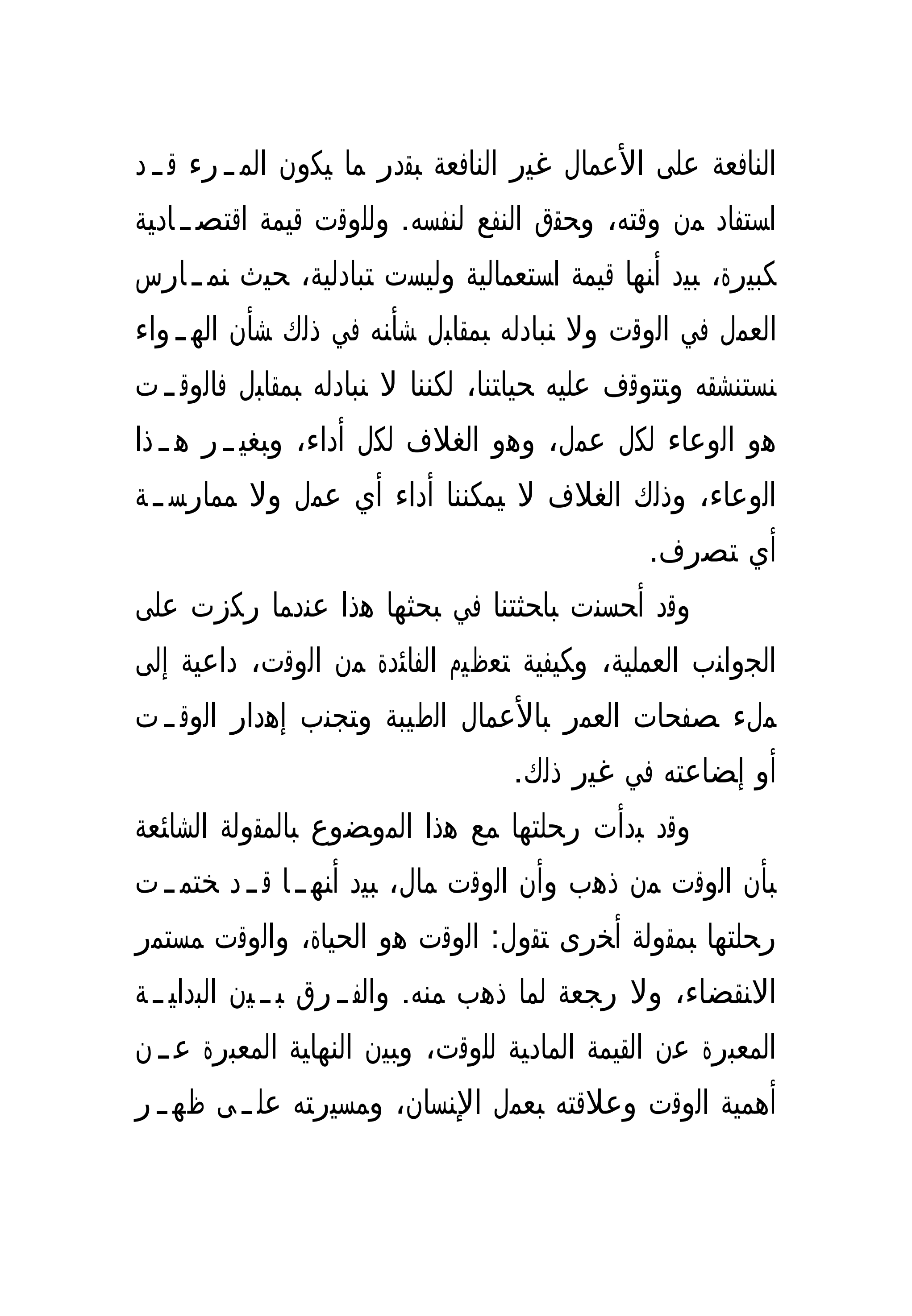
تقديم

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الحليم عمر

مدير المركز

الحمد   والصلاة والسلام على سـيدنا رسـول ا وآله وصحبه ومن والاه.. وبعد

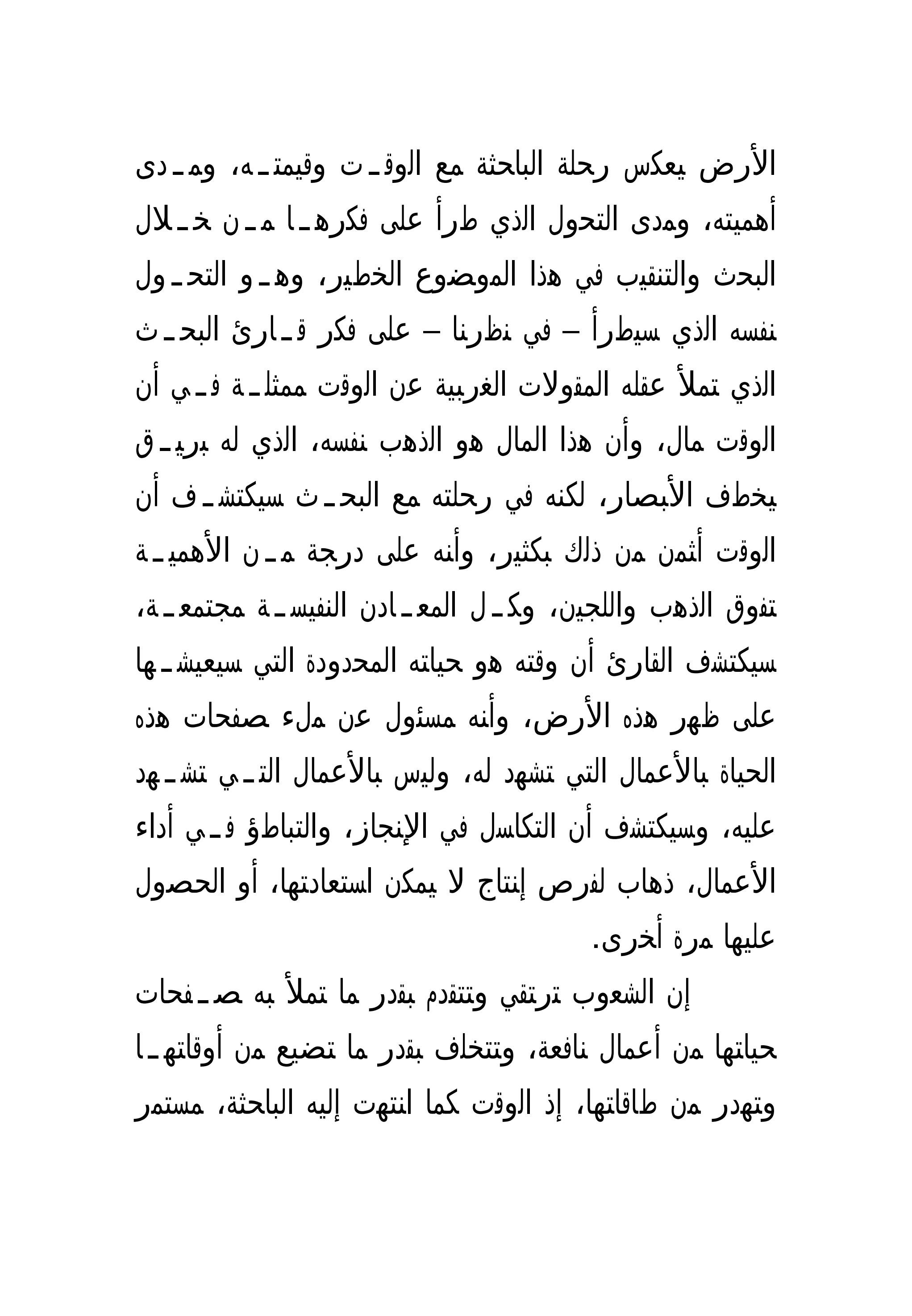
فإن الوقت أو الزمن، ومرور الإنسـان أو مـروره بالإنسان، قضية فلسفية ومعقدة، حار فيها الفكر الفلسفي قديما وحديثًا، وإذا كنا قد أمرنا بأن ننشغل بما يفيدنا، وأن نركـز على ما ينفعنا، فإن علاقتنا بالوقـت أو الـزمن ينبغـي أن تنصب على ما نستطيع أن نفعله خلال هذا الوقت الذي منحه كل فرد منا، ألا وهو المدة المحددة المعروفة بالعمر، والذي ينبغي على العاقل أن يملأها بالأعمال النافعة، وأن يجنبهـا الأعمال الضارة. ذلك أن الوقت هو الوعاء الـذي يحتـوي أعمالنا كلها، النافع منها وغير النافع، وبقدر ما تربو الأعمال



النافعة على الأعمال غير النافعة بقدر ما يكون المـرء قـد استفاد من وقته، وحقق النفع لنفسه. وللوقت قيمة اقتصـادية كبيرة، بيد أنها قيمة استعمالية وليست تبادلية، حيث نمـارس العمل في الوقت ولا نبادله بمقابل شأنه في ذلك شأن الهـواء نستنشقه وتتوقف عليه حياتنا، لكننا لا نبادله بمقابل فالوقـت هو الوعاء لكل عمل، وهو الغلاف لكل أداء، وبغيـر هـذا الوعاء، وذلك الغلاف لا يمكننا أداء أي عمل ولا ممارسـة أي تصرف.

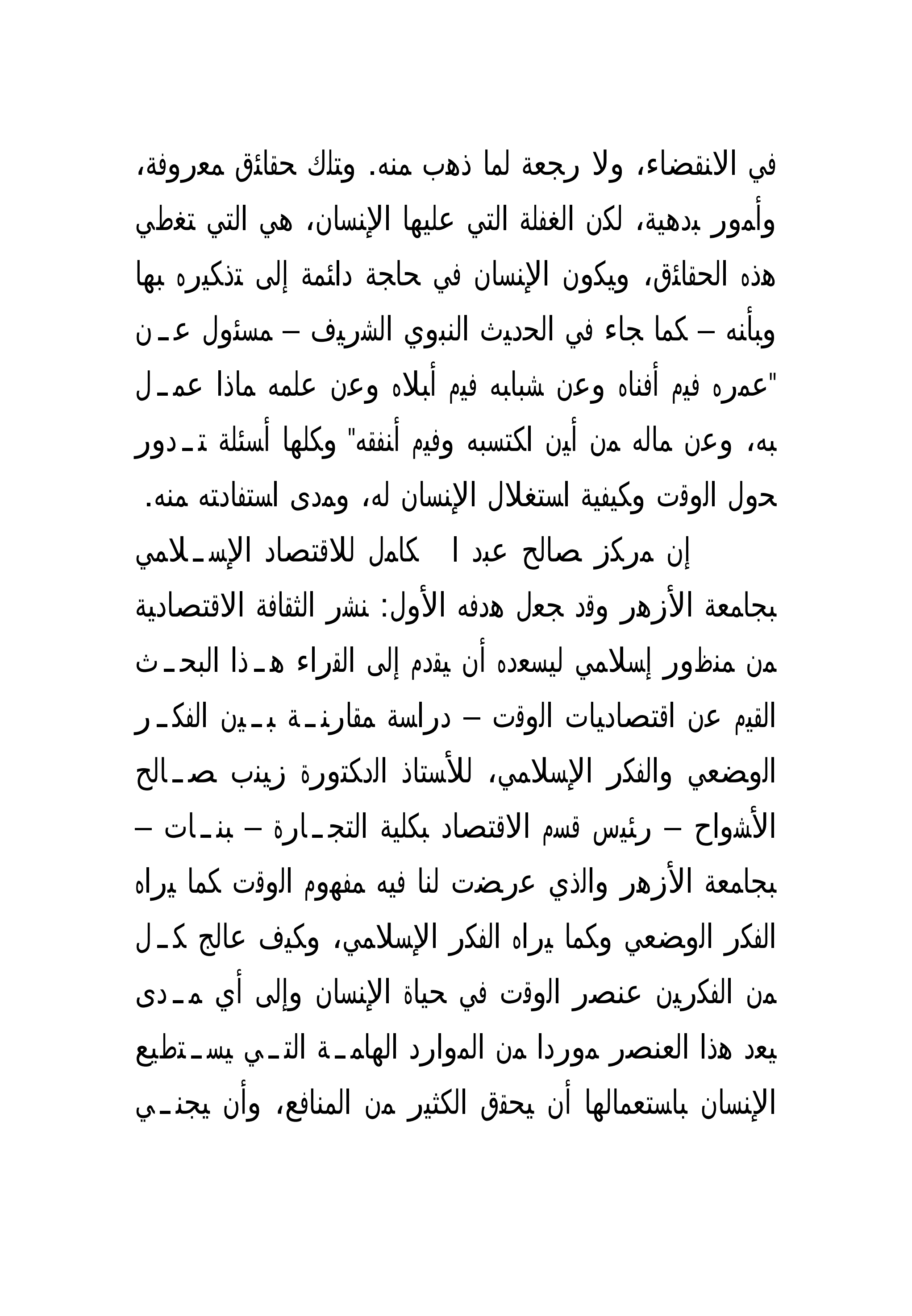
وقد أحسنت باحثتنا في بحثها هذا عندما ركزت على الجوانب العملية، وكيفية تعظيم الفائدة من الوقت، داعية إلى ملء صفحات العمر بالأعمال الطيبة وتجنب إهدار الوقـت أو إضاعته في غير ذلك.

وقد بدأت رحلتها مع هذا الموضوع بالمقولة الشائعة بأن الوقت من ذهب وأن الوقت مال، بيد أنهـا قـد ختمـت رحلتها بمقولة أخرى تقول: الوقت هو الحياة، والوقت مستمر الانقضاء، ولا رجعة لما ذهب منه. والفـرق بـين البدايـة المعبرة عن القيمة المادية للوقت، وبين النهاية المعبرة عـن أهمية الوقت وعلاقته بعمل الإنسان، ومسيرته علـى ظهـر



الأرض يعكس رحلة الباحثة مع الوقت وقيمته، ومدى أهميته، ومدى التحول الذي طرأ على فكرها من خلال البحث والتنقيب في هذا الموضوع الخطير، وهو التحول نفسه الذي سيطرأ – في نظرنا – على فكر قارئ البحث الذي تملأ عقله المقولات الغربية عن الوقت ممثلة في أن الوقت مال، وأن هذا المال هو الذهب نفسه، الذي له بريق يخطف الأبصار، لكنه في رحلته مع البحث سيكتشف أن الوقت أثمن من ذلك بكثير، وأنه على درجة من الأهمية تفوق الذهب واللجين، وكل المعادن النفيسة مجتمعة، سيكتشف القارئ أن وقته هو حياته المحدودة التي سيعيشها على ظهر هذه الأرض، وأنه مسئول عن ملء صفحات هذه الحياة بالأعمال التي تشهد له، وليس بالأعمال التي تشهد عليه، وسيكتشف أن التكاسل في الإنجاز، والتباطؤ في أداء الأعمال، ذهاب لفرص إنتاج لا يمكن استعادتها، أو الحصول عليها مرة أخرى.

إن الشعوب ترتقي وتتقدم بقدر ما تملأ به صفحات حياتها من أعمال نافعة، وتتخلف بقدر ما تضيع من أوقاتها وتهدر من طاقاتها، إذ الوقت كما انتهت إليه الباحثة، مستمر



في الانقضاء، ولا رجعة لما ذهب منه. وتلك حقائق معروفة، وأمور بدهية، لكن الغفلة التي عليها الإنسان، هي التي تغطي هذه الحقائق، ويكون الإنسان في حاجة دائمة إلى تذكيره بها وبأنه – كما جاء في الحديث النبوي الشريف – مسئول عـن "عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن علمه ماذا عمـل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه" وكلها أسئلة تـدور حول الوقت وكيفية استغلال الإنسان له، ومدى استفادته منه.

إن مركز صالح عبد ا كامل للاقتصاد الإسـلامي بجامعة الأزهر وقد جعل هدفه الأول: نشر الثقافة الاقتصادية من منظور إسلامي ليسعده أن يقدم إلى القراء هـذا البحـث القيم عن اقتصاديات الوقت – دراسة مقارنـة بـين الفكـر الوضعي والفكر الإسلامي، للأستاذ الدكتورة زينب صـالح الأشواح – رئيس قسم الاقتصاد بكلية التجـارة – بنـات – بجامعة الأزهر والذي عرضت لنا فيه مفهوم الوقت كما يراه الفكر الوضعي وكما يراه الفكر الإسلامي، وكيف عالج كـل من الفكرين عنصر الوقت في حياة الإنسان وإلى أي مـدى يعد هذا العنصر موردا من الموارد الهامـة التـي يسـتطيع الإنسان باستعمالها أن يحقق الكثير من المنافع، وأن يجنـي

الكثير من الثمرات، وكيف أنه بعدم اســتعمالها وبإضــاعتها يفوت على نفسه الكثير من الفرص ويفقد الكثير من المنافع، داعية إيانا إلى حسن الاستفادة من الوقت، وتحقيــق المنــافع منه، ودفع المضار أيضا.

إن المركز إذ ينشر هذا البحث ليشكر للباحثة جهدها، ويرى في التوصيات التي قدمتها الكثير مــن الفائــدة، وأن تمثلها في حياتنا كفيل بزيادة انتفاعنا من أوقاتنا التي منحناها من ربنا سبحانه وتعالى.

وإذ نشكر لها ذلك فإننا ندعو لها بأن يكون عملها في ميزان حسناتها، ومالئًا لصفحات من حياتها بالعمل الصــالح إنه ولي ذلك، وهو ولي التوفيق.

مدير المركز

أ. د/ محمد عبد الحليم عمر

مقدمة

الوقت كالسيف إن لم تقطعه، قطعك؛ الوقت من ذهب؛ الوقت مال Time is Money؛ لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد؛ كلمات وعبارات مأثورة تم تواردها عبر الأجيال والأمكنة والأزمان مما يدل على ما للوقت من أهمية قصوى لدى الناس حتى للعامة منهم. ولقد ازدادت أهمية الوقت والنظر إليه كعنصر اقتصادي وكمعيار تقييمي بالغ الأهمية خاصة في الآونة الأخيرة التي تشهد مراحل تحول تاريخي عالمي عبر سلسلة من التغيرات المستمرة، المتلاحقة، اللاهثة التي تتطلب من الإنسان لكي يتمكن من بقائه في ظل ذلك الطوفان المتلاحق من المتغيرات أن يتمتع بنمط سلوكي مستحدث يقوم على التكيف الآني، بل اللحظي مع كل ما يحيطه من متغيرات ومستجدات.

وعلى الرغم من الأهمية البالغة لعنصر الوقت كعنصر اقتصادي متشعب المضامين والآثار والمدلولات، فإنه لم يحظ بعد بالاهتمام التحليلي المتعمق الكافي والملائم لأهميته التي لاشك في أنها بلغت مستوى الأهمية

(المصيرية) في وقتنا الحاضر ذي المتغيرات الطائرة المتلاحقة تباعا، تباعا، وإن حدث وتم تناول الوقت بالدراسة وبالتحليل، فعادة ما يكون ذلك ضمن مواضيع أخرى رئيسية، أو يتم ذلك بالتركيز على وقت "الفراغ" Leisure Time الذي يقره الاقتصاديون الوضعيون ويركزون على اعتباره وقتًا للراحة وللاسترخاء ولممارسة كل أنواع اللهو والهوايات الشخصية مع فصله التام عن بقية وقت الإنسان الذي يقضيه أو يجب أن يقضيه في الدراسة أو العمل أو ما شابههما من الأعمال الجادة.

فإذا ما انتقلنا إلى الجانب الإسلامي ذي القواعد العلمية الراسخة، فسوف نجد صورة مختلفة في معالجة الوقت وربط السلوك البشري بذلك العنصر. فالوقت في الإسلام شيء مقدس حتى أن ا تعالى أمر بعدم سب الدهر وذلك كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا الدهر، فإن ا هو الدهر" (مختصر مسلم، ١٨١٤). كما أن الإسلام لا يقر الفصل بين وقت العمل ووقت الفراغ، حيث اعتبر أن وقت الفراغ هو نعمة يتيحها ا للإنسان كي يقوم خلاله بأعمال أخرى مختلفة؛

جزء منها يتمثل في العبادات التي تساعد على صيانة طاقته الروحية وشحنها المستمر، وجزء آخر يتمثل في أعمال الخير التي تضمن احتفاظه بوضع اجتماعي وإنساني طبيعي، وجزء ثالث يتبع الإنسان فيه كل ما يستطيع من طرق ووسائل لتجديد نشاطه وإراحة جسده وعقله المنهكين (بنية) العودة الفورية حال الاستعداد والتمكن من الاستمرار في القيام بأعمال المعيشة والعبادات المطلوبة، وذلك – على سبيل المثال – باللجوء إلى النوم، أو المكوث في حالة تأمل وتدبر في ملكوت ا .. وهكذا.

الواقع أن الوقت عنصر اقتصادي مثير، يستحث العقل على محاولة تتبعه والتعرف على مدى تأثيره على حياة الإنسان المعيشية والاجتماعية أيضا. ويصبح الأمر أكثر إثارة وأكثر تحفيزا للبحث والتقصي حين يلاحظ التباين الواضح بين المنظور الإسلامي لذلك العنصر وكيفية توجيهه له من ناحية، وبين نظرة الاقتصاد الوضعي لذات العنصر وكيف قام بمعالجته وتحليله.

وبناء على ما تقدم، نود تقديم تلك الدراسة في محاولة للوقوف على المنظور الوضعي لعنصر الوقت وكيفية

معالجته والتعامل معه، ثم الاسترشـاد بالهـدي الإسـلامي المثالي في ذلك الصدد. ومن خلال النظرة المقارنـة لبحـث ودراسة عنصر الوقت من المنظورين الوضعي والإسلامي، ستتم محاولة الخروج بـبعض القواعـد والمبـادئ العامـة المستنبطة من خلال تلـك الدراسـة المقارنـة، والمدعمـة بالنصوص وبالتوجيهات الشرعية الصحيحة، والتي يؤمل أن تمثل خطوات على طريق متواصل يمكـن أن يسـاهم فيـه باحثون آخرون ببعض لبناتهم ومقترحاتهم العلمية فـي ذات المجال بحيث ينتهي بإرساء دعائم راسخة لنظرية إسـلامية واضحة المعالم حول كيفية تعظيم الإنسان لمنفعته النهائية من الوقت المتاح له طيلة حياته اليومية بشـكل جزئـي (علـى اعتبار أن الإنسان سيموت في أي لحظة)؛ وإجمالي (علـى افتراض أن الإنسان سيعيش أبدا).

وسوف تتم المحاولة الجارية- على ضوء ما سبق – من خلال ثلاثة فصول حيـث يبـدأ أولاً بفصـل تمهيـدي لتوضيح مفهوم الوقت والتحديد الإجمالي لأبعاده في المنظور الوضعي أولاً (باعتباره المنظـور البشـري المبـدأ الأقـل مصداقية)، ثم في المنظور الإسـلامي (باعتبـاره المرجـع

النهائي الذي لا شك فيه بحكم مصدره الإلهي)؛ ثم يتم الانتقال إلى فصل تالٍ يتناول تفصيلاً لكيفية معالجة المنظور الوضعي لعنصر الوقت؛ يليه فصل ثالث يتناول المنظور الإسلامي النموذجي لذات العنصر؛ ثم تختتم الدراسة بعرض بعض التصورات المقترحة التي تم استنباطها مما سبق عرضه وتحليله حول الوقت، على أمل أن تساعد تلك المقترحات في إرساء دعائم راسخة لنظرية تعظيم المنفعة الزمنية مع الاسترشاد بالتوجيهات الإسلامية النموذجية.

الفصل الأول :

الوقت كمفهوم لغوي وعلمي

من المنظورين الوضعي والإسلامي

مقدمة:

الوقت كلمة دارجة يشيع تواردها على الألسنة بدون التأمل فيما تتضمنها تلك الكلمات من معانٍ وأبعاد عميقة ذات دلالات متعددة. وسوف يلاحظ من العرض الموجز التالي أن الوقت يحتل مكانة أكثر أهمية ورسوخًا في دائرة الاهتمـام الإسلامي، على الرغم من أنه يحظى أيضا باهتمـام العلـوم الوضعية – ومن بينها علم الاقتصاد – ولكن ذلك الاهتمـام يحدث بشكل مختلف وبتوجيه مغاير.

١/١ : المفهوم اللغوي للوقت Time وبعض مرادفاته ومشتقاته:

يعرف الوقت في قواميس اللغة العربيـة (المعجـم الوسيط كمثال، ص ١٠٤٨)، على أنه "مقدار من الزمان قدر لأمر ما". حيث يعرف الزمان بدوره (المرجع السـابق، ص ٤٠١) على أنه الوقت قليله وكثيره؛ أو مـدة الـدنيا كلهـا؛ أو فترات زمنية مصنفة كأن يقال – على سبيل المثال – أن السنة أربعة أزمنة: أي أقسام وفصول. ومن مشتقات كلمـة الوقت شائعة الاستخدام نجد كلمة "الميقات" التي تعني الوقت المضروب للفعل أو الموعد الذي جعل له وقتًا (ومن الأمثلة على استخدامات تلك الكلمة مواقيت الحج لمواضع إحرامهم). وهناك أيضا الفعل "وقت" ويعني جعل له وقتًا يفعل فيه شيء ما (مثل قوله: وقت ا الصلاة: أي "حدد لها وقتًـا". كمـا تستخدم كلمة أخرى مشتقة هي "الموقت" وذلك للدلالة علـى من يراعي الأوقات والأهلة. ومن أهم الكلمات المتعلقة بكلمة الوقت والتي سيتضح لنا بعد قليل مدى ما تبلغه تلك الكلمـة من أهمية (تقديسية) قصوى، هي كلمة "الدهر" وهي تعنـي

لغويا (المرجع السابق ص٢٩٩): مدة الحياة الـدنيا كلهـا، أو الزمان الطويل، أو الزمان قلّ أو كثر... إلخ.

ومما سبق يمكن أن يتضح أن الوقت هو جزء مـن الزمان أو أنه يمثل الوحدة الأساسـية لتكوينـه الإجمـالي، والزمان هو الدهر أو جزء من الدهر أما الدهر فهـو يمثـل تلك الكلمة بالغة القدسية التي كثيرا ما نسيء نعتها ولا نقدر كنهها حق قدرها المقدس وهنا نبهنـا ا عـز وجـل إلـى خطورة الإساءة إلى تلك الكلمة من خـلال حـديث نبـوي صحيح. فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قـال: "لا تسـبوا الدهر، فإن ا هو الدهر" (مختصر مسلم، ١٨١٤).

وفـي القـواميس الإنجليزيـة (مثـال المـورد، The Concise, P ٩٧١, ١١٧٧) نجد أن الوقت يمكن أن يشير للدلالة على وقت الفراغ؛ أو الوقت المناسب؛ أو زمن؛ أو عصر؛ أو فترة معينة من زمن ماضٍ أو حاضر أو فصل أو موسم، كما يمكن أن يستخدم للدلالة على نسبة السرعة في إنجاز حركة أو سلوك ما (مثل السير نحو الكـلام)، وهـو يستخدم للإشارة إلى نقطـة زمنيـة معينـة مثـل السـاعة أو الدقيقة.. وبالتالي فيمكن أن تشير تلك النقطة الزمنية أيضا

إلى الفيمتو ثانية التي تم اكتشافها مؤخرا كأصغر جزء من مكونات الوقت. ولقد قدم قاموس Concise مفهوما أكثر تحديدا ومنطقية للوقت فأوضح أنه يمثل العلاقة العامة لأسلوب حياة Existence يتم اتباعه على التوالي أو التتابع أو التعاقب، كما يمكن أن يعبر عن (دورية) أو (استمرارية) الحياة التي يتم النظر إليها من خلال فواصل زمنية محددة، ويمكن أيضا أن يدل الوقت على فترة معينة تتسم بأحداث معينة، أو بسلوكيات بشرية بينها... إلخ.

Time is the general relation of sequence or continuous or successive existence, duration or continuous or successive existence, duration or continuous existence regarded as divisible into portions of periods, a particular portion of this, a period characterized by certain events, persons, manners, etc.

(وهناك أيضا مزيد من التوضيحات التفصيلية الإضافية للوقت في: ص ١١٦٦ The Concise).

٢/١: مفهوم الوقت في الدراسات الاجتماعية المتخصصة:

الواقع أن الوقت ينظر إليه في الدراسات الاجتماعية التي تتناوله بشكل مختلف بعض الشيء عن طبيعته المجردة التي تمت الإشارة إليها في التوضيح اللغوي العام لمفهومـه. فهو في تلك الدراسات ينظر إليه كمورد أو كسلعة أو كنـوع من الأموال أو كشكل من الممتلكات. ولقد ارتبطت الـرؤى المختلفة لذلك العنصر المعني وتوصيفها له بما تتصف بـه هذه الدراسات من طباع وبما تتسم به من اتجاهات.

ففي إحدى الدراسات التي تركزت تحليلاتها بشـكل إجمالي حول إدارة الوقت (دايل تيمب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١١) تم اعتبار الوقت على أنه "سلعة فريـدة أعطيـت بالتساوي لكل فرد بغض النظـر عـن العمـر أو الموقـع" وأوضحت الدراسة المذكورة أهمية تلك السلعة الزمنية فـي حياة الإنسان وبالتالي أهمية استخدامها بشكل رشـيد وذلـك بالإشارة إلى أن الوقت يسير دائما بسرعة محـددة وثابتـة، وبأن وقت الإنسان دائما غير كافٍ لتحقيق كل ما يرغب فيه،

وبأنه مستحيل أن يخلق الإنسان وقتًا إضـافيا للمتـاح لـه، وبالتالي فعليه المحافظة على ذلك الوقت المخصص له.

وفي دراسة أخـرى علـى درب متشـابه، (ليلـى عبد الجواد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٠) أشـير إلـى أن الوقت "ينفق ولا يكتسب" وأنه كالمال إن لم ينفق في استثمار إيجابي وفعال، فسوف يهدر ويتبدد.

كما اعتبر الوقت "سلعة نادرة في المجتمع" وبـرغم ندرتها فإن المجتمعات الصناعية الكبرى أصبحت تعاني من مشكلة "تلوث الوقت" نتيجة لعـدم اسـتغلال ذلـك الوقـت بالأسلوب الصحي المثالي (علا أنور، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٤١).

وفي توصيف متقـارب، تتفـق آراء الاقتصـاديين "شـارب وهارولد فوجيل" على اعتبار الوقت موردا نـادرا A scarce resource. ولكن العالم الأخير أعلـن تحفظـه نتيجة لتجاهل ذلك العنصر الاقتصادي الهام ولعـدم تناولـه بالتحليل المتعمق في الدراسـات الاقتصـادية المتخصصـة وأوضح مثالاً على ذلك التجاهل الخاطئ بأنه لم يؤخـذ فـي الاعتبار كأحد عوامل الإنتـاج التـي تتضـمنها النظريـة

الاقتصادية بجانب العوامل التقليدية من أرض وعمل ورأس مال وتنظيم كما أنه لم تتم دراسته كأحد مدخلات أي عملية إنتاجية ولا كأحد مخرجات تلك العملية (هارولد فوجيل، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٥).

هذا، وهناك معلومة طريفة حول تعريف الوقت من المنظور العلمي؛ حيث ينظر العلماء إليه على أنه يمثل الجزء المتحرك للعنصر المكاني والبعد الرابع له (على اعتبار أن هناك ثلاثة أبعاد أخرى ثابتة للعنصر المكاني وهي: العرض والطول والعمق).

والواقع أننا قمنا بمسح واسع للنظريات والدراسات الاقتصادية القديم منها والحديث، وقد تأكدت لنا تلك الحقيقة. وقد لوحظ أن الوقت يمكن أن تتضمنه بعض من تلك النظريات أو الدراسات، ولكن باعتباره أحد المعطيات as a given، أو يستخدم كعامل مساعد في عمليات التصنيف والتحليل والقياس إلى آخره من الاستخدامات التي لا تجعل من الوقت محورا رئيسيا لدراسات اقتصادية قائمة عليه بالتخصيص، ولا ركنًا من أركان أي نظرية اقتصادية متخصصة. ومن أكثر الأمثلة وضوحا على ذلك نظريتا

العرض والطلب. فنظرية الطلب – على سبيل المثال – تحدد مجموعة من المتغيرات المستقلة التي تـؤثر علـى الكميـة المطلوبة من السلعة وهي أسعار السلع المكملـة، وأسـعار السلع البديلة وأذواق المستهلكين ودخولهم، ولم تأخذ عنصـر الوقت في الاعتبار ضمن تلك المتغيـرات المسـتقلة بـرغم أهميته في ذلك الصدد ولكنها اعتبرته فاصلاً تمييزيـا بـين تغير الكمية المطلوبة (في الأجل القصير)، وتغير الطلب (في الأجل الطويل). مع أن الوقت يمكن أن يلعب دوره اللحظـي في التأثير على الكمية المطلوبة من سلعة ما. فمثلاً الكميـة المطلوبة من فاكهة الشتاء تزيد وقت الشتاء (لأنـه الوقـت الطبيعي لزراعتها) وتقل وقت الصيف (تخوفًا مـن الآثـار الصحية الضارة لها لاستخدام كيماويات وهرمونات ضـارة لزراعتها في غير أوانها). وكذلك فالكميـة المطلوبـة مـن الأدوات المدرسية تزيد في وقت الدراسة وتبلغ ذروتها وقت الامتحانات وتتدنى في وقت الإجـازات الدراسـية خاصـة الطويلة منها.

٣/١: التصنيف الزمني للوقت:

من التصنيفات الشائع استخدامها ومعرفتها لدى كـل البشر فيما يتعلق بعنصر الوقت الذي اتضح لنا سـابقًا أنـه يمثل المكون الأساسي للزمان – تلك التي تقوم على تصنيف أساسي للعام وتقسيمه إلى اثني عشر شهرا – بحيـث كلمـا انقضى آخر تلك الأشهر الاثني عشر، يكون ذلـك إعلانًـا ودلالة على انقضاء عام منصرف وإضافته إلى رصيد عـد السنوات التي تمر مرورها من زمن تاريخي معـين، وبـدأ مولد عام جديد ينتظر انتهاء عمره في آخر شهوره الاثنـي عشر لينضم إلى ما قبله من رصيد وهكذا. ومن الملاحظ أن تلك الصورة تنطبق على كل جهات العالم برغم ما يكتنفهـا من تنوعات شديدة في اللغة وفي الثقافـات وفـي العـادات والتقاليد ودرجات التقدم أو التخلف إلى آخره ممـا يصـعب عده وحصره في ذلك المقام. إلا أن مثل تلك الاختلافات، قد لعبت – في الواقع – دورا هاما في تنوع (مسميات) التقسيم السنوي للأشهر الاثني عشر، ذات العدد الثابت فـي جميـع الأحوال. والتي تحتفظ دوما بهيئتها الأساسية كعدد إجمـالي لأشهر يتم تواترها كل عام بنفس الترتيـب، وبحيـث يبلـغ

متوسط عدد أيام الشهر الواحد (الممثل لوحدة تكوين العـام) ثلاثين يوما. يزيد يوما في بعض أشهر أحـد التصـنيفات، أو يقل يوما في تصنيف آخر لتلك الأشهر، وكمثال على ذلك نجد أن هناك (التاريخ الهجري) الـذي يقـوم علـى بدايـة التصنيف السنوي منذ حدوث هجرة النبي ﷺ مع أصحابه من مكة إلى المدينة، والشهر من أشهر العام الهجري يبلـغ إمـا ٣٠ يوما أو ٢٩ يوما، وكذلك فهناك (التاريخ الميلادي) الذي يقوم على بداية التصنيف السنوي من وقت ميلاد المسيح عليه السلام وهنا تبلغ أيام الشهر ٣١ يوما أو ٣٠ يوما، وفي حالة شـهر فبراير فقط يحدث اختلاف يخرج بنا من قاعـدة التصـنيف اليومي فتارة يكون ٢٨ يوما وأخرى يصبح ٢٩ يوما، وهناك أيضا تصنيفات أخرى مثل الأشهر القمرية وغيرها. ولكننا لا نريد الاستفاضة فيما يعرضنا للخروج عن محور الاهتمـام الأساسي المتعلق بالجانب الاقتصادي.

غير أن هناك معلومة بالغة الأهمية، لابد من ذكرها قبل الانتقال إلى موضع جديد من الدراسة وهـي أن أسـاس ذلك التصنيف الزمني هو من مصدر واحد بإرشاد مـن ا سبحانه وتعالى وبتوجيه منه سبحانه وهو ما يفسر كيـف أن

التشابه في إجرائه برغم تباين القائمين عليه من البشر لم يكن شيئًا عفويا، وإنما هو يحدث بشكل فطري طبيعي. ونسـتدل على ذلك بالحديث الشريف الذي يوضح لنا أن ا سـبحانه وتعالى يوم خلق السموات والأرض، أنزل التقـويم الزمنـي الذي سوف يتبع في الأرض (بهيئة) معينة لا يمكن للبشر أن يستطيعوا تعديلها أو تغييرها وهي تقوم على أن عدة الشهور اثنا عشر شهرا، جعلها ا سبحانه وتعالى لعباده منذ لحظـة اكتمال خلق السموات والأرض، وأعطاها مسـميات أشـهر السنة الهجرية التي نتعامل بها الآن والتي تسير على ترتيب واحد هو: المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثاني، رجب، شعبان، رمضـان، شـوال، ذو القعدة، ذو الحجة. فعن أبي بكر نُفَيع بن الحارث ﵁ عن النبي ﷺ قال: "إن الزمان قد استدار كهيئـة يـوم خلـق ا السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، ذو الحجة، والمحـرم؛ ورجـب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هـذا؟ قلنـا: ا ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: "أليس ذا الحجة؟" قلنا: بلى. قال: "فأي بلد هـذا؟" قلنـا: ا

ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس البلدة؟" قلنا: بلى. قال: "فـأي يـوم هـذا؟" قلنـا: ا

ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال:
"أليس يوم النحر؟" قلنا: بلى. قال: "فإن دمـاءكم وأمـوالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمـالكم، ألا فـلا ترجعوا بعدي كفارا بضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلـغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له مـن بعض من سمعه" ثم قال: "ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟" قلنا: نعم. قال: "اللهم اشهد" (متفق عليـه، ريـاض الصـالحين، جـ ١، ١١/٢١٣، ص ٧٦٥). ومـن المعـاني الواجـب توضيحها في ذلك الحديث لأهميتها الخاصة أن ا سـبحانه وتعالى قد (شرع) الزمان (بهيئة) معينة تتكون من اثني عشر شهرا منها أربعة أشهر (حرم) أي يحرم فيها القتال وذلك منذ خلق ا سبحانه السموات والأرض. ولكن الناس فـي أيـام الجاهلية كانوا يغيرون ويبدلون في تلـك الأشـهر فيحلـون الحرام ويحرمون الحلال بجعل الأشهر الحرم فـي أشـهر أخرى، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشـهر الحـلال،

ولكن إرادة ا اقتضت أن يستعيد الزمان بدورانه – هيئته التي أراد ا أن يكون عليها – بحيث عادت الأشهر الحرام لوضعها الطبيعي (رياض الصالحين، جـ ١، ص ٧٦٥).

وبوجه عام، فإننا يمكن أن نخرج من ذلك الحديث الشريف بمعلومة أخرى بالغة الأهمية وهي أن الأشهر المذكورة فيه لا تمثل فقط التاريخ الهجري كما يسود الاعتقاد بين الناس، ولكنها أيضا تمثل التصنيف الزمني السنوي منذ بدء الخليقة، وما عدا ذلك من تأريخات مثل التاريخ الميلادي والقمري وغيره، فهي تأريخات وضعية ويجب أن لا تعطي أولوية أو شمولية الاستخدام على حساب الأشهر العربية التي تتمتع بقدسية معينة طالما ثبت لنا أنها إلهية المصدر.

ولقد سخر ا سبحانه وتعالى للإنسان كلاً من الشمس والقمر ليكونا وسيلتين للتصنيف الزمني العام والدقيق، حيث تعرف الأيام بالشمس وتعاقب شروقها وغروبها؛ بينما يمكن أن تعرف الشهور والأعوام بسير القمر وتطور حجمه وشكله من بدر كامل الاستداره إلى هلال متناقص الحجم، وذلك ما أوضحه ا سبحانه وتعالى للبشر وأرشدهم إليه في قوله تعالى: **هو الذي جعل الشمس ضياء**

والْقَمر نُورا وقَدره منَازِلَ لِتَعلَموا عدد السِنِين والْحِسـاب (يونس: جزء من الآية ٥).

هذا، ويعتبر (تعاقب الليل والنهـار) مـن العوامـل الأخرى التي تساعد على التصنيف الزمني المذكور؛ حيـث إن ذلك التعاقب يحدث بشكل بالغ الدقـة والانتظـام بـدون حدوث أي تداخل بينها بقدرة ا وبعلمه العظيم، وهناك كثير من الآيات الكريمة التي يمكن أن يستدل منهـا علـى تلـك الحقيقة بالغة الوضوح مثل قوله تعالى: **إِن فِـي اخْـتِلافِ الليلِ والنهارِ وما خلَقَ ا ُ فِي السـماواتِ والأرضِ لآيـاتٍ لقَومٍ يتقُون** (يونس: ٦)؛ وقوله تعالى: **يقَلـب ا ُ الليـلَ والنهار إِن فِي ذَلِك لَعِبرةً لأُولِي الأَبصـارِ** (النـور: ٤٤). وفي جزء تالٍ يتعلق بالعبادات وكيفية الاستعانة بها كوسـيلة لتنظيم وقت الإنسان، سيتم عرض حـديث نبـوي شـريف يتضمن مثالاً آخر ولكن على كيفية التصنيف الزمني لليـوم الواحد من خلال تتبع سير الشمس؛ وتعاقب الليل بعد النهار.

أما عن أيام الأسبوع السبعة، فهي أيضا إلهية التحديد والمصدر، فقد قال تعـالى: **إِن ربكُـم ا ُ الـذِي خلَـقَ السماواتِ والأرض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم استَوى علَـى الْعـرش**

يغْشِي الليلَ النهار يطْلُبه حثِيثًا والشمس والْقَمـر والنجـوم مسخراتٍ بِأَمرِهِ (الأعراف: جزء من الآية ٥٤)، "يغشـي الليل النهار يطلبه حثيثا" يعني أن ا سبحانه وتعالى يـذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل من الليل والنهار يطلب الآخر حثيثـًا أي سـريعا لا يتـأخر عنـه. (ابن كثير، مج ٢، جـ٣، ص ٢٦١)، وقد جاء في تفسـير ابن كثير لتلك الآية بأن الأيام الستة التي خلـق ا سـبحانه وتعالى فيها سمواته وأرضه هي الأحد والإثنـين والثلاثـاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيها اجتمع الخلق كله، أمـا عن يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ولذلك سمي بذلك الاسم حيث أنه يعني (القطع). وفي حديث شريف رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧) فقد قال: حـدثنا حجـاج حدثنا ابـن جـريج أخبرنـي إسـماعيل بـن أميـة عـن أيوب بن خالد عن عبد ا بن رافع مولى أم سلمة عن أبـي هريرة قال: أخذ رسول ا ﷺ بيدي فقال: "خلق ا التربـة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيهـا يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلـق النـور يـوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر

يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعـة فيما بين العصر إلى الليل" (ابن كثير، مـج ٢، جـ ـ٣، ص ٢٦١).

هذا، وقد اتضح أن الساعة هـي الوحـدة الزمنيـة الأساسية التي يمكن تقسيم الوقت اليومي باستخدامها ويمكـن أن نستدل على ذلك بقوله تعالى: **ويوم يحشُرهم كـأن لـم يلْبثُوا إلا ساعةً من النهارِ يتَعارفُون بينَهم** (يونس: جـزء من الآية ٤٥)، وكذلك يتأكد ذلك مـن قولـه تعـالى: (**مـا يوعدون لم يلْبثُوا إلا ساعةً من نهارٍ**) (الأحقاف: جزء مـن الآية ٣٥). غير أنه من المفارقات الجديرة بالذكر والتنويه أن تلك الوحدة الزمنية التي أرشد ا سبحانه وتعالى خلقه مـن البشر إليها لكي يستخدمونها كوحدة زمنية لتصـنيف اليـوم وتحديد مدى طوله بشكل دقيق ومنتظم، هـي ذاتهـا التـي تستخدم للإشارة إلى يوم القيامة والبعث حيث يقول ا تعالى في إشارة إلى الساعة بكلا المعنيين معا في ذات الآية: (**ويوم تَقُوم الساعةُ يقْسِم الْمجرِمون ما لَبِثُوا غَير ساعةٍ**) (الروم: جزء من الآية ٥٥). ومما تجدر ملاحظته أن حـرفين همـا اللذين يمكن أن يفرقا بين معنيين ذات الكلمة، فـإذا كانـت

الكلمة (ساعة) فهي تعني الوحدة الزمنية اليوميـة، أمـا إذا بدأت بالألف واللام وذكرت (الساعة) فهي تصـبح معرفـة وتشير في تلك الحالة إلى يوم القيامة العظيم.. وشتان ما بين هذا المعنى وذاك!..

وإن كانت الدنيا قد قامت مؤخرا ولم تقعد عندما تـم اكتشاف "الفيمتو ثانية" التي تعبر عن جزء جديد متنـاهٍ فـي الصغر يمكن أن يستخدم للقياس الزمني بـالغ الدقـة؛ فـإن القرآن أوضح ذلك التصنيف الزمني الأكثر دقة وتجزءا لليوم من قبل؛ وإن لم يكن بالطبع قد أورد ذات المسمى البشـري له، كما أوضح القرآن فترات زمنية أخرى متفاوتة الطـول يمكن أن تستخدم فـي التصـنيف الـوقتي لليـوم الواحـد. فبالإضافة إلى الساعة، فهناك أيضا فترة زمنية أكثر طـولاً وهي الفترة ما بين الظهر وإلى غروب الشـمس (عشـية)؛ وتلك التي بين طلوع الشمس إلى نصف النهار (الضـحى)، حيث نجد ذلك في الآية الكريمة: (**كَأَنهم يـوم يرونَهـا لَـم يلْبثُوا إِلا عشِيةً أَو ضحـاها**) (النازعـات: ٤٦). وهـذان التعبيران (عشية) و(ضحى) ويمكـن أن يسـتخدما – وفقًـا للتوجيه القرآني – للدلالة علـى القصـر النسـبي للوقـت

المستغرق في إنجاز شيء ما حيث تعني تلك الآية الكريمة أن البشر يوم القيامة يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى أنهم يعتبرونها كأنها كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم (ابن كثير، مج٤، جـ٨، ص ١٧٩).

أما التقسيم الزمني المختلف طوال اليوم والذي يصل إلى أدنى جزء منه، فيمكن استنباطه من قصة العروض التي تم تقديمها لسليمان عليه السلام فيما يتعلق بشأن استحضار بلقيس وعرشها الذي رغب سليمان في استحضاره بأقصى سرعة ممكنة. وهنا تقول الآيات الكريمة: **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** (النمل: ٣٨ – ٤٠)

ومن الآيات يتضح لنا أن الفترة الزمنية التي كانت معروضة على سليمان عليه السلام لاستحضار العرش كانت قبل قيام سليمان من مجلسه **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن**

مقامِك (النمل: ٣٩) وقد عرضها مارد من الجن آخذًا فـي الاعتبار يوم العمل الذي كان يقوم به سليمان والـذي كـان يمتد عادة من أول النهار إلى زوال الشمس حيث كان سليمان ﷺ يقوم في خلاله بالجلوس للناس للقضـاء وللحكومـات وللطعام. ولقد وعد ذلك المارد الجني أن يستحضـر بلقـيس وعرشها لسليمان ﷺ قبل انتهاء يوم عمله المعتاد. أما الفترة الزمنية بالغة القصر، فقد عرضها أحد الصالحين المـؤمنين العلماء الذين ذكر أنه كان يعرف اسم ا الأعظم والذي ذكر محمد بن إسحاق عن يزيـد بـن رومـان أن اسـمه كـان "آصف بن برخياء". وبرغم اختلاف تحديد اسم وكنية ذلـك الشخص البشري، إلا أن الثابت هو الفتـرة الزمنيـة التـي عرضها وقام بتنفيذ المهمة بالفعل من خلالها وهي الفترة ما بين رفع البصر ومده إلى أقصى نقطة يستطيعها ثم قبـل أن ينخفض البصر تكون الفترة الزمنية متناهيـة الصـغر قـد انقضت، وتكون المهمة المستهدفة قد تـم إنجازهـا. وذلـك يتضح من الآية الكريمة: **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرتَـد إِلَيـكَ طَرْفُكَ** (النمل: جزء من آية ٤٠).

ويمكن التأكيد على أن الوقت المستغرق في طـرف العين – المشار إليه توا – هو أقـل وحـدة زمنيـة وذلـك بالاستعانة بقوله تعالى: **وما أمر الساعة إلا كلمح البصـر أو هو أقرب** (النحل: جزء من الآية ٧٧) حيث يعني بلمـح البصر هنا طرف العين (ابن كثيـر، مـج٢، جـ ـ٤، ص ٢٨٧)، كذلك تتأكد ذات الحقيقة بذات اللفظ والمعنى من الآية الكريمة: **وما أمرنا إلا واحدة كلمـح بالبصـر** (القمـر: ٥٠).

وهنا يأتي دور العلم التجريبي ليوضح لنا ما إذا كان مصطلح الفيمتو ثانية هو ذلك المعادل للمح البصر أو لطرف العين، أم أنه مازالت هناك المزيد من الذرات الزمنية التـي يجب على العلماء التجريبيين توضيحها استرشادا بتلك الآيات الكريمة ذات الدلالة القاطعة.

وعلى أية حال، فإن ما تم ذكره توا وعرضه مسـبقًا من تصنيف للزمن، لا يخرج عن نطاق محور اهتمامنا الذي يدور حول المجال الاقتصادي، بل إنه يشكل قاعدة أساسـية راسخة يمكن أن يسترشد بها في تكوين كثير مـن القواعـد والفروض الاقتصادية – خاصة تلـك المتعلقـة بالاقتصـاد

الحركي (الديناميكي) الذي يقوم تحليله كله على أساس أخـذ عنصر الزمن في الاعتبار. وسوف تتضح مدى أهمية ذلـك الجزء من خلال ما سوف يتم عرضه من الأجـزاء التـالي عرضها تباعا استكمالاً لتوضيح الصورة المستهدفة من تلـك الدراسة وهي كيفية تعظيم المنفعة الزمنية.

٤/١: الترتيب المتتابع Order يمكن اعتباره من متعلقات الوقت:

يسود الاعتقاد بأن الوقت يتمثل فقط بمـدى طـول (أو قصر) فترة زمنية (أو لحظية) معينـة يمكـن تقـديرها بوحدات قياسية مختلفة أصغرها الفيمتو ثانية (في المنظـور الوضعي للعلم) أو لمح البصر (في المنظور الشرعي) وأكبر عام يتكون بدوره من اثني عشر شهرا. إلا أننـا نعتقـد أن هناك عنصرا يجدر إدخاله كأحد أجزاء الوقت ومكوناته على أن يتم ذلك على محور زمني مختلف يتقاطع في اتجاه رأسي مع المحور الزمني الأصلي الذي يتضمن الوحدات الزمنيـة المعتاد على استخدامها وذلك كما يتضح من الشكل رقم (١).

الشكل (١)

أهم مكونات عنصر الوقت ومتعلقاته -

الترتيب
Order

تصنيف إسلامى للوقت

الأول	سنة (١٢ شهر)	شهر (٢٩، ٣٠ يوم)	يوم	ساعة	لمح البصر	
	٥	٤	٣	٢	١	المقدم
						المساحة الزمنية
الآخر	٥	٤	٣	٢	١	المؤخر
	سنة (١٢ شهر)	شهر (٣٠، ٣١ يوم) عدا فبراير	يوم	ساعة	الفيمتو ثانية	

تصنيف وضعى للوقت

وفي الشكل السابق رقم (١) يوضـح علـى الخـط الأفقي التقسيم الزمني وفقًا للعرض السابق حيث تمثل الخانة رقم (١) أصغر وحدة زمنية وهي طرف العـين (أو لمـح البصر)، وتمثل الخانة رقم (٢) ساعة. أما الخانة رقـم (٣) فتمثل اليوم الذي ينقسم بدوره إلى وقت (الفجر) كبداية لأول اليوم، ثم (النهار) الذي يمتد منذ شروق الشمس حتى لحظـة غروبها، ثم (بداية الليل) الذي يتمثـل بالمسـاحة الزمنيـة الشرعية المتاحة لصلاة فريضة العشاء حاضرا وهـي تبـدأ بدورها منذ الآذان لصلاة العشاء حتى انتهاء النصـف الأول من الليل الذي عادة ما يقدر بالساعة الثانية عشرة بالمقاييس العلمية المعتادة. وبعد ذلك توجد فترة (ثلثي الليل الأخيرين) حيث يستحب أداء صلاة القيام خلالها. ولقد تم تصنيفها إلـى جزءين منفصلين لأن الثلث الأخير أفضل عند ا للتعبد من الثلث السابق له، ولقد تعمدنا تـرك مسـافة بـدون تـرقيم أو تصنيف للدلالة على (نسبية) طول الوقت ليلاً عنه بالنهار خاصة إذا ما تم قضائه في العمل والتعبد حتى إن انخفضـت الوحدات الزمنية المكونة له. فما من شك في أن المعاناة من مرض أو أرق أو أحزان تكون أثقل وأشد وطأة خلال الليـل

عنها في فترة النهار، وذلك يجعل الوقت يمر بشكل متباطئ وصعب مقارنة بحدوث ذات الأمور في أثناء النهار. كما أن التعبد أثناء الليل برغم حلاوته وما يتصف به من صفاء وإخلاص أكثر، فإنه عادة ما يكون أشد وطأة وأكثر مشقة لأنه عادة ما يمثل وقت نوم وراحة واسترخاء للغالبية الأعم من البشر.

وفي القسم الرابع من الأجزاء المكونة للوقت نجد مساحة زمنية أكبر تتمثل في الشهر الذي أوضحنا سابقًا أنه عادة ما يتكون من ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما (في الشهور العربية) أو ثلاثين أو واحدا وثلاثين يوما بخلاف شهر فبراير (في الشهور الميلادية)، ثم ننتهي بالمكون الأخير لوحدات الزمن والأكثر طولاً وهو العام الكامل الذي أراد ا سبحانه وتعالى له أن يتكون بدوره من اثني عشر شهرا كما سبق التوضيح.

أما على المحور الرأسي، فقد استلهمنا مكونًا آخر يمكن أن يتعلق بالوقت ويتداخل معه في ذات التأثيرات والتوجهات. وهو الترتيب المتتابع Order وقد تم استلهام ذلك المكون من أسماء ا الحسنى التي يمكن أن نستعين بها

في ذلك التصنيف وهي المقدم والمـؤخر: والأول والآخـر. وحتى تتضح أهمية ذلك التصنيف الفرعي للوقت يجدر بنـا أن نبدأ أولاً بالتعرف على تلك الصـفات المقدسـة عـز وجل. (فالمقدم) يعني الذي يقدم بعض الأشياء على بعض في الوجود، وذلك لتقديم الأسباب على مسبباتها.. فيقدم سـبحانه لعباده ما يحتاجون إليه. على الوجه الـذي يحقـق صـلاح أمورهم، كما تقتضيه حكمته الأزلية. ومـن أشـكال ذلـك التقديم: تقديم الزمان على الزمان، والمكان علـى المكـان، والحركة على الحركة، وتقديم من شاء مـن عبـاده بـالعلم والطاعة والتقوى والإنابة والشـرف والاسـتجابة **ورفَـع بعضكُم فَوقَ بعضٍ درجاتٍ** (الأنعام: جزء من الآية ١٦٥).

أما عن المعنى المستفاد من تلـك الصـفة المقدسـة بالنسبة للمرء، فهو أن يقدم الأهم فالمهم من شئون دنياه، وألا يؤخر شيئًا من أمور أخراه (عبد المقصود سالم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، صـ ٩٧، ٩٨). وترتيبا على ذلك، فإنـه يجـب تصنيف كل وحدة زمنية وفقًا لأولويات أهمية كل لحظة منهـا فنقول مثلاً أن الساعة الأولى التي تشمل الفجر هي أفضـل ساعات الصباح كبداية للصلاة وللذكر ولتلاوة القـرآن **إن**

قرآن الفجر كان مشهودا (الإسراء: جزء من الآيـة ٧٨). ولكن ذات الساعة في شهر رمضان تكـون أكثـر تفضـيلاً نتيجة لأنه شهر مفضل عند ا من بين شهور العـام لأنـه **الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينـات مـن الهـدى والفرقان** (البقرة: جزء من الآية ١٨٥). ومع هـذا، فقـد فضل ا سبحانه وتعالى الوقت الذي يتزامن مع ليلة القـدر ومنحه أولوية أولى في الأهمية على كثيـر مـن الأزمنـة والأوقات الأخرى. وفي ذلك يقول سبحانه وتعـالى: **ليلـة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر** (القدر: ٣ – ٥).

وعلى الجانب الآخر من التقديم، هناك ترتيب زمني مقابل يمكن استلهامه من صفة ا تعالى (المـؤخر). وتلـك الصفة المقدسة تعني الذي يؤخر إيجاد بعض الأشـياء عـن بعض بمشيئته، ويؤخر من شاء من عبـاده فـي الشـرف والرتبة، والقرب والحب، والتقوى والطاعة، والعلم والهداية. (المرجع السابق، صـ ٩٨). وإن كان الاعتقاد السائد دائمـا بأن الآخر يعتبر في وضع أسوأ من سابقه في الترتيب فـإن

المنظور الشرعي يوضح أن ذلك ليس صحيحا بالضـرورة فأحيانًا ما يحدث العكس، وخير مثال على ذلـك أن الآخـرة خير من الأولى، وبالتالي فإن الترتيب الزمني لأمـر مـا لا يعني أن آخره وحدة زمنية تنطوي على أسوأ وضع أو حال وأن أول وحدة تتميز على غيرها. ويبدو ذلـك جليـا فـي عمليات التخطيط والتجارب العلمية والإنجازات. فعـادة مـا تمثل المراحل الزمنية الأخيرة أفضل فترات زمنية يشهد من خلالها النتائج النهائية لمجهودات تم بذلها تباعا في فتـرات سابقة. وتصبح اللحظات الأخيرة هي أفضل لحظات زمنيـة على الإطلاق خاصة إذا ما كنا نتحدث عن تجارب ناجحـة، فدائما ما نقول أنها (انتهت) بالنجاح – ولكـن إذا ذكـر أن إحدى التجارب (بدأت) بنجاح. فعادة ما يتبادر إلى الأذهـان القول المأثور (العبرة بالنهاية)؛ وذلك ما يتأكد في الحـديث الشريف: "لا تعجبوا بعمل عامل، حتى تنظروا بم يختم لـه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٣٦٦).

والصفة الإلهية الثالثة التي يمكن أن ترشـدنا إلـى بعض المدلولات الزمنية هي (الأول) وهي تعني الأول بـلا ابتداء، والموجود بذاته قبل وجود مخلوقاته. وكان (أولاً) لأنه

كان موجودا ولا شيء معه (المرجـع السـابق، ص ٩٩).
ويقال أيضا في توضيح تلك الصفة الإلهية المقدسة. أن تلـك الأولوية لا تتعلق بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شـيء فـي حدود العقل أو محاط بالعلم التقليدي المعروف (حسن الجمل ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٨٧). ومع هذا، فإننا يمكـن أن نستلهم من تلك الصفة الإلهية المقدسة مقياسا ترتيبيا للـزمن يمكن استخدامه بلغة البشر العلمية الدارجة وهـي أن لكـل مساحة زمنية معينة توجد نقطة بداية مطلقة لا تسـبقها فـي ذلك الموضع الأول نقطة زمنية أو وحدة زمنية أخرى فمثلاً إذا ذكرنا الساعة تتكون من ٦٠ دقيقة، فهناك الدقيقة الأولـى التي لا تسبقها أي دقيقة أخرى، فإن سبقتها دقيقة، فتكون في الواقع ممثلة للدقيقة الأخيرة من الساعة السابقة على السـاعة محل الذكر.

وعلى المقابل، فهناك صفة (الآخر) وهي تعني الباقي وحده بلا انتهاء، وهو سبحانه يفني خلقه ويبقى بعد فنائهم ثم يبعثهم بعد ذلك "ليجزي الذين أساءوا بما عملـوا، ويجـزي الذين أحسنوا بالحسنى" (عبد المقصود سالم، مرجـع سـبق ذكره، ص ٩٩). وعلى النحو السابق، فيمكن اسـتلهام درس

مستفاد حول التقسيم أو التصنيف الترتيبي للزمن أو للوقـت حيث لابد لكل مساحة زمنية من وجود لحظة أو وحدة نهائية تنتهي بها تلك المساحة المعنية مثل الدقيقـة السـتون مـن الساعة، والثانية الستون من الدقيقة. فإذا ما ذكـرت وحـدة زمنية إضافية تلي الوحدة الزمنية الأخيرة، فإنها تعتبر نقطة بداية زمنية لمساحة زمنية جديدة تاليـة مباشـرة للمسـاحة الزمنية محل الاعتبار.

وما من شك في أن مثل ذلك التصـنيف الترتيبـي للزمن يمكن أن تكون له فوائده المتعددة خاصة في مجـالات التخطيط والتقييم والمتابعة والتنفيذ؛ ذلـك الـذي يمكـن أن نتعرف على المزيد التوضيحي له من خلال العرض المتقدم للدراسة الجارية.

وبعد ذلك التوضيح الموجز لمفهوم الوقت وبعـض الأبعاد المتعلقة به، ننتقل لاستكمال الصورة المسـتهدفة لـه بعرض أهم ما ورد في الدراسات الإنسانية والاجتماعية عن ذلك المفهوم ولتحديد المنظور الاقتصادي الوضعي له علـى وجه الخصوص.

الفصل الثاني:
الوقت كعنصر اقتصادي في المنظور الوضعي

مقدمة:

بالاسترشاد بما سبق عرضه من توضيح لمفهوم الوقت ولأبعاده المختلفة، وبما سوف يتم عرضه تباعا من معلومات إضافية حول تلك الأبعاد، يمكن القول بأن الوقت بطبيعته هو عنصر اقتصادي بالدرجة الأولى؛ لأنه في الواقع يمثل أداة جوهرية تدور بها.. وفي فلكها؛ جميع أنشطة وإنجازات البشر – الإيجابي الفعال منها، والسلبي المعرقل. بل إن الوقت يعتبر بالدرجة الأولى أحد الموارد الطبيعية التي أتاحها ا للإنسان حيث تم تكليفه بالاستثمار الفعال لما أتيح له من ذلك الوقت الذي يبلغ أقصى قيمة كمية له لحظة انتهاء عمره وذلك ما سوف يتم توضيحه بمزيد من التفصيل والتعمق في الفصل الثالث من تلك الدراسة.

وحتى بلغة البشر العلمية والعامة، فالوقت يعتبر مالاً Time is Money مما يؤكد على الطبيعة الاقتصادية التي يتسم بها خاصة في الآونة الأخيرة التي تشهد تغيرات عالمية متتابعة، لاهثة تتسابق مع لحظات الزمن في توالد صاروخي لأعداد لا تنتهي من الأحداث الجديدة والتطورات ذاتية التوالد والتكاثر اللحظي.

وسوف تتأكد الطبيعة الاقتصادية للوقت، عندما نتابع معا في صفحات ذلك الفصل بعض الدراسات التي قامت بتناوله بالشرح والتحليل، حيث يلاحظ أن تلك الدراسات تنتمي إلى فروع علمية مختلفة، ومع هذا، فقد توحدت مجالات معالجاتها العلمية للوقت وتركزت كلها حول المحور الاقتصادي.. وإن تعددت المصطلحات والأهداف التي قامت عليها تلك الدراسات المتخصصة حول الوقت.

وبالتجول الفكري بين الدراسات التي تناولت الوقت في المجالات العلمية المختلفة، لوحظ أن كل دراسة كانت تتناوله من زاوية محددة تختلف عن نظائرها من الدراسات المتخصصة في ذات المجال.

ومن الطريف أن نعلم أنه على الرغم مـن الصـفة الاقتصادية للوقت، فإن ريادة الكتابة عنه – وحولـه – قـد نبعت من مجال علمي غير اقتصادي، وكان ذلك علـى يـد عالم الاجتماع الأمريكي "بيتريم سـوروكين" الـذي اشـتهر بمساهمته العلمية الريادية في مجال "ميزانية الوقت" منذ عام ١٩٣٩م، وكذلك عالم الإدارة الأمريكي (أيضا)! فريـدريك تايلور (١٨٥٦ – ١٩١٥م) الذي كـان مـن رواد التركيـز التحليلي العلمي للوقت المستغرق فـي العمـل مـع ربطـه بالحركة في محاولة لتعظيم مستوى الأداء الإنتاجي بناء على ترشيد هذين العنصرين كتوليفة متكاملة وقد اقترح كوسـيلة لحدوث ذلك أن يتم تطبيق نظام للحوافز المالية يقـوم علـى أساس ربط تلك الحوافز بالأجر الأساسي لكل ساعة عمـل، وأوضح تيلور – في هذا الصدد – أنه لتحقيق إنتاجية مرتفعة لا يكفي فقط تطبيق قاعدة (وضع الشـخص المناسـب فـي المكان المناسب أو في الوظيفة المناسبة)؛ ولكن أيضا لابـد من ربط الحوافز المالية بحجم الوقت الذي يتحقق فيه إنجـاز فعلي للعاملين، كما أوضح فريدريك تايلور حقيقة هامة وهي أن هناك مؤشرين رئيسيين لقياس كفاءة العمل هما ارتفـاع

الأجور (كهدف للعمال) وانخفاض تكلفـة العمـل (كهـدف لأصحاب العمل) وعلى الرغم من أنهما مؤشـرين متقـابلي الاتجاهات، فقد نصح تايلور بالتوفيق بينهما وتحقيقهما معـا من خلال دراسة عنصر الوقت وترشيد اسـتغلاله وطالـب بضرورة ربط كل وحدة زمنية (ساعة ودقيقـة) بحركـات العمال واستبقاء الضروري واستبعاد غير الضروري منهـا (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: السيد ياسين، ١٤١٩ هـ ـ/ ١٩٩٨م، ص ج؛ سيد الهواري، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٠م، ص ٢١، ٢٢؛ جاري ديسلر، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٩).

ومن المؤسف أن دراسات الوقت كموضـوع ذاتـي للتحليل لم يأخذ حظه الكافي في علم الاقتصاد وتم إهماله في كثير من النظريات برغم أهمية دوره فـي توجيههـا مثـل نظرية العرض والطلب التي لم تأخذ الوقت كأحد العوامـل المؤثرة في عرض السلع والطلب عليها مع أنه يلعـب دورا جوهريا في ذلك الصدد، فعلى سبيل المثال يقل الطلب علـى الخدمات الترفيهية في أوقات الدراسة بينما يزيد الطلب إلـى أقصاه على المستلزمات التعليمية والدراسية في ذات الفتـرة ويصل إلى ذروته أوقات الامتحانات حيث يزيد الطلب أيضا

على المنبهات والمهدئات (من الأدوية) والعكس بالعكس صحيح.

غير أن الاقتصاد الوضعي قد أخذ الوقت بعين الاعتبار ولكن بأسلوب مختلف فهو مثلاً يعتبر عاملاً جوهريا في تمييز التحليل الحركي (الديناميكي) عن التحليل الساكن (الاستاتيكي)، حيث يتم التقصي والتحليل للعلاقات الدالية في التحليل الحركي عبر سلاسل زمنية معينة؛ بينما في التحليل الساكن يتم ذلك في لحظة زمنية محددة باستخدام بيانات تتعلق بلحظة معينة Cross Section Data. وفي حالة التحليل الحركي للعلاقات الدالية الاقتصادية يؤخذ الوقت في الاعتبار، ليس كمتغير محل للدراسة والتحليل، ولكن كأحد المعطيات والأمور الواقعة التي تستخدم لأغراض التصنيف والتمييز والتفريق بين العلاقات والأوضاع محل الدراسة الأصلية.

كما يتم استخدام الوقت أيضا كوسيلة لتوصيف ولقياس أو تحديد متغير أو أكثر من تلك التي تؤخذ في عمليات الدراسة والتحليل الأساسية؛ مثل اعتبار طول الفترة الزمنية التي يتم قضاؤها في التعليم مؤشرا على زيادة

المعرفة، وطول فترة العمل في نشاط ما كمؤشر على ارتفاع مستوى الخبرة بالعمل في ذلك النشاط، وكذلك يستخدم الوقت كعامل تنظيمي وتصنيفي للخطط وللأهـداف وللإنجـازات، ومن أشهر تطبيقاته الاستخدام الشائع لآجال زمنيـة ثلاثـة: الأجل القصير (عام أو أقـل)، والأجـل المتوسـط (ثـلاث سنوات) والأجل الطويل (حتى عشر سنوات أو أكثر).

وقد اعتبر عنصر الوقت أيضا من مبررات الحصول على فوائد على القروض، وذلك على أساس أن المقتـرض يستفيد بما يقترض طوال فترة الاقتراض، ويحرم صـاحب القرض (المقرض) من الاستفادة بقيمة ما أقرضه فـي ذات فترة الاقتراض. ولو أن المدرسين من رجال الكنيسة الـذين تولوا ريادة المدرسة الاقتصادية في العصور الوسطى كانوا قد حرموا ذلك وأكدوا على أن الزمن هو ملك (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى زينب الأشوح، ٩٧، ص ٢٩). وعلـى أية حال. فمازال عنصر الزمن يستخدم كجزء مـن عمليـة حسابية لسعر الخصم ولحساب القيمة الحالية وفي عمليـات حسابية أخرى.

وعلى الرغم من عـدم وجـود نظريـة اقتصـادية متخصصة عن (أو حول) الوقت؛ ومن عـدم تنـاول ذلـك العنصر الهام كجزء من مجموعة المتغيـرات أو العوامـل المكونة للقوانين وللنظريات الاقتصادية المعروفة مثل قوانين العرض والطلب ونظرية الطلب الكلي الفعلي وتناقص الغلـة ونظرية مالتس في السكان والتي يجب دراستها وتحليلها في حد ذاتها ولا يكتفى باعتبارها من العوامل المسـاعدة علـى استكمال القوانين والفروض والنظريات المعنية إلا أنـه قـد يكون من الإنصاف القول، بأنه قد تمت بعـض المحـاولات الاقتصادية المتفرقة التي اعتبرت الوقت كمحـور رئيسـي للدراسة أو كجزء منه، وسوف يتضح ذلك ضمن العـرض التالي الذي تناول الوقت كعنصر أساسي أو جزئي لدراسـته في حد ذاته أو لدراسة التأثيرات المتداخلة له مـع تـأثيرات بعض العناصر الاقتصادية الأخرى.

وفيما يلي عرض موجز، وشامل لأهم ما ذكر حول الوقت كعنصر اقتصادي جوهري، في مختلـف الدراسـات المتخصصة ليس في مجال الاقتصاد فقط، ولكن أيضا فـي علم الإدارة والاجتماع، بل وكذلك في مجـال اقتصـاديات

الصحة والتغذية ودراسات المرأة. ونتيجـة لثـراء مـا تـم الحصول عليه وتجميعه من معلومات تتعلق بذلك الموضوع، فسوف يتم تصنيفها في العرض التالي على تصور مرحلـي تدريجي متكامل تنفرد بتقديمه الدراسة الجارية وذلـك مـن خلال سبعة عناوين فرعية كلها تمثل ركائز وفروض أساسية لوليد مرتقب كنظرية واضحة المعالم للوقت. وعلى ضـوء محتويـات الدراسـات المتخصصـة متباينـة الاهتمامـات والمجالات يمكن القول بأن الوقت يتطلب أولاً (تخصيصا) له بين الاسـتخدامات المختلفـة وتوزيعـه علـى الإنجـازات المخططة والمطلوبة ثم (إدارة) الوقت الذي تم تخصيصـه – سابقًا – بما يضمن تعظيم فعالية استغلاله وتوظيفه لتحقيـق الأهداف الموجه لها، وبعد ذلك نحتاج إلى التعـرف علـى قاعدة (الوقت المناسب) لكل خطوة تتبع، وإنجاز يـتم فـي إطار التوجهات السابقة؛ وتقودنا الخطوة السابقة إلى تقصـي (الوقت الضائع) أو (الوقت المهدر) الذي لـم يكـن مناسـبا للإنجاز أو كان قد تم استغراقه على عكس المستهدف؛ ومـا من شك في أن مفهوم الوقت الضائع قد يختلط مـع مفهـوم آخر هو (وقت الفراغ) مع أن ذلك المفهـوم الأخيـر يتسـم

بخصائص وبقواعد تنظيمية تختلف تماما عن المفهوم الأول مما يستدعي ضرورة التعرف الأكثر دقـة علـى جوانبـه وأبعاده؛ ولأن وقت العمل يعتبر وجها مقابلاً لوقت الفـراغ ويتسم بطبيعة (تبادلية) معه، كان لزاما علينا أن نلقي الضوء على تلك الطبيعة، وأخيرا فعلى المستوى الفرعي، نجـد أن الوقت بالنسبة للمرأة يختلـف فـي طبيعتـه عـن الوقـت المخصص بالنسبة للرجل حتى إن كانا الاثنان يساهمان فـي العمل الاقتصادي خارج المنزل، لذا، فقد فضـلنا اسـتكمال الصورة المعنية بلقطة ختامية عن أحد الأوضاع التي تتعلـق (بالوقت النسائي) كمثال تطبيقي ذي طبيعة خاصة.

١/٢ : تخصيص الوقت Time Allocation:

ويعني إجمالاً توزيع الوقت على الأنشطة والأعمـال المختلفة ويناظره فـي المصـطلحات الاقتصـادية مفهـوم "تخصيص الموارد" الذي يعني توزيع الموارد – المحـدودة نسبيا – بين الاستخدامات المتعددة لهـا، خاصـة بعـد أن أصبحت الدراسات المعاصرة تعتبر الوقت سلعة نادرة فـي

الاقتصاد والمجتمع (علا مصطفى، ٩٨، ص ٤١) مثله فـي ذلك مثل الموارد النادرة الموجبة للتخصيص.

هذا، ويلاحظ أن لمفهوم "تخصيص الوقت" مرادفات أخرى تنطوي على ذات المعنى المستهدف ومن أهـم تلـك المرادفات ميزانية الوقت Time Budget و"استخدام الوقت" Time Use.

ولقد تم تعريف ميزانية الوقـت (المرادفـة لمفهـوم تخصيص الوقت الذي يعنينا) بأنها "سجل أو يوميات لأنشطة متتابعة أو دورية يشغلها الفرد لمدة محدودة غالبا ما تكـون أربعا وعشرين ساعة" (ليلى عبـد الجـواد، ٩٨، ص ١٠). ويتضح من ذات المرجع السابق أن الوقت يرتبط بـالنواحي المالية، فكما تشير الدراسة فإن الوقت كالمال تماما؛ فكما أن مالك المال يفاضل ما بـين اسـتهلاك المـال أو أن يقـوم باستثماره، فكذلك هو يفاضل ما بين استثمار ما يملكـه مـن وقت أو إهداره. وقد يفسر ما سبق انتشار المقولـة الشـائعة بأن "الوقت مال" Time is Money.

وكما نوهنا من قبل، فعلى الرغم مـن أن المقولـة السابق الإشارة إليها توا هي مقولة اقتصادية بالدرجة الأولى،

لكن الحقائق تشير إلى معلومة غير متوقعة وهـي أن رائـد الدراسات المتخصصة حول الوقت لم يكن من الاقتصاديين، وإنما كان من علماء الاجتماع وهو العالم الأمريكي "بيتـريم سوروكين" الذي نشر له أول بحث عن "ميزانية الوقت" فـي عام ١٩٣٩ ميلاديا، وكان ذلك في جامعة هارفارد الأمريكية (السيد يسين (مشرفًا)، ٩٨، ص جـ).

هذا، وقد تعددت أنماط توزيع الوقت بين الأنشـطة المختلفة أو بمعنى آخر أقسام ميزانية الوقت بتعدد المـدارس العلمية المختلفة التي قامت بتناوله، وإن كان المتأمـل فيهـا بنظرة شاملة سيلاحظ أنها لا تختلف كثيـرا بعضـها عـن البعض الآخر، خاصة وأن أقسام تلك الميزانية تنطوي علـى المجالات الرئيسية العامة لأنشطة الإنسان – وهي محـدودة بطبيعتها – ولكن يلاحظ أنها كلها وقعت في خطإ تصـنيفي حيث أسقطت جميعها بندا جوهريا من البنود التـي لا يقبـل فقط عدم إدراجها في ميزانية الوقت، ولكن ذلك البند كان من المفروض أيضا أن يدرج على رأس تلك القائمـة وسـوف نوضح ذلك بعد استعراض أهم النماذج التـي وردت بشـأن ميزانية الوقت في الدراسات المختلفة.

فالنموذج الأول وضعه وارد Ward بعـد دراسـة العادات اليومية لعينة من الأفـراد تبلـغ سـبعة آلاف مـن الجنسين تتراوح أعمارهم مـا بـين ٢٠، ٥٩ عامـا وقـد اقتصرت على الفترة ما بين الساعة ٦ صباحا حتى السـاعة ١١ مساء. وبناء على نتائج تلك الدراسة يمكن تقسيم بنـود ميزانية الوقت إلى ثلاثة بنود رئيسية:

١- بعيدا عن المنزل، وتشمل الوقت المستغرق فـي العمل، والسـفر، والشـراء، واللعـب، وأداء الالتزامـات الاجتماعية.

٢- بالمنزل، وتشمل الوقت المستغرق فـي إعـداد الطعام وتناوله وأداء الأعمال المنزلية والاستحمام والقـراءة والنوم.

٣- أنشطة الفراغ، وتشمل الوقت المسـتغرق فـي الاستماع إلى الراديو ومشاهدة التليفزيون والتزاور وممارسة الرياضة.

والنموذج الثاني حددت فيه مـاري هولمـان بنـود الميزانية المعنية وفقًا للأنشطة اليومية المختلفة بأربعة بنـود هي: العمل، وإدارة شئون المنـزل، والطعـام، والرعايـة

الشخصية. وعلى الرغم من عدم ذكر النوم هنا، فقد يكون تم اعتباره من ضمن مكونات البند الأخير.

ويتفق مع النموذج السـابق كثيـر مـن الدراسـات الأخرى مع إضافة ملحوظة تستوجب بندا إضافيا للوقت وهو الوقت الحر Free Time، أو وقت الفراغ Leisure Time كما جاء كمرادف في بعض الدراسات. ولكن تلك الدراسات قدمت نماذجها بتصنيفات مختلفة الأنماط بـرغم شـموليتها لذات البنود.

فنجد مثلاً النموذج الثالـث الـذي وضـعه مـاير، وبريتيبل Mayer & Briyhtbill & ينقسم إلى ثلاثة بنود:

١- وقت البقاء (الذي يتم فيه تناول الطعام والنـوم والعناية الشخصية).

٢- وقت المعاش (المستغرق في العمل).

٣- وقت الفراغ (الوقت الحر).

بينما تنقسم ميزانية الوقت في النموذج الرابع لتشارلز وبيوكر Charles & Bucher إلى أربعة بنود:

١- وقت الدراسة بالمدرسة (وقد أغفل النموذج هنـا أن الدراسة يمكن أن تتم في مؤسسات تعليمية كثيرة أخرى).

٢- وقت العمل.

٣- وقت الأكل والنوم.

٤- وقت الفراغ.

وفي نموذج خامس تم عرض ميزانية للوقت في أبسط تصنيف وهو وقت للعمل، ووقت للهو Time for Play أو وقت حر Free Time أو وقت الفراغ Leisure يمكن للإنسان أن يمارس فيه أنشطة أخرى غير العمل مثل الأكل والنوم واللهو... إلخ (ليلى عبد الجواد. ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، ص ١١، ١٢؛ هارولد فوجيل، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م، ص ٣، ٥).

وفي جميع الدراسات، قصد بوقت العمل، ذلك الوقت المستغرق في ممارسة الأنشطة الاقتصادية بهدف التكسب والوفاء بالاحتياجات المعيشية المختلفة ولذلك اعتبر قسما أساسيا من وقت الإنسان بينما اعتبر ما عداه من وقت وقتًا حرا أو وقت فراغ تتم فيه ممارسة الأنشطة الأخرى التي اختلفت الدراسات في تحديد كنهها أو أقسامها كما سيتضح ذلك تفصيلاً في جزء منفصل متقدم.

أما ما يثير الدهشة والتعجب والأسى أيضا فهو عدم أخذ وقت التعبد وأداء الفرائض وتقوية صلة الإنسان بخالقـه في الاعتبار مع أن أساس تواجد الإنسان على الأرض هـو التعبد **وما خَلَقْتُ الْجِن والإِنْس إِلا لِيعبدون** (الـذاريات: ٥٦)، ومن المثير أن غالبية الدراسـات التـي استعرضـت تصنيفات الوقت، قامت بتحديدها بناء على دراسات ميدانيـة لعينات بشرية كبيرة! فهل أصبحت العبـادة – يـا تـرى – عنصرا مهملاً في قائمة البشر أم أن ذلـك يحـدث كنتيجـة طبيعية لصفة العلمانية التي تتصف بهـا الدراسـات التـي تناولت عنصر الوقت بالشرح وبالتحليل والتي تعمدت إسقاط الوقت المستغرق في التعبد من الاعتبار اتباعا لقاعدة فصـل العلم عن الدين التي بدئ في تكثيف تطبيقها منذ القرن الثامن عشر؟! على أية حال، فسوف تتضح الأهمية البالغـة لـذلك القسم التعبدي في سياق الفصل المنفرد بالمنظور الإسـلامي لتحليل الوقت الذي سيتم عرضه لاحقًا، وسوف يتأكد – حتى للمتجاهلين للأمور الدينية – أن في النموذج الإسلامي وسيلة الإنقاذ الوحيدة لمشكلة "تلوث الوقت" التـي أصـبحت كـل

مجتمعات العالم تعاني من تضخمها وتئن من آثارها الاقتصادية والاجتماعية بل والصحية المدمرة.

وعلى أية حال، فإن وقت الفراغ أو الوقت الحر يتسم بأهمية خاصة من الناحية الدراسية والعملية مما يستلزم تخصيص جزء خاص بتوضيح بعض الجوانب الهامة المتعلقة به كما وردت في الدراسات الوضعية. ولكن قبل ذلك، نود الاسترسال في سلسلة النقاط المحورية وفقًا للتصور المرحلي المشار إليه في بداية ذلك الفصل، وبناء عليه يعرض في الجزء التالي بض الجوانب الهامة المتعلقة بإدارة الوقت الذي يفترض أنه قد تم توزيعه بين الاستخدامات المختلفة له في مرحلة سابقة على النحو الذي تم توضيحه توا.

٢/٢: إدارة الوقت The Management of Time:

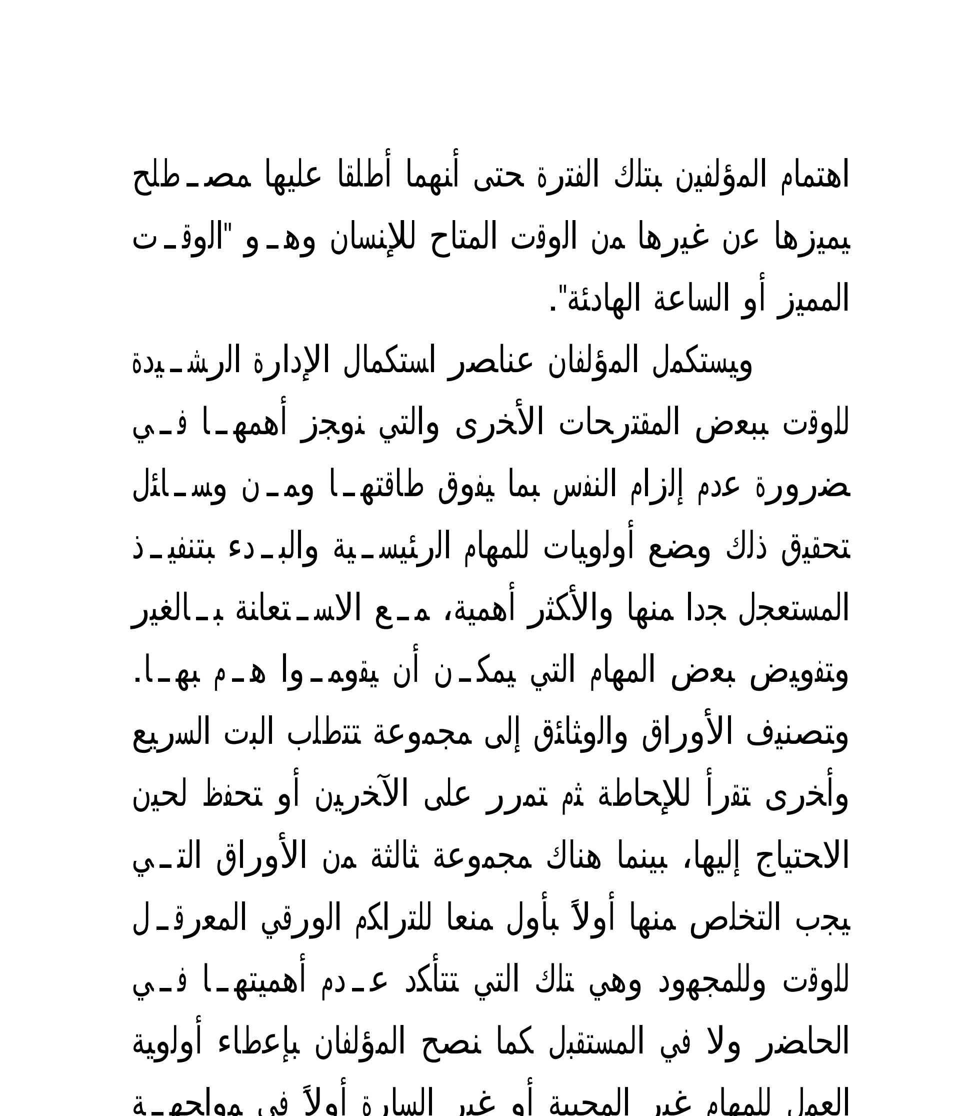
يقول العالم الأمريكي (دايل تيمب، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، ص ٦٣) أن "إدارة الوقت تعني إدارة نفسك" بمعنى أن الانضباط الذاتي هو مفتاح إدارة الوقت. ويفسر ذلك العالم

المقولة السابقة بتمهيد تم شرحه في مقدمة كتابـه (المرجـع السابق، ص ١١، ١٢) حيث يشير إلى أن إدارة الوقت تقوم على استعداد للالتزام الشخصي بترتيب وتنظـيم إجـراءات العمل اليومية وعاداته ووضع أولويات لهـا. كمـا يوضـح المؤلف أن الإدارة الجيدة للوقت تزيد الإنتاجية وترفع الأداء العام. وتتيح للإداري وقتًا أكبر يكون تحت تصـرفه بحيـث يمكن للإداري أن يقيم الأمور ويجد الحلول ويخطط للمستقبل بشكل أفضل، ويوضح ويليام ويلكينسين (الذي امتلك شـهرة عالمية في إدارة شئون الموظفين) أنه بينما يمكـن للطاقـة والمال والمهارة أن يتم استرجاعها وتنميتها، فإنه على عكس تلك الحال، نجد أن الوقت الذي يذهب لا يمكـن اسـترجاعه أبدا ومن ثم فهو يعتبر من أكثر السلع المستخدمة في الأعمال شيوعا ومن أكثرها قيمة بينما غالبا ما لا ينظر إليه هكذا أبدا حيث غالبا ما يركز الإنسان على (تمضية) الوقت أكثر مـن توجيه الاهتمام بكيفية استغلاله (المرجع السابق، ص ٢٤).

ويوضح المرجع السابق أن الوقت يحـدث توزيعـه على الكل بالتساوي، فكل إنسان متاح له من الوقت الثابـت ٢٤ ساعة يوميا، و٧ أيام في الأسبوع، و٥٢ أسـبوع فـي

السنة. وبالتالي فإن العبرة هنا هي كيفية تقدير أهمية ذلك الوقت المتاح وكيفية إدارته بشكل رشيد خاصة وأنه – كما تقول الدراسة – يمثل أغلى مورد شخصي (جيتندر ميشرا، برابها كرا ميسرا، المرجع السابق، ص ٣١) (Jitendra Mishra, Prabhakra Misra).

وبناء عليه يقترح المؤلفان السابق الإشارة إلى رأيهما توا منهجا نموذجيا لترشيد استغلال الوقت وإدارته بأفضل شكل ممكن وذلك بالبدء أولاً بتحديد الأهداف الشخصية وتلك المتعلقة بالعمل ثم وضع أولويات لتلك الأهداف وترتيبها وفقًا لدرجة أهميتها، ويعتبر المؤلفان أن الأهداف لابد أن تستخدم كجزء أساسي من حياة المرء الشخصية والعملية، وأن تستخدم أيضا كأداة جيدة لإدارة الوقت المتاح. ويوصيان بألا يكون جدول وقت المرء مزدحما بعدد من الأهداف الرئيسية والفرعية التي تفوق طاقة الإنسان، كما أشارا إلى أن لكل إنسان وقت مميز يتراوح من ساعة إلى ساعتين في اليوم، وأن ذلك قد يكون في الصباح الباكر أو في آخر الليل، وعلى المرء القيام في خلال ذلك الوقت المميز بأكثر الأعمال والمهام أهمية وارتباطًا بأهم أهداف المرء. ولقد اتضح تركز



اهتمام المؤلفين بتلك الفترة حتى أنهما أطلقا عليها مصطلح يميزها عن غيرها من الوقت المتاح للإنسان وهو "الوقت المميز أو الساعة الهادئة".

ويستكمل المؤلفان عناصر استكمال الإدارة الرشيدة للوقت ببعض المقترحات الأخرى والتي نوجز أهمها في ضرورة عدم إلزام النفس بما يفوق طاقتها ومن وسائل تحقيق ذلك وضع أولويات للمهام الرئيسية والبدء بتنفيذ المستعجل جدا منها والأكثر أهمية، مع الاستعانة بالغير وتفويض بعض المهام التي يمكن أن يقوموا هم بها. وتصنيف الأوراق والوثائق إلى مجموعة تتطلب البت السريع وأخرى تقرأ للإحاطة ثم تمرر على الآخرين أو تحفظ لحين الاحتياج إليها، بينما هناك مجموعة ثالثة من الأوراق التي يجب التخلص منها أولاً بأول منعا للتراكم الورقي المعرقل للوقت وللمجهود وهي تلك التي تتأكد عدم أهميتها في الحاضر ولا في المستقبل كما نصح المؤلفان بإعطاء أولوية العمل للمهام غير المحببة أو غير السارة أولاً في مواجهة فعالة تجنب صاحبها عمليات التأجيل أو المماطلة التي لا تتلاءم مع وجوب اتخاذ القرارات في الوقت المناسب (لمزيد

من التفاصيل: ارجع إلى المرجع السابق مباشرة، ص ٣٤-٣٧، ٤٢، ٤٣). ونتيجة لأهمية مواجهة المواقـف الصـعبة وضرورة حلها أو معالجتها في الوقت المناسب، فقـد أدلـى كثير من خبراء الإدارة بدلوهم وقدموا بعـض المقترحـات المفيدة في ذلك الأمر، نختار منها اقتراحا طريفًا بأن يتبنـى المؤجلون لخطة أو لعمل ما، وقتًا قدره خمس دقائق أخـرى (وهكذا) إذا وجدوا لـديهم الاسـتعداد للاسـتمرارية، و إلا فليتحولوا إلى شيء آخر بعد انتهاء الفترة الأساسية المقترحة للمواجهة على أن يعاودوا الكرة كل يوم حتى ينتهي الأمـر (لمزيد من التفاصيل: ارجع إلى المرجع السـابق، ص٤٥٥، ٤٦٦).

والواقع أن موضوع إدارة الوقت هو موضوع إداري – كتخصص علمي – بالدرجة الأولى، كما أنه يتداخل فـي مضموناته مع ما سوف يتم التحدث عنه علـى الصـفحات التالية من نقاط محورية أخرى مختلفة. لذا، يفضل الاكتفـاء بما تقدم من توضيح حول تلك النقطة، ولكن قبل الانتقال إلى النقطة التالية نود أن ننوه إلى أن كثيرا من البشر يقعون في خطإ تلقائي خطير العواقب وهو (تمضية) الوقت المتاح لهـم

أو (أوقاتهم) بشكل عشوائي، تاركين للظروف وللأحداث وللآخرين مهمة توجيه حياتهم التي تقاس في الواقع بالوقت الإجمالي المتاح لهم في الحياة الدنيا، ويحدث ذلك في الدول المتخلفة خاصة، وفي وقت الفراغ على وجه أخص. والمتأمل في التوجيهات الشرعية سيتأكد له أن الإسلام لا يقر تلك التلقائية والعشوائية في تمضية الوقت المتاح وفي إدارته، طالما أن كل إنسان سوف يسأل عن كل لحظة في عمره كيف قضاها أو بالمعنى الأكثر دقة (أفناها) حيث إن كل لحظة في حياة الإنسان تنقضي لا يوجد بديل لها أبدا، فهي تنقضي وتفنى بكل ما كانت تتضمن من فرص استغلال واستثمار إيجابيين. وذلك ما سوف يتضح بشكل أكثر تفصيلاً ودقة في جزء متقدم من ذلك العرض.

وإن كان الإنسان مطالب بتنظيم كل ما يتاح له من وقت وبترشيد استغلاله، فما من شك في أن الأهمية في تحقيق ذلك تتزايد في ترشيد استغلال الوقت المخصص للعمل من أجل التكسب. وهنا تتضح لنا مشكلة كبيرة بل وضخمة عادة ما تمثل بؤرة فساد مهلكة لكثير من الأعمال الاقتصادية أو التعليمية أو ما شابهها وتتمثل في

(البيروقراطية) تلك الكلمة المخيفة التي تنطوي علـى تعقـد إجراءات العمل ومراحل الإنجاز وتشابكها بـدون داعٍ ممـا يمكن أن يؤدي إلى تبديد وقت المرتبطين بالأعمال المصابة بتلك الآفة المدمرة، بل وفي كثير من الأحيان تفسد الأعمـال وتنحرف عما استهدف لها. أو فـي أفضـل الأحـوال يـتم إنجازها بخسائر كبيرة... أو في وقت غير المستهدف ممـا يقلل من جدوى ثمارها ذلك ما يدعونا إلى محاولة التعـرف على نظام الوقت المحدد الذي اهتمت بعض الدراسات بإبراز جدواه كوسيلة فعالة لترشيد استغلال الوقت المتاح خاصة في المعاملات والعمليات الاقتصادية والوظيفية المختلفة.

٣/٢: نظام الوقت المحدد Just in Time System:

من العبارات التي ينتشر ترديدها على ألسنة العامـة والمتخصصين، مقولة (فات الميعاد) It's too late؛ كما يقال (هذا ليس وقته) It's Not the Right Time ويقال أيضـا (قبل الأوان) It's too early، وعلى الرغم من أن مثل تلك العبارات ومرادفاتها أحيانًا ما يتم ترديدها بشكل عفـوي، إلا

أن واقع مضمونها ينطوي على قاعدة علمية بالغة الأهميـة وهي أن العمـل أو الأداء أو السـلوك النـاجح يـرتبط – بالضرورة – بالتوقيت الناجح، وكم من أعمـال وسـلوكيات فشلت في ضخ منافعها برغم نجاحها في حد ذاتها وكان ذلك نتيجة لأدائها أو لبدئها أو لإنهائها في وقت غير صحيح ولا مناسب لطبيعتها أو لغيرها من الأمور والأطراف المتعلقـة بها، ويتضح ذلك بشكل كبير في كثير من أنواع التعبد (ففي رمضان مثلاً يصوم الإنسان كل الشهر حيث يبـدأ صـيامه بمجرد أن يحين وقت الفجر، فـإن تنـاول أي شـيء مـن المفطرات بعد ذلك الوقت يجعل المرء مفطرا حتى إن صام بقية اليوم، كما أنه بمجرد أن يحين وقـت المغـرب فعلـى الصائم أن يفطر ولا يستحب التأخير في ذلك. كمـا أن أداء المصلي في غير الأوقات المشروعة لا يصـح... وهكـذا) وكذلك نجد أن تلك القاعدة ترتبط ارتباطـاً وثيقـًا بالعمـل الاقتصادي، ولهذا فإن أحد وسائل تحسين مستوى وأداء ذلك العمل يتمثل في القضاء على البيروقراطية التي تنطوي على تعقد الإجراءات وإطالة وقت الإنجاز أو تعطيل تحقيقه فـي الوقت (المناسب). ومن هنا تبرز أهمية النظام العلمي الـذي

تبنته العلوم الإدارية على وجه الخصوص وهو نظام الوقـت المحدد Just – In Time System والذي يرمز له عـادة بالرموز الثلاثة JIT.

والنظام المذكور يمثل "نظام الإنتاج الذي تـتم فيـه عمليات الإنتاج وحركة الموارد والسلع... إلخ عندما تكـون مطلوبة، فتكون النتيجة مخزونًا قليلاً جدا وفق نمط الإنتـاج من اليد إلى الفم" (نجم عبـود، ١٤١٦ هـ ـ/ ١٩٩٥م، ص ٢١).

وذلك النظام يهدف أساسا إلى زيادة سرعة اسـتجابة العملاء وإقبالهم على المنتج المطبق عليه ذلك النظـام، مـع تدنية قوائم الموجودات من المخزون إلى أقل قدر ممكن حيث إن تزاحم بنود تلك القوائم يدل على تكدس المخزون الـذي يدل بدوره على سوء التخطيط الإنتاجي وعلى سوء عمليات تصريف المنتجات وبيعها في الوقت المناسب، كما أن مـن أهداف ذلك النظام أيضا (والذي يمثل أحد منافعه على وجـه آخر)؛ بتدنية الفاقد إلى أقل قدر ممكن طالما سيراعي الإنجاز المرحلي كل في وقته الملائم، وبالإضافة إلى ذلك فهو يتـيح تحقيق شرط الشفافية transparency في عمليات الإنتـاج

والتوزيع التي يفترض أنها تتحقق في أوقات محددة ومعروفة مسبقًا للجميع (ستيفن تين هـاف وآخـرون، ١٤٢٤ هـ ـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٠١).

ووفقًا لذلك النظام، اعتبـر الوقـت هـو الأسـاس الجوهري لبناء أي نظام جيد وهو يطبق في مجال المبادلات على أساس استخدام قاعدة "الوصول اليوم والاستخدام غـدا" وبالتالي فهو يرتكز في جانب منه على الوقت في إزالة الهدر وتدنية حجم الفائض بالحرص علـى عـدم الإنتـاج (قبـل الأوان)، وعلى قصر فترة التوريـد Lead Time وكـذلك أيضا على قصر وقت الإعداد Set – up Time. ومع هذا، فالنظام المذكور يتضمن تطبيق عناصر أخرى بالإضافة إلى الوقت لا داعي لذكرها هنا ولكن يمكن القول بأن ذلك النظام يقوم على شرط مزدوج هو الإنتاج حسـب الحاجـة؛ وفـي الوقت المحدد.

والنظام المذكور نشأ بشكل أساسي في اليابان وتـم بلورته وتطويره وإعداده للتطبيق العملي بالتحديد من خـلال شركة تويوتا اليابانية وكان ذلك في فتـرة السـتينات، وتـم تطبيقه بعد ذلك – لأول مـرة – فـي الولايـات المتحـدة

الأمريكية وكان ذلك في عام ١٩٨٠ في أحد المصانع ثم بدأ تطبيقه في الاتساع ليشمل قطاعات أخرى أمريكية وليمتد إلى جهات اقتصادية كثيرة في مناطق أوروبا وأمريكا الجنوبيـة والوسطى بعد أن ثبت نجاحه في إزالة الهدر فـي عمليـات الإنتاج وخفض المخزون وجدولة الإنتاج. وبلغة الأرقام، فقد ثبت أن مراعاة تحديد الوقت المناسب للإنتـاج وللمخـزون وللتوريد مع مراعاة بقية العناصر التي يتضمنها ذلك النظام قد أدت إلى زيادة إنتاجية العمل بنسب تتراوح من ٢٠% إلى ٥٠%، وزيادة استغلال طاقة المعدات بنسـب ٣٠ – ٤٠%، وخفض وقت التحميل الصناعي بنسب ٨٠ – ٩٠%، وخفض تكلفة الإخفاق (ضرورة إعادة العمل لإصلاح عيـوب فيـه) بنسب ٤٠ – ٥٠%، وخفض تكلفة شراء الموارد بنسب ٨ – ١٥%، وخفض كمية المخزون إلـى ٥٠ – ٩٠% وكـذلك حدث تقليص في احتياجات الصناعة إلى ٣٠ – ٤٠% مـن الموارد اللازمة في العادة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلـى: نجم محمد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠ – ٢٦).

والواقع أن ذلك النظام يجب أن يعمم تطبيقـه لـيس على المستوى الجغرافي للعالم فقـط، ولكـن أيضـا علـى

المستوى الفردي أيضا حيث يجب على كل فرد أيا ما كـان وضعه أو خبراته أن يقوم بتنظيم وقته بدقة وأن يحدد تصورا محددا وواضحا لما يجب عليه أن يقـوم بـه مـن أعمـال والتزامات على مستوى اليوم، والشهر والسنة، وبحيث يـتم كل في الوقت المحدد له تماما – هنا تبدو الأهميـة البالغـة للنموذج الإسلامي الذي يحرص على استغلال كل فيمتو ثانية في حياة الإنسان بشكل رشيد والذي ينطوي على توجيهـات يمكن أن تنظم حياة الإنسان المعيشـية والترفيهيـة بشـكل متوازن وثابت يضمن معه تدنية الفاقد من الوقـت أو مـن المجهود إلى أقل قدر ممكن. وذلك ما سوف يتم توضيحه في حينه.

وعلى أية حال، فإن قاعدة أو نظام الوقـت المحـدد تنطوي على افتراض أن ما عداه يكون وقتًا ضائعا مهـدرا لأن الأمر المستهدف لم يتحقق في الوقـت المناسـب لـه. ويدعونا ذلك إلى محاولة التعرف على ذلك (الوقت الضائع) الذي يجب تجنب الوقوع في براثنه – وذلك ما سيتضح فيما يلي:

٤/٢: الوقت الضائع Wast Time:

بالإضافة إلى فريدريك تايلور، يعتبر "نـابيج" مـن علماء الإدارة الذين كانت لهم إسهامات ريادية متميـزة فـي مجال دراسات الوقت الضائع. ولقد طالب نـابيج بضـرورة تدنية الوقت الضائع إلى أقل وقت ممكن من خلال اسـتخدام الساعات الدقيقة (سيد الهواري، ١٣٩١ هـ ـ/ ١٩٧٠م، ص ٢٢).

ووفقًا للمعنى المذكور توا، فـإن الوقـت الضـائع أو مرادفاته يمكن أن ينطبق على كل الأمـور والأوضـاع الحياتية والتكسبية للإنسان، ولكن يفضـل التركيـز علـى توضيح ذلك المفهوم فيما يتعلق بميـدان العمـل والنشـاط الاقتصادي حيث إن ذلك يتلاءم بشكل مباشر مـع الطبيعـة الاقتصادية التي تقوم عليها الدراسة الحالية.

وفيما يتعلق بمجال العمل الرسمي، عادة ما يسـتبعد من أشكال الوقت الضائع، الإجازات القانونيـة والإجـازات الرسمية التي يحصل عليها الموظف العام باعتبارهـا حقـا متفق عليه مسبقًا بعدم إنجاز أي عمل رسمي فـي خلالهـا. ولقد حسبت تلك الفترة المستثناة من أوقات العمل الرسمية في

مصر فتم تقديرها بنحو ١٠٥ يومـا سـنويا فـي مصـر! (عبد الخالق فاروق، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٤) وذلـك يعني أن العامل في مصر يقضي نحو ثلث الوقت الإجمـالي المقرر في مجال العمل الرسمي في حالة توقف رسمي عـن ممارسة ذلك العمل، فإذا ما أخذنا في الاعتبار أيضا الأشكال الأخرى من الإجازات التي يكثر الحصول عليها بشكل غير رسمي والإجازات المرضية، وذلك الوقت الذي يضـيع ولا يستغل في العمل نتيجة لمعاناة كثير مـن مجـالات العمـل الحكومي من مشكلة البطالة المقنعة، وذلك الوقـت المهـدر نتيجة لكثرة الأذونات والاعتذارات عن تمضية يـوم عمـل كامل لسبب رسمي أو لغيره من الأسباب وما أكثرها في ذلك المجال، فإننا يمكن أن نتصور ضـخامة المـأزق الزمنـي التشغيلي الذي تعاني منه الغالبية العظمى من مجالات العمل الرسمية، والذي يعني بلغة الاقتصاد ارتفاع تكاليف العمل في جزء منها بدون أن يكون هناك مقابل إيرادي أو اسـتثماري يبررها أو يستفاد منه لتعويضها، وهنا تكمن مشكلة فاقد وقت العمل الرسمي: تكلفة أكبر من العائـد؛ وطاقـات ومـوارد مهدرة لا تستغل بكاملها.

ويمكن تصنيف فاقد وقت العمل الرسمي (أو الوقـت الضـائع) إلـى نـوعين مـن الفواقـد: الفاقـد الحتمـي Compulsery وهو الذي تفرضه طبيعة العمل وظروفـه، وهو يتمثل في الإجـازات القانونيـة المسـتحقة للموظـف أو للعامل، وتلك الأوقات التي يقتطعها الموظف مـن وقـت عمله الرسمي في اتصـالات أو تـنقلات متعلقـة بالعمـل أو لقضاء الحاجة أو للراحة. وذلك النوع من الفواقد الزمنية يطلق عليه "وقت المسموحات" وهو عادة ما يمثل نحو ١٥% إلى ٢٠% من وقت العمل الرسمي، أما النوع الثاني فيطلـق عليه الفاقد غير الحتمي Uncomplusery وهو ذلك الـذي ينشأ عن عمد أو عن إهمال ويتمثل في أي جزء من وقـت العمل الرسمي يتم تضييعه وعدم قضـائه فـي أداء العمـل الرسمي بدون مبرر مقبول، وعادة ما يحـدث ذلـك نتيجـة لمعاناة نظام العمل الرسمي من عدم الانتظام وعدم الجديـة وعدم الانضباط أيضا مما يستوجب تصـحيح ذلـك. (عبـد الخالق فاروق، المرجع السابق، ص ٢٤، ١١٣).

ويتضح من التصنيف السابق أنه لـيس بشـرط أن يعتبر كل الفاقد من وقت العمل (ضـائعا) أو (مبـددا) وأن

هناك بعض المعايير التي يمكن الاستعانة بها لتقيـيم حجـم التبديد الذي يمكن أن يوصف به الوقت المفقود، وكلها تتعلق بمدى توافر المبررات الكافية لحدوث ذلك الفقـدان، وهنـا نحذر من التقييم الشخصي الذي يمكن أن يتداخل مع مثل تلك المعايير، فكم من حالات حدث فيها فقدان لجزء مـن وقـت العمل بحجة من تلك (المسموحات) كالتعال مثلاً بالقيام بمهمة تتعلق بالعمل ولكن في مكان آخر خارج نطاقـه المكـاني، وبينما يعتبر ذلك من الصنف الأول (لأنه وقت مقتطع مـن وقت العمل الرسمي من أجل أمور أخرى تتعلق به) نجد أنه يعتبر في الواقع وقتًا ضائعا ومبددا لأن الموظف أو العامـل غالبا ما لا يستغرق سوى جزء فقط من ذلك الوقت المقتطع في أداء متعلقات العمل الإضافية أو الاستثنائية، بينما يمضي بقية الوقت المقتطع في قضاء أمور شخصية ولا علاقة لهـا إطلاقًا بعمله الأصلي.

وإن كنا قد أبدينا تحفظًا فيما سبق لعدم أخـذ وقـت العبادات في الاعتبار كجزء ضروري وأساسي مـن حيـاة الإنسان، فإننا نبدي استنكارنا للدراسات التي تعتبر أن الوقت الذي يقوم فيه العاملون بأداء الصلوات المفروضة في أثنـاء

أوقات العمل الرسمية جزءا من وقت العمل (الضائع). وذلك كما حدث – للأسف – من قبل مؤلف مسلم حين قام بعرض قائمة من العناصر الممثلة للوقت الضائع في أثنـاء العمـل الرسمي، وقام بتعداد أحد عشر عنصرا، واعتبر أن الوقـت المستغرق في الصلاة واحدا منها، وبذلك فقد جعل المؤلـف ذلك البند المقدس متماثلاً مع سلوكيات أخرى دنيويـة مثـل تناول الطعام وإجراء محادثـات هاتفيـة خاصـة وقـراءة الصحف وتبادل الأحاديث الشخصية مـع الـزملاء (انظـر عبد الخالق فاروق، جدول (٤٠)، ص ١٢١).

والواقع، فإنه على عكس ذلك التصور الخاطئ سوف يتضح في جزء متقدم كيف أن الصلاة يمكن أن تعتبر إحدى الوسائل الجوهرية لترشيد استخدام الوقت وتنظيمه، فضـلاً عن أنها يجب أن تعتبر من المتغيرات المستقلة التي لابد أن تترتب بقية الأمور والأوضاع والسلوكيات على تحققها فـي أوقاتها المحددة من قبل خالق الكون وليس العكس كما يعتقد خطأ كثير من البشر عن عمد مستفز أو عن جهل لا يغتفـر ولا يقبل أي تبرير له خاصة إن صدر عـن إنسـان عاقـل مكتمل المدارك!

وبالعودة لاستطرادنا حول سلسلة النقاط المحورية العلمية حول الوقت، فقد لوحظ أن هناك خلطًا كبيرا بين مفهوم الوقت الضائع كوقت سلبي غير مرغوب فيه، ووقت الفراغ أو الوقت الحر كوقت يعتقد أنه يقضى أيضا في أداء أعمال سلبية أو عقيمة طالما أنها لا تتعلق بأي إنجاز اقتصادي تكسبي أو مربح. وإن كنا قد تعرضنا لمفهوم الوقت الضائع وأوضحنا بعض جوانبه وتفسيراته، فعلينا إذن أن ننتقل توا إلى توضيح مناظر لمفهوم وقت الفراغ والوقوف على مدى صحة تداخل ذلك المفهوم مع المقصود بالوقت الضائع.

٥/٢: **وقت الفراغ Leisure**:

وذلك الوقت يطلق عليه أيضا الوقت الحر Free Time أو الوقت غير المشغول Unoccupied Time أو الخالي من الأعمال Free from business أو غير المستخدم Unutilzed ولقد عرفته إحدى الدراسات على أنه: "الوقت المتبقى بعد استبعاد الساعات والدقائق اللازمة لأعمال تتعلق بالبقاء Subsistence (وبصفة أساسية لتناول الطعام وللنوم)؛ وأعمال تتعلق بالعمل

التكسبي Work؛ ولإنجاز جميع الأنشطة المتعلقـة بهـذين النوعين من الأعمال" (هارولد فوجيل، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م، ص٥). ويكاد ذلك التعريف يتشابه مع ما ذكره كل من ماير وبريتبيل ولو أنهم لم يركزوا أساسا علـى تعـريفهم لوقـت الفراغ، بل كان اهتمامهم منصبا على تصنيف ميزانية الوقت المتاحة للإنسان حيث صنفوها إلى ثلاثة بنود أولهـا وقـت البقاء (حيث يتم فيه تناول الطعام والنوم والعناية الشخصية)، وثانيهما وقت المعاش (العمل) بينما اعتبر وقت الفراغ (الذي يعنينا في هذا الصدد) بندا ثالثًا ومكملاً للميزانيـة الزمنيـة المذكورة. وفي تصنيف مختلف بعـض الشـيء لتشـارلز وبيوكر (لميزانية الوقت أيضا وليس لوقت الفراغ كموضوع أساسي) بدئ ببند وقت الدراسة بالمدرسة! ثم جعـل البنـد التالي لميزانية الوقت هو وقت العمل، يليه وقت الأكل والنوم ثم ختم بوقت الفراغ كبند رابع وأخيـر لمكونـات ميزانيـة الوقت (ليلى عبد الجـواد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١١، ١٢). ولقد لوحظ أنه غالبا ما ينظر إلى وقت الترفيه على أنه ذي علاقة تبادلية Trade off مع وقت العمل حيـث يزيـد وقته مع تناقص وقت العمل والعكس بالعكس.

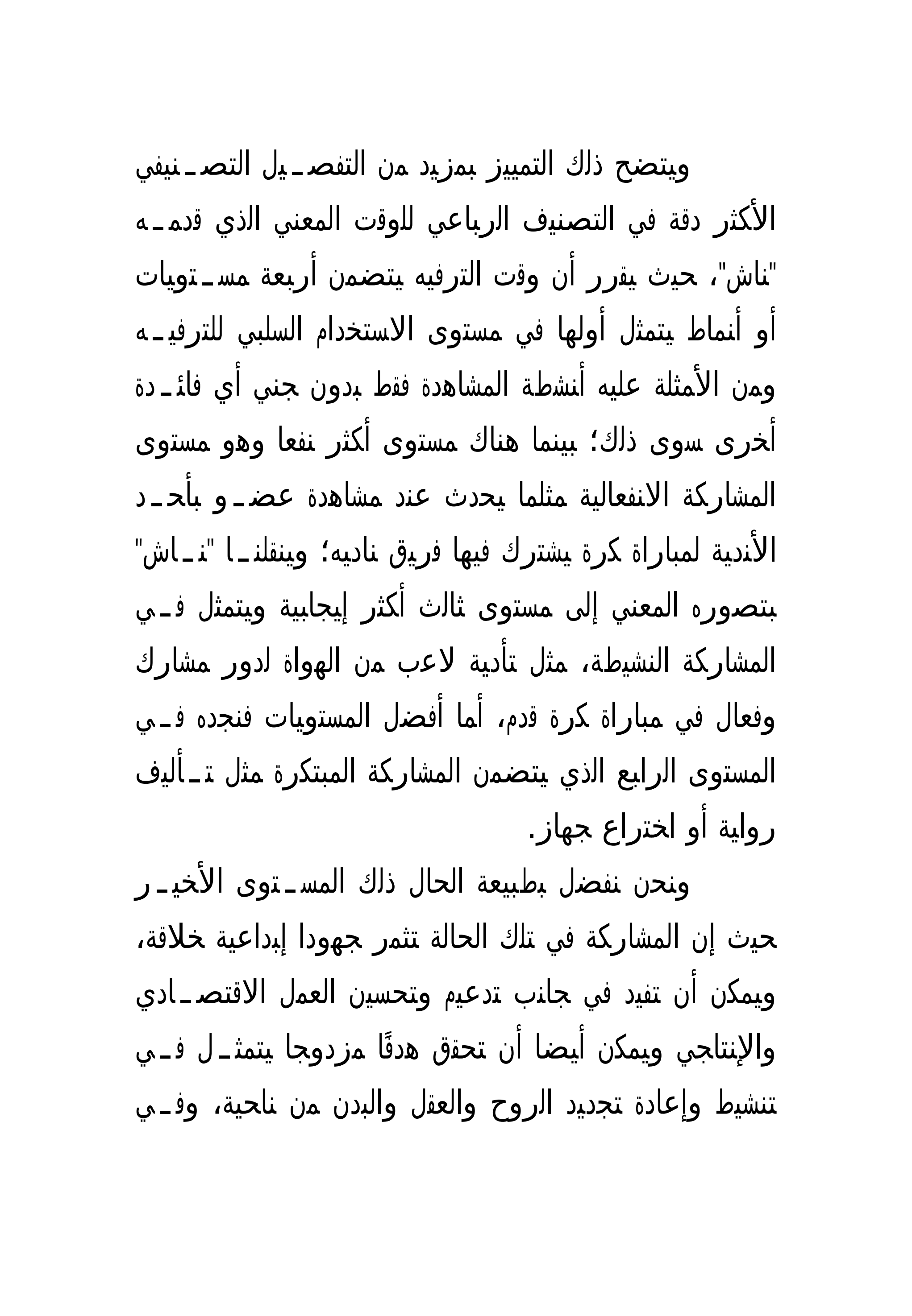
وبعد ملاحظة أن طقوس العبادة وأنشـطة الشـحن الروحي والتواصل مع خالق البشر والكون والرازق لهما من كل شيء قد تم استبعادها كأحد البنود الأساسية التي يجب أن يخصص لها وقت مستقل في ميزانية الفرد، بل وأن الوقـت الذي تتم فيه أحد تلك الطقوس أثناء فترة العمل التكسبي قد تم اعتباره وقتًا (ضائعا)! ترى. هل تم أخـذ ذلـك البنـد فـي الحسبان بحيث يتم إنجازه كأحد أنماط أو أشكال قضاء وقت الفراغ المذكور؟! لنشهد سويا كيف تكون التوجيهات العلمية البشرية بشأن كيفية قضاء وقت الفراغ الذي افترض أيضا – بناء على تلك الدراسات – أنه ليس بوقت للنـوم أو لتنـاول الطعام أو لقضاء الحاجات الشخصية البشرية.

في تصنيف متميز للوقت المذكور، أشير إلى أن ذلك يمكن أن ينقسم إلى وقت حر سلبي واختير لذلك النوع مسمى وقت (الفراغ)، ووقت حر إيجابي واختير له مسـمى وقـت (الترويح) أو وقت (الترفيه) Entertainment (منشـورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٨٠٣هـ ـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٨٩ – ٤٩٠).

وفيما يتعلق بطبيعة قضـاء وقـت الفـراغ، يشـير هارولد، وفوجال (مرجع سابق، ص٥) إلى أنه يتسم عـادة بالاستقرار النسبي في أوقات حدوثه، ومـداها، وكـذا فـي الأنماط المختلفة لقضاء ذلك الوقت ولكن عادة ما تعتري ذلك الوقت تغيرات حادة التذبذب في بعض الحـالات الخاصـة والاستثنائية مثلما في حالة التقاعد عـن العمـل أو فقـدان الوظيفة لسبب ما. وجدير بالـذكر أن المـؤلفين السـابقين (المرجع السابق مباشرة، ص٤) قد تعرضا إلى النقطة التـي تثير تحفظنا وإن كان ذلك بشكل مختلف، فقـد أوضـحنا أن هناك اختلافًا بين المنظور القـديم لقضـاء وقـت الفـراغ والمنظور الحديث لذلك. ومن الأمثلة الهامة على ما جاء في المنظور القديم، أشير إلى أن أرسطو كان يعتبـر (التأمـل) أفضل وسيلة لقضاء وقت الفراغ ولاستجلاب أفضل مشاعر السعادة وشاركه فيبلين (١٨٩٩م) ذلك الرأي وإن كـان قـد اعتبر أن وقت الفراغ لا يتمتع به سوى الأثرياء فقط حيـث أن الفقراء يضطرون للكدح طوال الوقت لتلبية احتياجـاتهم المعيشية الضرورية ومن ثم يرى فيبلين أن وقـت الفـراغ يعتبر أحد مؤشرات التصنيفات الطبقية للمجتمع. أما المنظور

الحديث فيركز فقط على النواحي المادية كوسائل لقضاء وقت الفراغ وذلك إما بفعل أشياء مادية أو بالذهاب إلـى أمـاكن معينة للترفيه doing things or going places ويرى أن ذلك كان كافيا وحده لتجديد نشـاط الجسـم والـروح معـا ولمنحهما الراحـة اللازمـة بعـد بـذل الأعمـال الشـاقة of body and soul recreation ومـن الأمثلـة علـى الأنشطة المقترح ممارستها في أثناء وقت الفـراغ لتحقيـق الهدف المذكور توا ممارسة الألعاب الرياضية مثـل لعبـة التينيس؛ وممارسة الهوايات المسلية مثل صيد السمك.

هذا، ويفرق المؤلفان – السابق الإشارة إليهما – بين وقت الاستجمام re-creation الذي يعني بشكل أساسي وقت تجديد النشاط الجسدي والعقلي والروحي Refreshment of Strength or body, mind and soul ووقـت للتسـلية أو الترفيـه أو اللهـو Amusement or entertainment الذي يتم قضائه بمجرد الحصـول علـى المتعـة الحسـية أو الجسدية وذلك من خلال قنوات مختلفة عـن تلـك التـي سبقت الإشارة إليها وذلك مثل الذهاب إلى الحفلات الغنائيـة والمسارح ودور السيرك (المرجع السابق، ص ٤).



ويتضح ذلك التمييز بمزيد من التفصيل التصنيفي الأكثر دقة في التصنيف الرباعي للوقت المعني الذي قدمه "ناش"، حيث يقرر أن وقت الترفيه يتضمن أربعة مستويات أو أنماط يتمثل أولها في مستوى الاستخدام السلبي للترفيه ومن الأمثلة عليه أنشطة المشاهدة فقط بدون جني أي فائدة أخرى سوى ذلك؛ بينما هناك مستوى أكثر نفعا وهو مستوى المشاركة الانفعالية مثلما يحدث عند مشاهدة عضو بأحد الأندية لمباراة كرة يشترك فيها فريق ناديه؛ وينقلنا "ناش" بتصوره المعني إلى مستوى ثالث أكثر إيجابية ويتمثل في المشاركة النشيطة، مثل تأدية لاعب من الهواة لدور مشارك وفعال في مباراة كرة قدم، أما أفضل المستويات فنجده في المستوى الرابع الذي يتضمن المشاركة المبتكرة مثل تأليف رواية أو اختراع جهاز.

ونحن نفضل بطبيعة الحال ذلك المستوى الأخير حيث إن المشاركة في تلك الحالة تثمر جهودا إبداعية خلاقة، ويمكن أن تفيد في جانب تدعيم وتحسين العمل الاقتصادي والإنتاجي ويمكن أيضا أن تحقق هدفًا مزدوجا يتمثل في تنشيط وإعادة تجديد الروح والعقل والبدن من ناحية، وفي

تحسين مستوى الأداء الاقتصادي الشخصي والقـومي مـن ناحية أخرى. والواقع أن ذلك المستوى الرابع لنموذج "ناش" في قضاء وقت الفراغ أو الوقت الحر أو وقت الترفيه – أيـا كان المسمى – يمكن أن يعتبر ترفيها توافقيا أو ترفيها مكملاً وفقًا لنموذج مناظر للعالم "كيلي". حيث عرف ذلـك العـالم الترفيه التوافقي على أنه النشاط الذي تتم ممارسـته بحريـة ولكنه مع هذا يرتبط بأغراض نفعية. أما الترفيه المكمل فهو يتمثل – وفقًا لرأي "كيلي" – في أي نشاط مكمل للعمل ولكنه يستقل عنه في الشكل أو المحتوى (روبرت ألـين، ١٩٨٩م، ص ٣١).

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت وقـت الفراغ بشكل ضمني أو منفصل، إلا أنه مازال هنـاك خلـط كبير بين المفاهيم والمسميات والدلالات من ناحيـة، وبـين المعايير القياسية التي تحدده وتقيس مداه من ناحية أخـرى. ويمكن أن يستدل على ذلك الخلـط بمـا سـبق عرضـه، بالإضافة إلى بعض النقاط الأخرى مثل تلك التي أثيرت في دراسة هارولد وفوجيل حول اقتصاديات صـناعة الترفيـه (مرجع سبق ذكره، ص٤) فإذا اعتبر وقت الفراغ أو الترفيه

أنه ذلك الوقت الذي لا يتم قضائه في إنجاز عمل اقتصـادي أو تكسبي – فكيف يتم تصنيف الوقت المستغرق في أعمـال وأنشطة متعلقة بذلك العمل أو يمكن لهـا أن تسـاعد علـى تدعيمه مع أنها تحدث في إطار زمني أو مكاني خارجه مثل ذلك الوقت الذي يستغرق في الاستعداد المسبق للذهاب إلـى العمل (كارتداء الملابس المناسبة له وعمليات الانتقال إلـى مكان العمل). وهؤلاء الذين يمارسون أنشطة شـاقة علـى سبيل الهواية والترفيه مثل السباحة والتأليف والغناء... إلـخ إنهم يبذلون بالفعل مجهودا يمكن أن يزيد من العبء الشـاق على الجسد أو على الذهن بدلاً من إراحته. فهل يعتبر ذلـك من قبيل أنشطة وقت الترفيه، أم أنها من أنشطة العمل؟ وإن كان ذلك يتم وفقًا للحالة الأخيرة، فكيف يحدث هذا مع أنه لا يتم بهدف التكسب أو لا يتم الحصول على إيـراد أو دخـل منه؟!

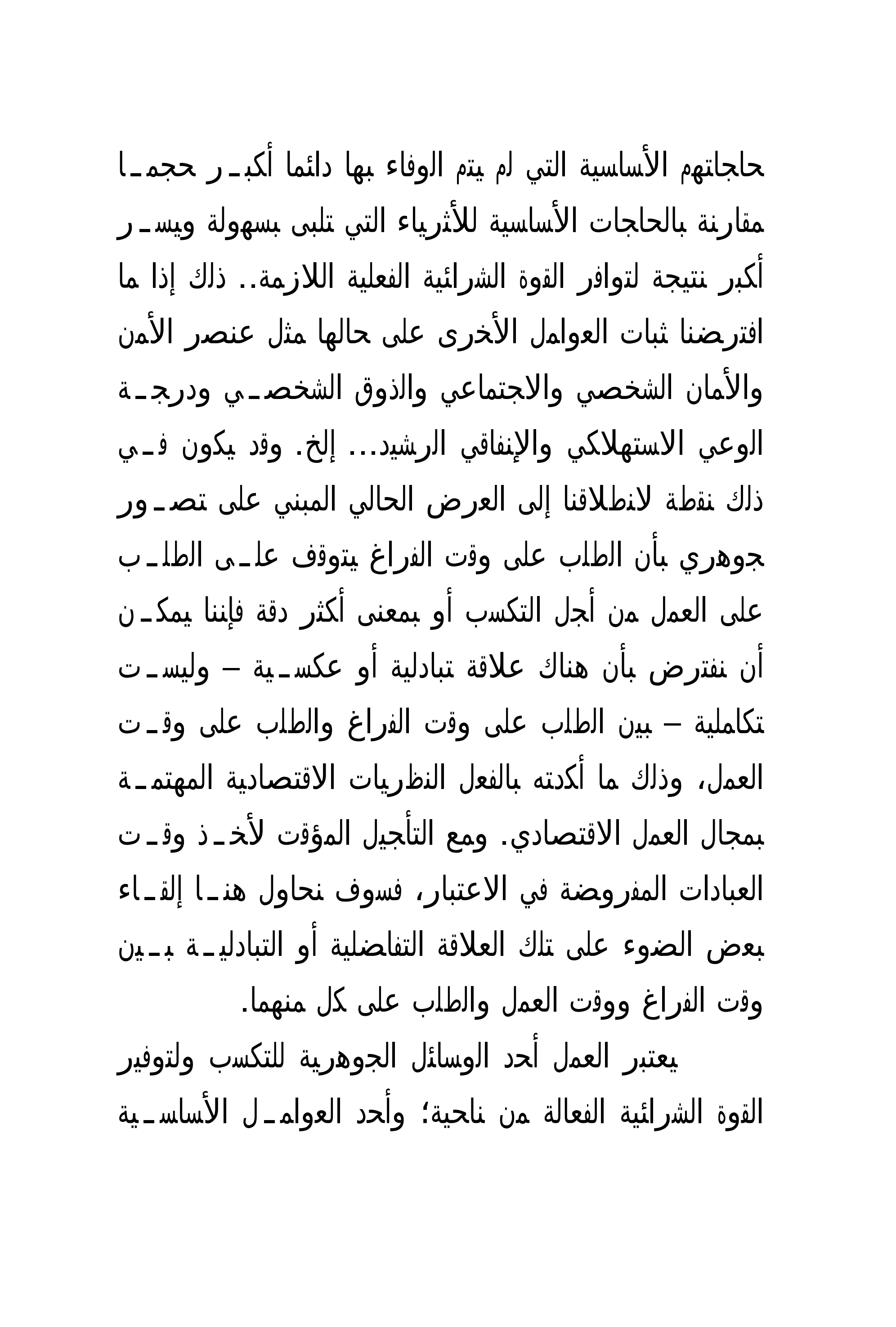
الواقع أن ذلك الخلط يحدث نتيجة لخطـإ الفرضـية الأساسية التي تبناها العلم المعاصـر القـائم علـى الماديـة المطلقة وهي الإصرار على الفصل التام بين وقـت العمـل ووقت الفراغ؛ والدمج التلقائي أو العشوائي بين نفع الجسـد

وحاجة الروح. ذلك ما سوف نجد له حلا حاسما في المعالجة الإسلامية التي سيتم توضيحها في حينه.

وعلى أية حال، فإن تلك الإشكالية السابق الإشـارة إليها توا تحثنا على السعي إلى التعرف بمزيد من التفصـيل على المعالجة العلمية لوقت الفراغ مقارنة بوقت العمل وذلك ستتم محاولة تحقيقه في الجزئية التالية.

٦/٢: المفاضلة بين وقت الفراغ وبين وقت العمل:

من النقاط المثيرة التي استوقفتنا كثيرا أثناء عرضنا للحقائق السابقة، تلك التي طرحها العالم الفيلسوف "فيبلـين" حين اعتبر أن (وقت الفراغ) نعمة لا يمتلكها إلا الأثرياء فقط وأنه لذلك يمكن أن يستخدم كمؤشر طبقي، وكمعيار صـالح للتصنيف ما بين الطبقات، وقد لا يمثل ما قاله فيبلين في هذا الصدد حقيقة كاملة يمكن أن تقبل على إطلاقها، ولكننا يجب ألا ننكر أيضا وجاهة العلة التي تكمـن وراءهـا وهـي أن الفقراء وذوي الدخول المحدودة دائما ما يلهثـون لتحصـيل دخول هزيلة بطبيعتها وبشكل دائم، وفي نفس الوقـت فـإن

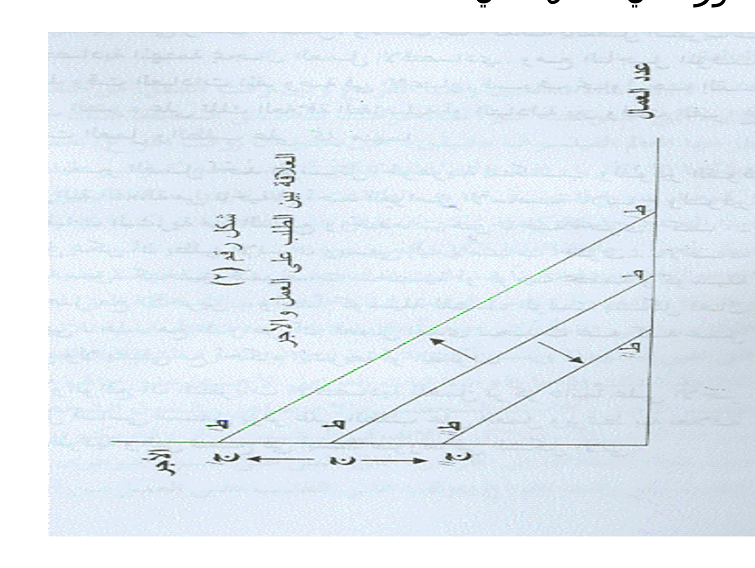


حاجاتهم الأساسية التي لم يتم الوفاء بها دائما أكبر حجما مقارنة بالحاجات الأساسية للأثرياء التي تلبى بسهولة ويسر أكبر نتيجة لتوافر القوة الشرائية الفعلية اللازمة.. ذلك إذا ما افترضنا ثبات العوامل الأخرى على حالها مثل عنصر الأمن والأمان الشخصي والاجتماعي والذوق الشخصي ودرجة الوعي الاستهلاكي والإنفاقي الرشيد... إلخ. وقد يكون في ذلك نقطة لانطلاقنا إلى العرض الحالي المبني على تصور جوهري بأن الطلب على وقت الفراغ يتوقف على الطلب على العمل من أجل التكسب أو بمعنى أكثر دقة فإننا يمكن أن نفترض بأن هناك علاقة تبادلية أو عكسية – وليست تكاملية – بين الطلب على وقت الفراغ والطلب على وقت العمل، وذلك ما أكدته بالفعل النظريات الاقتصادية المهتمة بمجال العمل الاقتصادي. ومع التأجيل المؤقت لأخذ وقت العبادات المفروضة في الاعتبار، فسوف نحاول هنا إلقاء بعض الضوء على تلك العلاقة التفاضلية أو التبادلية بين وقت الفراغ ووقت العمل والطلب على كل منهما.

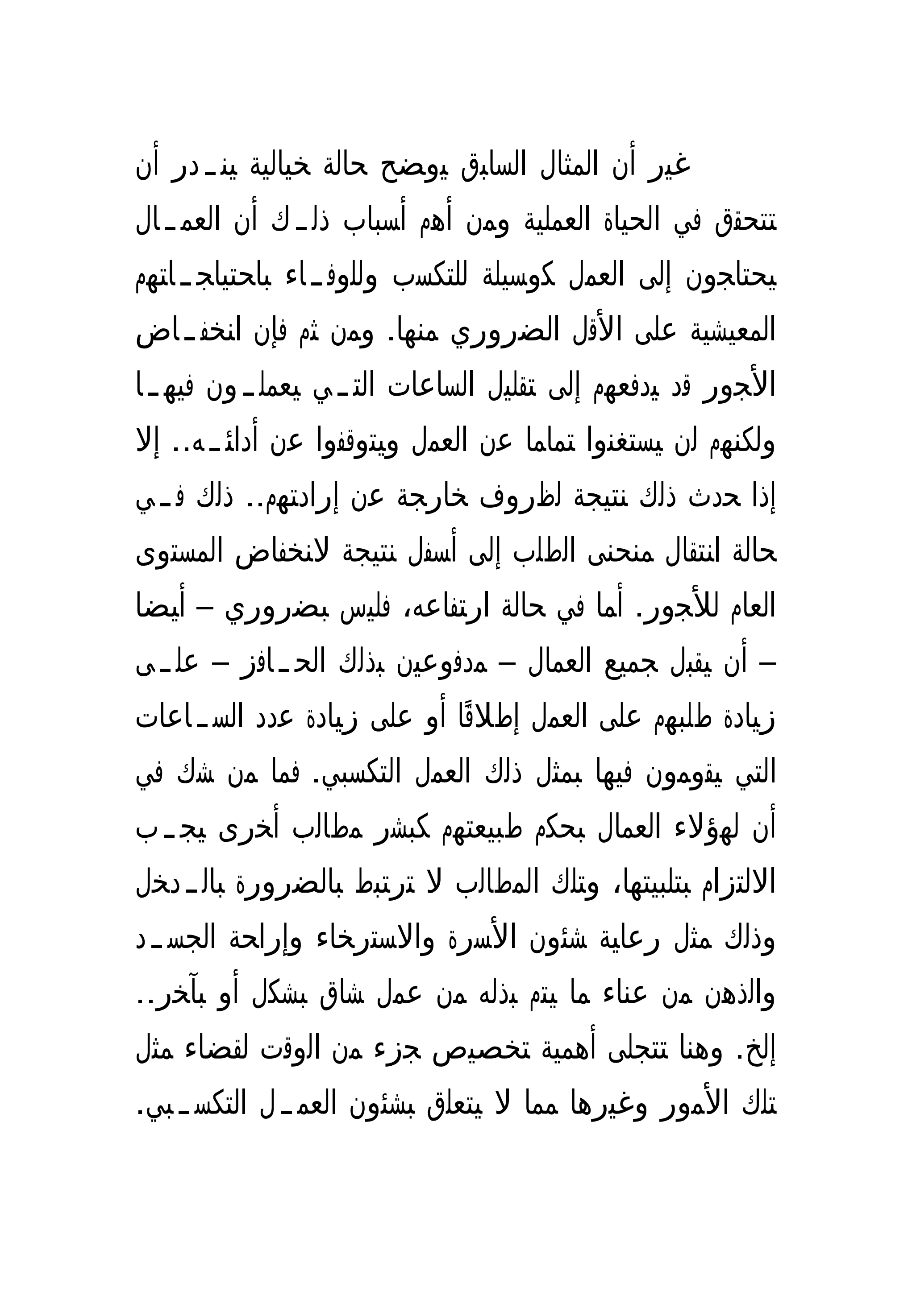
يعتبر العمل أحد الوسائل الجوهرية للتكسب ولتوفير القوة الشرائية الفعالة من ناحية؛ وأحد العوامل الأساسية

للإنتاج ولتوفير المتطلبات البشرية من السلع والخدمات من ناحية أخرى. كما أن العمل يمكن أن يطلبه الإنسان ويسعى إليه لأسباب أخرى – بالإضافة إلى ما سبق – كتحقيق طموحات شخصية أو قومية مختلفة وكوسيلة للتواصل مع الآخرين.. وأيضا كوسيلة لقضاء الوقت بشكل فعال وإيجابي – هذا، مع افتراض أن العمل الذي نتحدث عنه كله عمل إيجابي ولا يتنافى مع أحكام الشريعة أو القانون.

والواقع أن النظريات الاقتصادية للعمل تركز دائما على الأجر كعامل أساسي مستقل يؤثر على الطلب على العمل ويرتبط به بعلاقة دالية طردية والتي تتضح في أبسط صورها في الشكل الآتي:



فوفقًا للشكل (٢) نجد أنه عند متوسط الأجر السائد (ج) كان منحنى الطلب على العمل يتمثل فـي (ط ط)، فـإذا حـدث تغيرات جذرية مستمرة في أسعار عوامل الإنتاج الأخـرى نتيجة لتطور التقنيات الحديثة المستخدمة في الإنتاج بحيـث حدث انخفاض ملحوظ لها. فإن ذلك يعني انخفـاض تكلفـة الإنتاج مما يشجع أصحاب العمل على زيادة طلـبهم علـى العمال من أجل زيادة كمية ما يقومون بإنتاجه وسوف يؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى ارتفاع المستوى العام للأجور وهنـا سينتقل منحنى الطلب على العمل إلى أعلى ليصبح متمثلاً في (طَ طَ). ولكن قد يحدث عكس ذلك نتيجة لحدوث كساد عـام في المجتمع، أو لأن استخدام التقنيـات الجديـدة أدت إلـى ارتفاع تكلفة الإنتاج وبالتالي يؤدي ذلك إلى رفع المسـتوى العام لأسعار المبيعات مما يتسبب في انخفاض الطلب عليها حيث يضطر أصحاب العمل في تلك الحالة إلى خفض أجور العمال أو إلغاء ما كانوا يحصلون عليه من حوافز وفي تلك الحالة يبدأ الطلب العام على العمل فـي الانحسـار نتيجـة لانخفاض المستوى العام للأجر إلى (ج) ويصـبح منحنـى الطلب على العمل الجديد متمثلاً في (طً طً).



غير أن المثال السابق يوضح حالة خيالية ينـدر أن تتحقق في الحياة العملية ومن أهم أسباب ذلـك أن العمـال يحتاجون إلى العمل كوسيلة للتكسب وللوفـاء باحتياجـاتهم المعيشية على الأقل الضروري منها. ومن ثم فإن انخفـاض الأجور قد يدفعهم إلى تقليل الساعات التـي يعملـون فيهـا ولكنهم لن يستغنوا تماما عن العمل ويتوقفوا عن أدائـه.. إلا إذا حدث ذلك نتيجة لظروف خارجة عن إرادتهم.. ذلك فـي حالة انتقال منحنى الطلب إلى أسفل نتيجة لانخفاض المستوى العام للأجور. أما في حالة ارتفاعه، فليس بضروري – أيضا – أن يقبل جميع العمال – مدفوعين بذلك الحـافز – علـى زيادة طلبهم على العمل إطلاقًا أو على زيادة عدد السـاعات التي يقومون فيها بمثل ذلك العمل التكسبي. فما من شك في أن لهؤلاء العمال بحكم طبيعتهم كبشر مطالب أخرى يجـب الالتزام بتلبيتها، وتلك المطالب لا ترتبط بالضرورة بالـدخل وذلك مثل رعاية شئون الأسرة والاسترخاء وإراحة الجسـد والذهن من عناء ما يتم بذله من عمل شاق بشكل أو بآخر.. إلخ. وهنا تتجلى أهمية تخصيص جزء من الوقت لقضاء مثل تلك الأمور وغيرها مما لا يتعلق بشئون العمـل التكسـبي.

وهنا تبرز عملية المفاضلة بين تخصـيص الوقـت المتـاح للإنسان بين العمل الاقتصادي من أجل الحصول على مزيـد من الدخل أو تحقيق المزيد من المنافع المرتبطة بذلك العمل من ناحية؛ وبين الأمور الأخرى التي لا تتعلق بمثـل ذلـك العمل من ناحية أخرى حيث يتم ذلك فيما يطلق عليه بوقـت الفراغ أو الوقت الحر الخـالي مـن أي التزامـات للعمـل الاقتصادي أو الرسمي.

وبالرجوع إلى نظرية قرار العمل Theory of the Decision to Work (رونالد إيرنبرج وروبرت سـميث، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٢٥، ٢٢٦). نجد أن ذلك القرار هو أحد ثلاثة خيارات لكيفية قضاء الوقت حيث إن الخيـار الثاني يتمثل في الأنشطة الترفيهية بينما يتمثل القرار الثالـث في تنمية المهارات الخاصة والقيام بأعمال تساعد على زيادة الفرص المستقبلية للتكسب (مثل التعليم والتدريب والتمـرن على أمور يمكن أن تفيد في المجال المستهدف). ولـدواعي التبسيط يمكن القول بأن قرار العمل يمثل اختيارا ومفاضـلة فيما بين الراحة؛ والعمل لقاء أجر. وبالتالي يعتبـر الطلـب على الراحة هو الوجه الآخر لعرض العمل. ولقد ذكر رونالد

إيرنبرج وروبرت سميث أن وقت الراحة اليومي يمكـن أن يقدر بنحو ١٣ ساعة يمكن خلاله إنجاز كل الأمور الأخرى التي تخرج عن نطاق العمل التكسبي من نوم وتناول طعـام ومقابلة للحاجات الأساسية للبقاء وبالتـالي – وبنـاء علـى تصورهما – فإنه يتبقى نحو ١١ ساعة يجب أن يتم قضاؤها في العمل التكسبي.

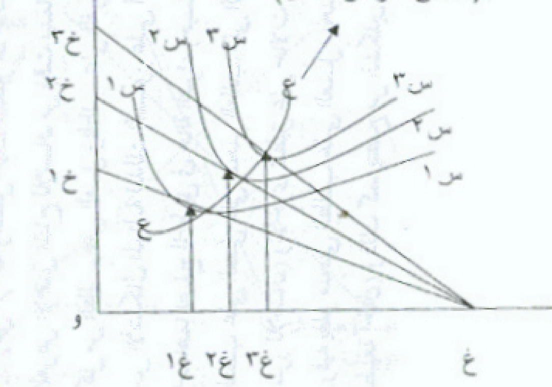
وفي دراسة أخرى (سلطان أبو علي، هنـاء خيـر الدين. ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤٤، ١٤٥)، تم أيضـا اعتبار ساعات العمل في جانب (العرض)، وساعات الراحة أو الفراغ في جانب (الطلب)، ثم قام المؤلفان بتوضيح كيفية المفاضلة بين العمل والفراغ من خلال اسـتخدام منحنيـات السواء وذلك لتحديد ساعات العمل التي يكون الفرد مسـتعدا لبذلها عند معدلات الأجر المختلفة. ولقد تم توضيح ذلك فـي الشكل رقم (٣) على اعتبار أن الدخل من العمـل (المتمثـل على المحور الرأسي) يمثل بطريقة غير مباشـرة تفضـيل العمل. ووقت الفراغ (المتمثل على المحور الأفقـي) يمثـل بطريقة مباشرة وقت الفراغ الذي يختاره الشخص عند كـل مستوى من مستويات الدخل المتاحة من عدد مختلـف مـن

ساعات العمل. وفي الشكل رقم (٣) يلاحظ أننا كلما ابتعـدنا عن نقطة الأصل كلما دل ذلك على زيادة الإشباع المتحقـق من مجموعات الدخل والفراغ المختلفة والعكس بالعكس.

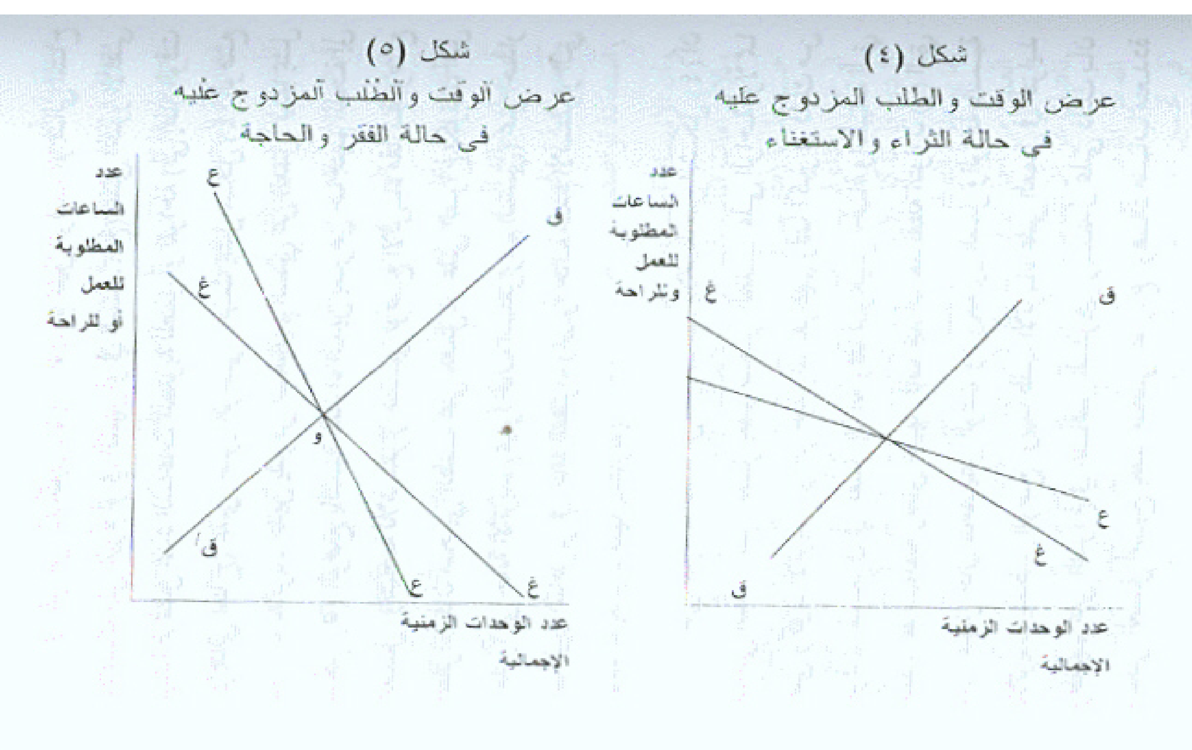
ووفقًا للتحليل السابق، تم افتراض أن هناك حدا أدنى من ساعات النوم لابد للإنسان أن يخصصها للراحة والغـذاء وللنوم وتم تقديرها بعشر ساعات، وفي تلك الحالـة يكـون عنصر (الاختيار) صفرا، لأن الإنسان لا يملك الخيار فـي ذلك، ولكن الخيار والمفاضلة بين الفراغ والراحة يمكـن أن يتما بعد ذلك القدر من الساعات الذي يمكن أن يتمثل بـالخط الأفقي وغ١ عند منحنـى السـواء (س١ س١)؛ وغ٢ عنـد منحنى السواء الأعلى (س٣ س٣). هذا، حيث تتغير ظروف الإنسان عند كل مستوى لتلك المنحنيات وبالتالي يمكـن أن يتغير الوقت (الإجباري) للراحة. وفيما عـدا ذلـك، يمكـن للإنسان إجراء المفاضلة المـذكورة بـين العمـل وزيـادة أو خفض الوقت المخصص للفراغ والراحـة تبعـا لموقـع منحنى السواء الذي يقع عليه.

شكل رقم (٣)

منحنيات السواء لمجموعات الدخل والفراغ



غير أننا نود أن نضيف تصورا آخر لنا عن آلية التحرك التفاضلي بين وقتي الراحة والعمل حيث سنعتبر أن جانب العرض هنا يتمثل في العرض الإجمالي المتاح للإنسان من وقت بينما يتمثل جانب الطلب في كل من الطلب على العمل والطلب على الفراغ. وسوف نقدم نوعين من الأشكال الممثلة لذلك التصور على أساس حالتين متطرفتين إحداهما تصلح للتطبيق في حالة الثراء (حيث يمكن أن يعلو منحنى الطلب على العمل على منحنى الطلب على الفراغ بدون حدوث أي ضرر للإنسان) والأخرى تنطبق على حالات الفقر ومحدودية الدخل (وفيه يعلو منحنى الطلب على العمل منحنى الطلب على الفراغ بطبيعة الحال) وذلك كما يتضح من الشكلين (٤)، (٥).



شكل (٤)
عرض الوقت والطلب المزدوج عليه
في حالة الثراء والاستغناء

شكل (٥)
عرض الوقت والطلب المزدوج عليه
في حالة الفقر والحاجة

في كل من الشكلين (٤)، (٥)، تم تمثيل الوقـت الإجمـالي المتاح للإنسان (في اليوم أو في الشهر أو في السنة.. إلـخ) على المحور الأفقي بينما تم تمثيل عدد الساعات المطلوبـة للعمل أو للراحة (في إطار الوقت الإجمالي المتـاح) علـى المحور الرأسي. حيث يمثل شـكل (٤) الوضـع بالنسـبة للأثرياء الذين يفترض استغناؤهم النسبي عن العمل، بينمـا يمثل شكل (٥) الوضع بالنسبة للفقراء الذين يفترض حاجتهم الملحة إلى العمل. ونتيجة للاستقرار النسبي لوضع الأثريـاء مقارنة بوضع الفقراء، فإن منحنى الطلب على العمل أو على الفراغ يكونان أقل انحدارا في حالة الأثرياء (تمييـزا لحالـة استقرارهم النسبي) عن انحدار المنحنيين المناظرين في حالة الفقراء (تمييزا لحالة عدم الاستقرار التي عادة مـا يعـانون منها بالمقارنة).

وعلى ضوء ما تقدم من افتراضات، يلاحـظ مـن الشكل (٤) أن منحنى الطلب على العمل يعلو منحنى الطلب على الراحة أولاً مما يعني ركون الأثريـاء إلـى الراحـة واستغراقهم وقتًا أكبر في ذلك من الوقت المستغرق في العمل إلا أنه وفقًا لنواميس الحياة والطبيعة التي خلقنا ا سـبحانه

وتعالى عليها، فإننا نجد أنه بعد نقطة التوازن (و) التي تمثل أفضل حال لتخصيص الوقت وتوزيعه بين العمل والراحة بالنسبة للأثرياء، ينعكس الوضع، ويبدأ طلب الأثرياء على العمل في التزايد وطلبهم على الفراغ في التناقص التدريجي ويستدل على ذلك بأن منحنى العمل أصبح يعلو منحنى الفراغ، وهناك أسباب متعددة منطقية لحدوث ذلك التحول منها أن كثرة الإنفاق البذخي للأثرياء بدون وجود موارد مالية جارية تقابل ذلك الإنفاق لابد وأن ينتهي بتحويل هؤلاء الأثرياء إلى حالات من الفقر والحاجة التي تدفعهم إلى معاودة البحث عن عمل من أجل التكسب وسد الثغرة الإنفاقية المنذرة بالاتساع التدريجي بدون وجود وسيلة تمويلية لسدها. وحتى لو فرض جدلاً بعدم حدوث تلك المشكلة التحويلية وتولدها بفعل التأثير الزمني، فإن طول الراحة والابتعاد عن العمل الإيجابي يصيب الإنسان بالملل ويؤثر على علاقاته مع الآخرين الذين لا يجدون وقتًا كافيًا لمجاراته في سلوكياته الترفية وبالتالي فسوف يصبح هؤلاء في حالة عزلة اجتماعية تدفعهم إلى المسارعة إلى القيام بأي عمل مناسب يضمن استعادة تواصلهم مع المجتمع وحفظ

مكانة مناسبة لهم بداخله خاصة وأن الإنسان اجتماعي بطبعه. كما أن أداء فريضة زكاة الأموال والالتزامات المالية التطوعية والإنفاقية الأخرى التي فرضها الشرع أو حث عليها (مثل إنفاق الرجل على أسرته، ومساعدة المحتاج والتواصل الرحمي وأداء فريضة الحج والتضحية كل عام)، كل هذا من شأنه أن يؤدي إلى تآكل الأموال المملوكة مهما كانت قيمتها الإجمالية المرتفعة مما يستلزم التوقف عن الانقطاع عن العمل؛ أو زيادة عدد ساعات العمل من أجل الوفاء بتلك الالتزامات المالية (الشرعية) الجارية.. ناهيك عن أن القاعدة الشرعية تعتبر المؤمن (القوي) خير وأحب عند ا من المؤمن الضعيف، وما من شك في أن العمل الفعال الذي يساهم في تحسين أحوال الفرد والمجتمع يعتبر من الوسائل الأساسية لتحقيق تلك القوة. ويكفي أن نعرف أن كل أنبياء ا ورسله والصالحين كانوا يأكلون من عمل أيديهم حتى الأثرياء منهم مثل سيدنا سليمان عليه السلام (للتعرف على المزيد حول ذلك الأمر ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

ولننتزع أنفسنا الآن، بالتوقف عن تقـديم قائمـة لا نهاية لها من أسباب ومحفزات تفضيل الإنسـان (الفطـري) للعمل على الراحة الترفية حتى نتمكن من الاسـتطراد فـي قنوات موضوعنا الأصلي، حيث ننتقل إلى الشكل رقـم (٥) الذي يوضح حالتي الطلب على العمل وعلى الفراغ بالنسـبة للفقراء الذين تدفعهم الحاجة والعوز إلى الطلب الكامل علـى العمل والسعي إلى استغراق أكبر وقت فـي أدائـه بهـدف تحسين الدخل وتدعيم القوة الشرائية لهم. وفي ذلـك الشـكل نجد – بطبيعة الحال – أن منحنى العمل يعلو على منحنـى الفراغ في البداية نتيجة لما سبق توضـيحه. وعنـد نقطـة التوازن (و) تستقر الأحوال ويسـتطيع هـؤلاء الفقـراء أن يحققوا أهدافهم من العمالة بالتوصل إلـى مسـتوى مـرضٍ للتكسب أو إلى مستوى مهني مقبول إلى آخره من الأهـداف الأخرى المرتبطة بالعمالة. وعند تلك النقطة تبدأ أحوالهم في الاستقرار. ولأنهم قبل هذا لم يحصلوا على قدر كـافٍ مـن الراحة ولم يقوموا بالوفاء بالالتزامات الأخرى بشكل كـافٍ، فإنهم بعد تلك النقطة التوازنية يتجهون إلى الزيـادة النسـبية التدريجية لساعات الراحة أو لعدد الساعات التي لا يقضونها

في العمل التكسبي كي يتمكنـوا مـن الوفـاء بالالتزامـات الأخرى وبالتالي يصبح منحنى الطلب علـى الفـراغ هـو الأعلى ومنحنى الطلب على العمل في وضع أسـفل منـه. ونتيجة لاعتياد الفقراء على العمل وبذل الجهد الشاق والجاد منذ البداية فلا يتصور أبدا أن يستمر اتجاههم في تخفـيض ساعات العمل إلى الصفر.. ناهيك عما ذكرنـا مسـبقًا مـن أسباب ومحفزات تجعل من العمل سلوك بشرى فطـري لا يرفض إلا المنحرفين وغير الطبيعيين من البشر.

ومما سبق يمكن أن نصل إلى نتيجة إجمالية وهو أن الإنسان بطبيعته لا يمكن أن يعيش حالة متطرفة من العمـل المطلق أو الفراغ المطلق أيا كانت حالته وحاجته، غيـر أن عملية المفاضلة بين الوضعين يمكن أن تختلف نتيجة لعـدد كبير من العوامل أهمها الحالة الاقتصادية للمرء.

غير أن هناك عاملاً آخر لا يقل أهمية عن الحالـة الاقتصادية في تأثيره على عمليـة المفاضـلة بـين العمـل التكسبي من ناحية. والراحة والفراغ من ناحية أخرى وهـو اختلاف النوع. وما من شك في أن تخصيص الوقت بالنسبة للمرأة يتسم بخصائص بالغة التميز بحكـم طبيعـة خلقهـا

وطبيعة الدور الأساسي الملتزمة بالقيام بـه وهـو رعايـة الأسرة. لذا، فسوف يتم ختام عرضنا حول الوقت بالحـديث عن التخصيص النسائي للوقت، وللأهميـة الخاصـة لتلـك النقطة بالغة التميز، وحرصا على التأكيد على أهمية التعمق الكافي في بحثها وتحليلها فنحن نفضل أن نطلق على عنوان تلك الجزئية المزمع بحثها "الوقت النسائي".

٧/٢: **الوقت النسائي**:

أيا ما كانت الاتجاهات والجدالات والثقافات، فـدائما وأبدا ما يكون الدور الفطري الرئيسي للمرأة هو رعاية جميع أفراد الأسرة وإدارة شئونها والاضـطلاع بأعمـال الطهـو وتنظيف المنزل وترتيبه وتربية الأطفـال وتقـديم الغـذاء المناسب لهم. وعلى الرغم من كل محاولات عكس الأمـور البشرية (المعدولة) والتي وصلت مبالغاتها إلى السعي إلـى جعل الرجل يحمل بدلاً من زوجته تذرعا بشعارات المساواة النوعية الاستفزازية، فمازالت المرأة تحمل في جزء أساسي من جسدها وعاء التغذية الأول للمولود. وقد ثبـت أن كـل البدائل الغذائية للبن الأم الذي ترضعه لوليدها في بداية حياته تتضمن الكثير من الأضرار المتنوعة (لمزيد من التفاصـيل

ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٨-٢٠). وفي نفس الوقت، فمع مرور الزمن، أصبح خروج المرأة إلى ميدان العمل ومشاركتها في إدارته أمرا مسلما به، وأصبحت ممارسة المرأة للعمل الاقتصادي في بعض الأحيان ضرورة ملحة خاصة مع تزايد نسب النساء اللاتي يعلن أنفسهن أو يعلن آخرين، وتزامن ذلك مع ارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة وأيضا زيادة معدلات تعليم الإناث المقترن بتنامي الطموح الأنثوي في مجالات الأعمال والأنشطة المختلفة.

وبناء عليه، فعلى خلاف الوضع مع الرجل، أصبح على المرأة أن تقسم وقتها وتوزعه بين ثلاث قنوات: أعمال المنزل ورعاية أفراده، والعمل الاقتصادي، والراحة أو الفراغ الذي يمكنها من خلاله الوفاء بحاجاتها الشخصية البحتة واستعادة قواها ونشاطها اللازمين للتمكن من الاستمرار في إدارة رحى عملها الشاق المزدوج.

وسوف يتركز اهتمامنا على بحث عملية تخصيص الوقت للمرأة العاملة على افتراض أن المرأة غير العاملة تتشابه حالتها مع الرجل العامل في أنها تخصص وقتها بين

بندين اثنين مثله: العمل (وهو في تلك الحالة ما تقوم به مـن أعمال منزلية)؛ والراحة أو الفراغ الذي يتم قضاؤه في أمور أخرى مثل النوم وتناول الطعام والترفيه.. إلخ. واتفاقًا مع ما ذكره رونالد إيرنبـرج وروبـرت سـميث (١٤١٤ هـ ـ/ ١٩٩٤م، صـ ٢٢٦)، فسوف نعتبر العمل أو الإنتاج نظيـر أجر أو عائد الذي يتم إنجازه خارج المنزل سواء مثل نظيره الذي يتم داخل المنزل، وذلك مع تحفظنا علـى أن الأخيـر يمنح صاحبه بعض الامتيازات في توفير جزء لا يستهان به من الوقت الذي يستغرق في القيام بأعمـال أخـرى تـرتبط بشكل شبه حتمي – بالعمل خـارج المنـزل مثـل الوقـت المستغرق في الانتقال اليومي من المنزل إلى مكـان العمـل الخارجي والعكس، والتمتع في حالة العمل داخـل المنـزل بوجود وقت مشترك متداخل يمكن القيام فيه بأعمال متداخلة تخص الكسب والمنزل معا (مثل العمل في إعداد الوجبـات الجاهزة وتسويتها واقتطاع جزء منها لأفراد العائلة وإنتـاج الملابس الجاهزة وتخصيص جزء من المتبقي منها لأفـراد العائلة، وكذلك مثل قيام الأم بإرضاع طفلها في ذات الوقـت الذي تمارس فيه عملها الاقتصادي).

ومن الملحوظات الطريفة التي نود أن نبدأ بها فـي هذا الصدد، أن الغالبية العظمى من الدراسات التي تناولـت عنصر الوقت وأثره على الأداء الوظيفي النسائي وعلى حياة المرأة ومن يرتبطون بها بشكل مصيري، كانت دائمـا مـا تركز على نوعين فقط من الوقت، الوقت المسـتغرق فـي رعاية أطفالها وبقية أفراد الأسرة؛ والوقت المسـتغرق فـي أداء مهامها الوظيفية في سوق العمل إن كانت عاملة، وقـد لوحظ بوضوح تجاهل ما يجب أن تخصصه المرأة لنفسـها وتتمتع به من وقت فراغ أو راحة، وكأنه من الطبيعـي ألا تحصل المرأة على مثل ذلك الوقت!!

ولأن تغذية الأطفال خاصة المواليد منهم تعتبر مـن أهم المهام النسائية التي يجب أن يخصص لها وقـت كـافٍ لإنجازها ولإتمامها على الوجه المطلوب، فقد لـوحظ تعـدد الدراسات التي تناولت ذلك الموضوع. وفـي بعـض تلـك الدراسات تم النظر إلى الحالة الغذائية للأطفال كمتغير تـابع يتأثر بمتغير مستقل يتمثل في الوقت المتاح لـلأم، أو الـذي تقوم بتخصيصه من أجل القيام بمهمة تغذية أطفالهـا، هـذا بينما روعي في بعض تلك الدراسات أخذ عامل آخر فرعي

(يتعلق بالوقت المذكور) في الاعتبار التحليلي وهو طبيعة استمرارية ذلك الوقت أي إن كان ذلك الوقت المتاح لتغذية الأطفال مستمرا ومنتظما بشكل دوري وملائم كوضع صحيح مستهدف، أو كان وقتًا متباعد التخصيص أو غير منتظم في حدوثه وتوجيهه إلى الرعاية المستهدفة للأطفال. وفي بعض الدراسات المعنية بذلك الموضوع تقرر اعتبار الوقت المخصص لعمل المرأة (خاصة خارج منزلها) هو المتغير التابع. حيث قد تضطر الأم إلى الانقطاع الكلي أو المؤقت أو الجزئي عن عملها خارج المنزل من أجل التفرغ التام لرعاية أطفالها وتغذيتهم بالشكل الملائم المنشود كوسيلة ضرورية للاستثمار الإيجابي لعمالة المستقبل، في الوقت (المبكر) المناسب، حيث إن إهمال عملية التغذية والإعداد المبكر الصحيح للطفل كي يصبح قوة عاملة إيجابية وصحيحة في المستقبل قد يؤثر سلبا على مقدرته أو كفاءته الاستيعابية والإنتاجية في المستقبل، حيث يصبح وقت العلاج والإصلاح الغذائي والصحي للقدرات البشرية الضعيفة قد فات أوانه خاصة إذا أدى ذلك الإهمال المبكر إلى الإصابة بحالات حادة أو مزمنة من سوء التغذية (انظر على سبيل

المثال: باري بوبكين وفلورينتينو سـولون. ١٩٧٦؛ بـاري بـوبكين، ١٩٨٠؛ دافـانزو & دونالـد، ١٩٨٣؛ كيـنج & روبرت، ١٩٨٣؛ جايل & جريفيث، ١٩٨٤).

وفي دراسة قديمة نوعا ولكنها تتضـمن معلومـات ونتائج تحليلية عالية القيمة مقارنة بالدراسات المناظرة التـي ظهرت في أوقات أحدث (وراي & آجويري، ١٩٦٩)، قـام المؤلفان بتصنيف المتغير المستقل الذي اعتبراه (وقت عمـل الأم خارج المنزل) إلى نوعين، ثـم تـم تحليـل الوضـع المستهدف مع كل منهما على حدة، أحدهما يتمثل في الوقـت الكامل للعمل (Full Time)، والآخر يتمثل في العمل لبعض الوقت أو الوقت الجزئي الـذي تسـتغرقه الأم فـي العمـل (Part Time). حيث أثبت المؤلفـان أن الحالـة الغذائيـة لأطفال الأمهات العاملات لبعض الوقت أفضل من نظيرتهـا لأطفال الأمهات العاملات كل الوقت. حيث يدل ذلك على أن الأثر التربوي السيئ للأمهات على أطفالهن يرجع جزئيا إلى استقطاع الوقت اللازم منحه لرعاية الأطفال وقضائه (كلـه أو بعضه) في أمور أخرى!

ومن منظور مختلف نوعا ما، أوضحت دراسة حول العلاقة بين الدخل والوقت والعمالة النسائية من ناحية وبين تغذية الطفل من ناحية أخرى حقيقة هامة وهي أن هناك عنصرين رئيسيين لرفاهية الإنسان هما السلع goods والوقت time، وأضافت تلك الدراسة بأن عنصر الوقت يمكن بدوره أن يتحول إلى دخل وبالتالي إلى سلع بإحدى وسيلتين إحداهما أن يستغل ذلك الوقت في القيام بأحد الأنشطة التكسبية في سوق العمل الخارجي بحيث يتيح للمرأة العاملة (أو لأي إنسان عامل) فرصة اكتساب دخل وزيادته الذي يتيح بدوره فرصة الحصول على السلع المحققة لمظاهر الرفاهية المنشودة؛ كما أن هناك وسيلة أخرى مباشرة وهي أن تقوم المرأة – داخل بيتها – بإنتاج وبتوفير سلع الرفاهية والتي من أهم أشكالها الوجبات الغذائية الشهية والملائمة لاحتياجات كل فرد من أفراد العائلة (باري بوبكين، وفلورينتينو سولون، ١٩٧٦، ص ١٥٦).

وبالانتقال إلى مجال آخر للتحليل الاقتصادي للوقت النسائي، نجد أن بعض الدراسات اعتبرت الوقت الذي تضع فيه المرأة مولودها وتأخذ فيه إجازات نتيجة لمتاعب الحمل؛

أو بغرض رعاية الطفل يؤثر بشكل سلبي على الطلب عليها في سوق العمل؛ بل إنه يهدد وضعها المهني القائم خاصة في ظل التحول إلى سياسات التخصيصية التي تقوم على هيمنـة القطاع الخاص الذي يهدف بدوره إلى تحقيـق أكبـر ربـح ممكن بأقل تكاليف ممكنة بغض النظر عن المصالح الإنسانية للعاملين لديه، وبالتالي فهو يعتبـر المـرأة عنصـرا غيـر مرغوب فيه للعمل لديه لكثرة إجازاتها وتقطعها المستمر عن العمل مما يضر بمصلحته وبخط سيره الطبيعي (على سبيل المثال انظر إلى محيا زيتون، وسلوى فـؤاد. ١٤١٩ هـ ـ/ ١٩٩٨م).

وفي دراسة موسوعية ورائدة حول منـافع العمـل داخل المنزل لكل طوائف المجتمع (زينب الأشـوح، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م) تم التوصل إلى أن العمل الاقتصادي داخـل المنزل يمكن أن يتيح للمرأة ليس فقط وقتًا كافيا لرعاية كـل أفراد أسرتها بشكل كافٍ، بل أيضا لممارسة عمل اقتصادي يدر دخلاً يفيد في تحسين مستواها ومستوى عائلتها ويحقـق طموحاتها أيا كانت. ولو أن الكتاب – كغيره من الدراسات – أغفل أيضا أهمية العمل داخل المنزل في إتاحة وقت فـراغ

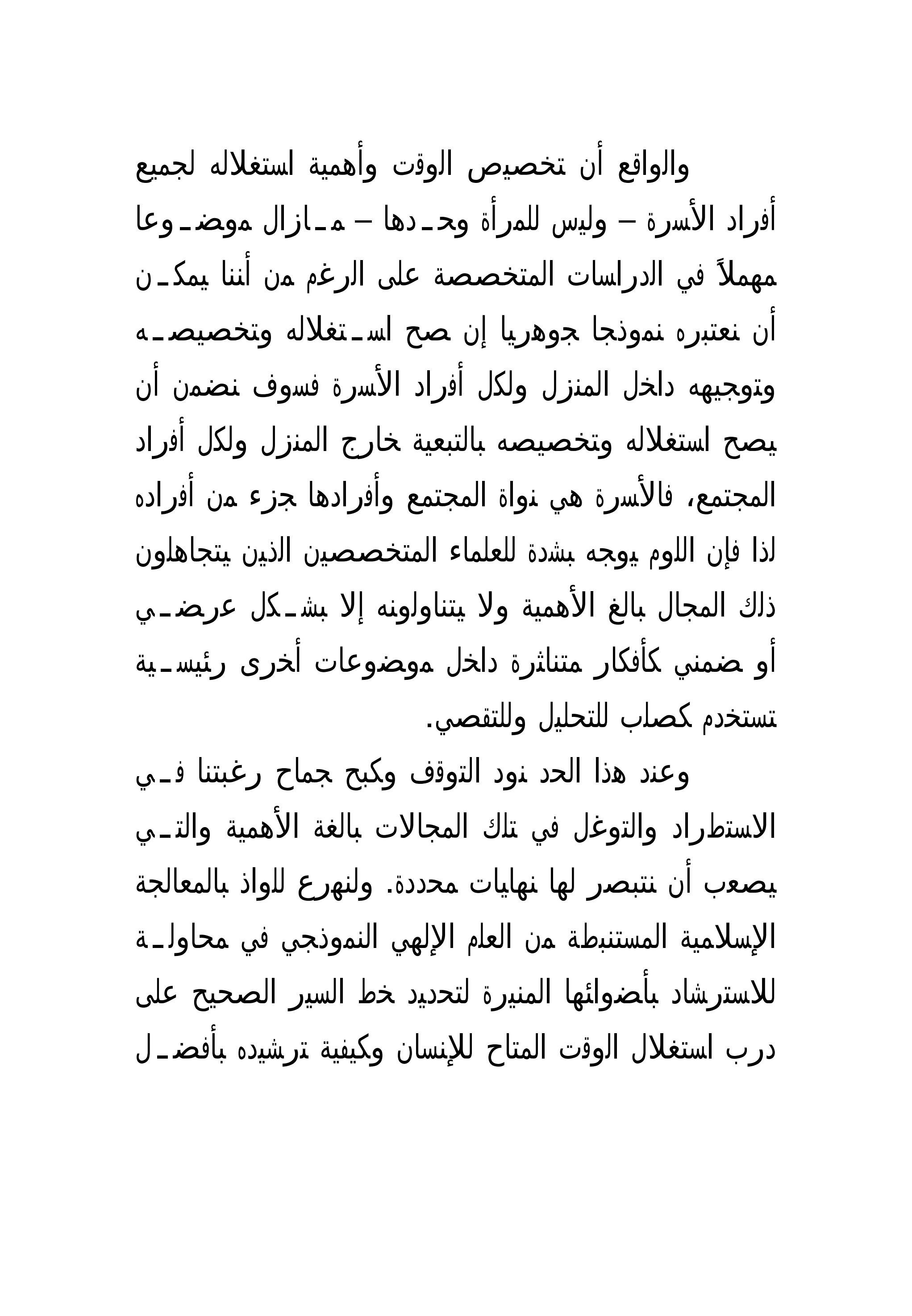
أفضل للمرأة العاملة (مقارنة بالوقت الذي لا يكاد يتاح لها إذا كان عملها يتم خارج المنزل)، كما أغفل نوعـا آخـر مـن المنافع المرتبطة بالعمالة النسائية داخل المنزل ويتمثل فـي تمكينها من أداء ما عليها من عبادات وفروض في الأوقـات المفروضة وبأداء أفضل، مما يتيح لها متعة ثلاثيـة الأبعـاد تتمثل أول أبعادها في إرضاء خالقها، والثاني في تقديم قدوة منظورة دائمة التواجد لجميع أفراد الأسرة، والثالث في شحن الجانب الروحي من تكوينهـا الإنسـاني أول بـأول بـدون تعريضها لمخاطر الخواء الروحي التدريجي الذي تتعرض له المرأة التي تعمل خارج منزلها وتخصص كل وقتهـا لـذلك العمل بحيث تسارع في استغراق فضلاته في رعاية أسرتها ولا يتبقى لها بعد ذلك أي وقت لشحن روحها ولإجراء عملية الصيانة الروحية اليومية لذاتها، ذلك الذي لاشك سيؤدي في النهاية إلى زيادة إحساسها بالاضطهاد وبالتعب من مشقة ما تبذله من عمل داخل بيتها وخارجه، ثم بالاستمرار في التذمر وفي التشاحن الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى التفكك العائلي الذي لا يخفى على أحد أنه أصبح ظاهرة عالمية معاصرة.

أما المثير حقا، فإن الرأي الغربي، وغيـر المسـلم أصبح يتجه هو أيضا لتشجيع العمالة المنزليـة واعتبارهـا الشكل الأفضل اقتصاديا واجتماعيا وصحيا، بل وتم اعتبارها وسيلة ملائمة لكثير من الفئات التي تواجـه مشـكلة العمـل خارج المنزل حتى وإن كانوا رجالاً مثـل هـؤلاء الـذين اضطروا إلى التقاعد المبكر وكبار السن.

وفي هذا الصدد نذكر على سبيل المثال ما صرح به رونالد إيرنبرج وروبرت سميث (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣٥٣، ٣٥٤) من أن العمل المنزلي والعمل السوقي يعتبران (بديلين) مما يوحي بأنهما لا يجدان فرقًـا فـي متضـمنات ومنافع كل منهما وأنهما لا يجدان تمييـزا لأحـدهما علـى الآخر. ولكنهما أضافا حقيقة بالغة الأهمية – وذلك ما يعنينا – وهي أن العمل السوقي ووقت الفراغ يعتبـران (بـديلين) تقريبا. وعدم تحديدهما للعمل المنزلي كبديل لوقـت الفـراغ يعني ضمنًا أنه لا يؤثر تأثيرا معنويا عليه ولا يـؤدي إلـى الانتقاص الضار بما يتضمنه من منافع. ويقر هذان العالمان الأمريكيان (الذين يعملان أساتذة اقتصاد بجامعـة كورنيـل بالولايات المتحدة الأمريكية) بأنه إذا عملت المرأة بالسـوق

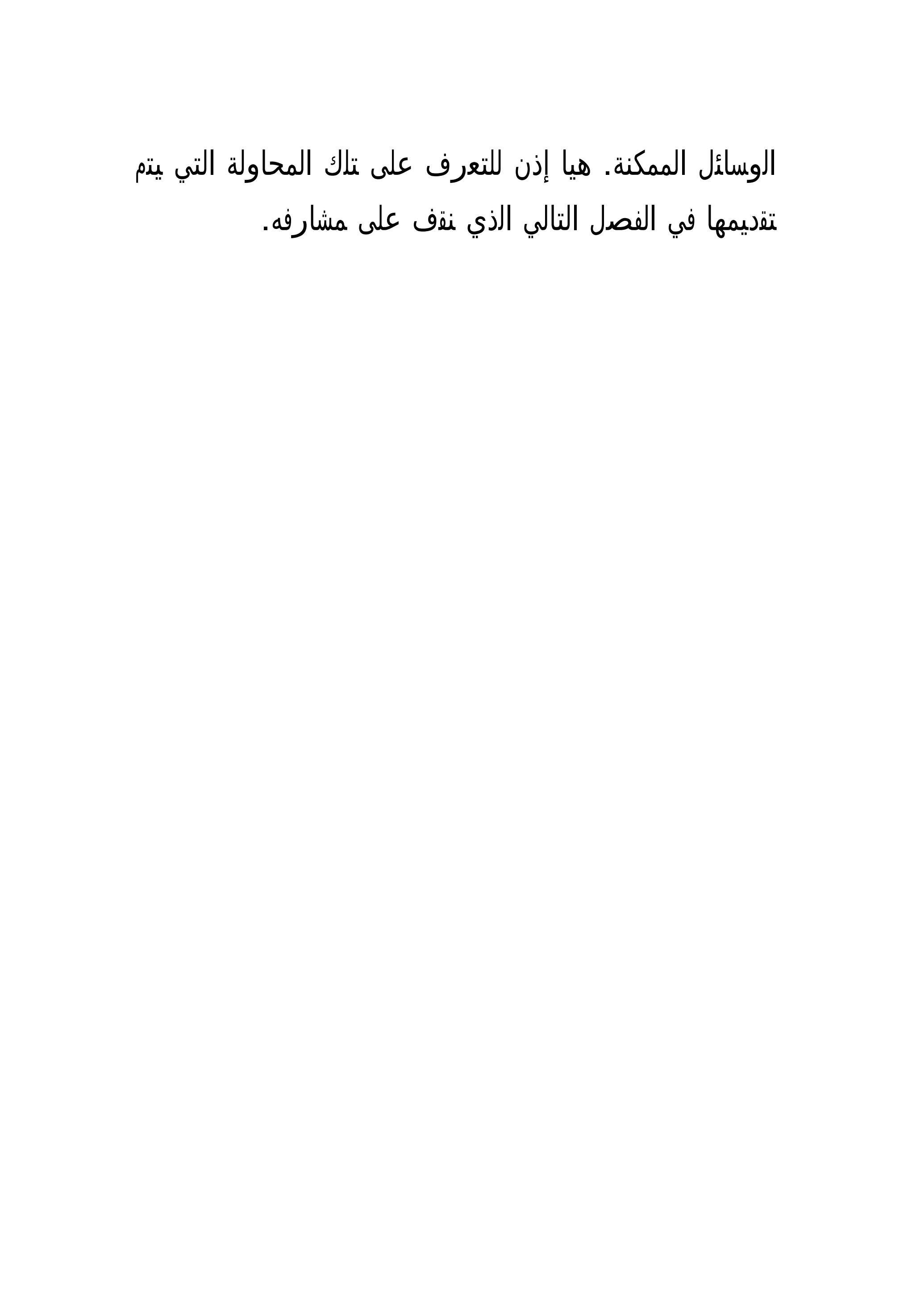
فإنها ستضطر إلى استخدام مربية أو عاملة نظافة لإعانتهـا على استكمال ما لا يتيح وقتها بالقيام به من أعمال منزلية – أما إذا كانت تعمل داخل منزلها فهي – على حد قولهمـا – ستوفر ما تقوم بدفعه للآخرين وسيحدث تحسن كبيـر فـي عملية تخصيصها للوقت المتاح.

وعلى نفس الدرب، يؤكد أحـد علمـاء الاقتصـاد الصينيين في دراسة له (حول أثر العمالة النسائية على تفاوت الدخل الأسري مع التركيز على هونج كونج)؛ على أن العمل داخل المنزل ووقت الفراغ المتاح للمرأة التي لا تعمل خارج منزلها ينطويان على دخل غير مباشر خاصة لأنه معفي من الضرائب tax free. ويلاحظ في تصريحه هذا بأنه يتفق – ضمنًا مع العالمين السابقين في النظر إلى العلاقة بين الوقت المستغرق في العمل داخل المنزل من ناحية؛ وبـين وقـت الفراغ للمرأة التي لا تعمل خارج منزلها – من ناحية أخرى – وهي علاقة تداخلية أو تكاملية وليست علاقة تبادلية مثـل الحال عند العمل خارج المنزل (سيويت لينج، ١٩٩١م، ص ١٤٧).



والواقع أن تخصيص الوقت وأهمية استغلاله لجميع أفراد الأسرة – وليس للمرأة وحـدها – مـازال موضـوعا مهملاً في الدراسات المتخصصة على الرغم من أننا يمكـن أن نعتبره نموذجا جوهريا إن صح اسـتغلاله وتخصيصـه وتوجيهه داخل المنزل ولكل أفراد الأسرة فسوف نضمن أن يصح استغلاله وتخصيصه بالتبعية خارج المنزل ولكل أفراد المجتمع، فالأسرة هي نواة المجتمع وأفرادها جزء من أفراده لذا فإن اللوم يوجه بشدة للعلماء المتخصصين الذين يتجاهلون ذلك المجال بالغ الأهمية ولا يتناولونه إلا بشـكل عرضـي أو ضمني كأفكار متناثرة داخل موضوعات أخرى رئيسـية تستخدم كصاب للتحليل وللتقصي.

وعند هذا الحد نود التوقف وكبح جماح رغبتنا فـي الاستطراد والتوغل في تلك المجالات بالغة الأهمية والتـي يصعب أن نتبصر لها نهايات محددة. ولنهرع للواذ بالمعالجة الإسلامية المستنبطة من العلم الإلهي النموذجي في محاولـة للاسترشاد بأضوائها المنيرة لتحديد خط السير الصحيح على درب استغلال الوقت المتاح للإنسان وكيفية ترشيده بأفضـل



الوسائل الممكنة. هيا إذن للتعرف على تلك المحاولة التي يتم تقديمها في الفصل التالي الذي نقف على مشارفه.

الفصل الثالث:

التوجيه الإسلامي

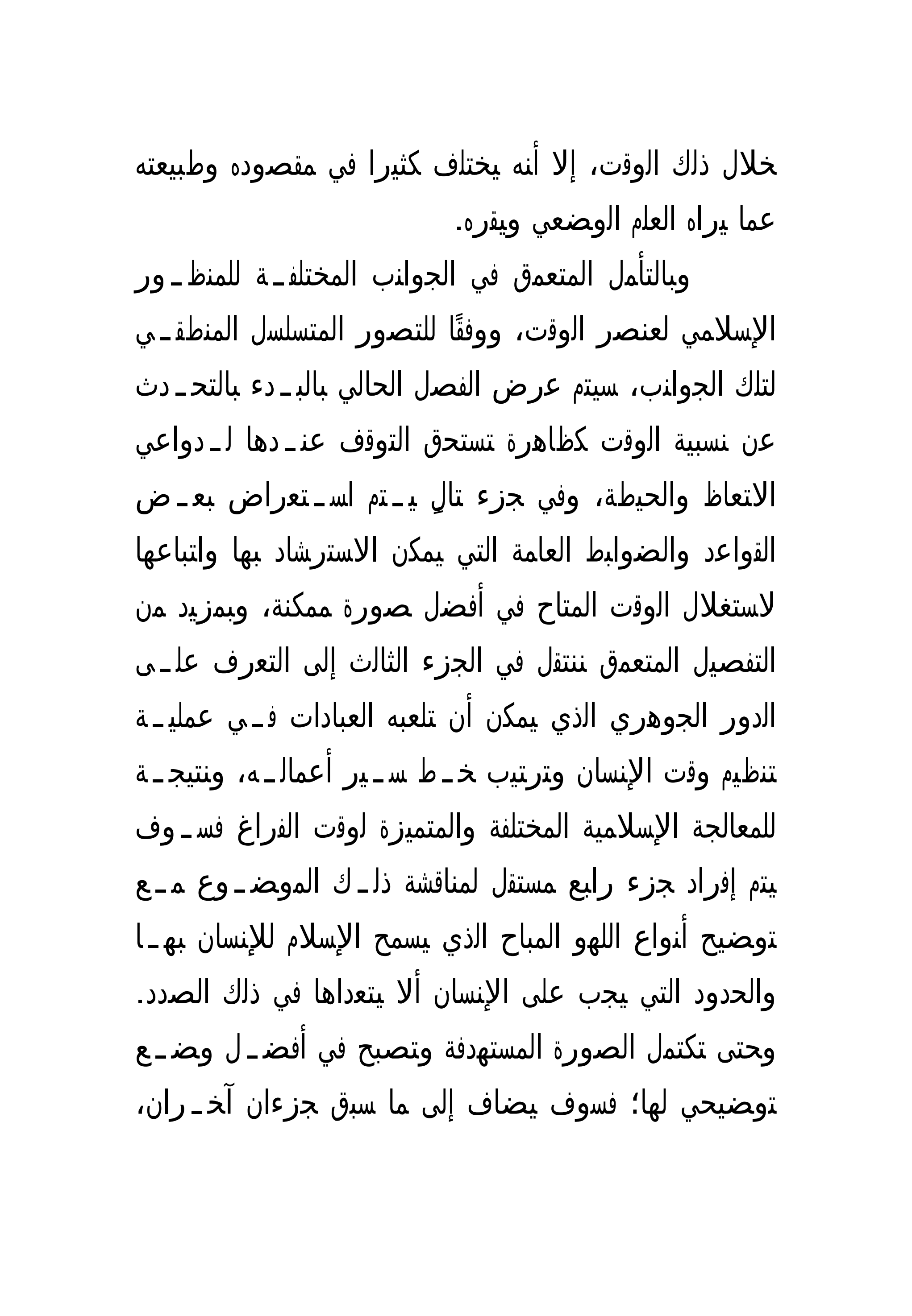
لترشيد استغلال الوقت وتخصيصه

مقدمـة:

يعتبر الوقت في نظر الإسلام عنصـرا اقتصـادي السمات والخصائص؛ فهو بطبيعتـه رزق، ومـورد متـاح للإنسان ومحسوب عليه، وهو مورد متآكل يبدأ كبير الحجـم والقيمة مع بداية مولد الإنسان. ثم يتناقص تـدريجيا حتـى ينتهي بانتهاء أجل ذلك الإنسان. وكل وحدة زمنية من ذلـك الوقت تنقص لا يمكن استبدالها أو تعويضها. كما أنـه مـن المستحيل التحكم في عملية الانقضاء المستمر للوقت أو إيقافه عند نقطة زمنية معينة. لهذا فقد شدد الإسلام على ضـرورة استغلال الإنسان لما يتاح له من وقت (وهو ذلك الوقت الذي يناهز عمر بقائه على أرض الحياة) بشكل رشيد ويتجلى ذلك المعنى في الحديث الشريف "لا تزول قدما عبد حتى يسـأل

عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وعن جسمه فيما أبلاه" (سنن الترمذي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٧٣٠٠ – ٢٥٣١).

وكما أوضحنا في بداية الدراسة، فإن الوقـت فـي الإسلام يعتبر من الأشياء المقدسة التي يجب التعامل معهـا بكل الجدية والإجلال والاحترام. لذا، فالإنسان ليس حرا في كيفية قضائه وفقًا لأهوائه الشخصية أو لمصـالحه الماديـة البحتة، بل إن هناك محددات وضوابط شرعية معينة توجـه الإنسان ولابد أن يقضي وقته في أطرها حتى وإن كان ذلك يتعلق بما يسمى بوقت الفراغ. فإن كان الاقتصاد الوضعي – أو العلم الوضعي بوجه عام – يعتبر وقت الفراغ وقتًا (حرا) يمكن للإنسان أن يقضيه كيفما شاء ووفقًا لرغباته الشخصية فإن الإسلام اعتبر وقت الفراغ في حد ذاته عنصرا اقتصاديا نادرا ويستحث الإنسان على ضرورة قضاء ذلك الوقت أيضا بطريقة رشيدة حتى لا يصاب بعواقب سوء اسـتغلاله لـه. وعلى الرغم من سماح الإسلام للإنسان بإمكانية (اللهو) فـي



خلال ذلك الوقت، إلا أنه يختلف كثيرا في مقصوده وطبيعته عما يراه العلم الوضعي ويقره.

وبالتأمل المتعمق في الجوانب المختلفـة للمنظـور الإسلامي لعنصر الوقت، ووفقًا للتصور المتسلسل المنطقـي لتلك الجوانب، سيتم عرض الفصل الحالي بالبـدء بالتحـدث عن نسبية الوقت كظاهرة تستحق التوقف عنـدها لـدواعي الاتعاظ والحيطة، وفي جزء تالٍ يـتم اسـتعراض بعـض القواعد والضوابط العامة التي يمكن الاسترشاد بها واتباعها لاستغلال الوقت المتاح في أفضل صورة ممكنة، وبمزيد من التفصيل المتعمق ننتقل في الجزء الثالث إلى التعرف علـى الدور الجوهري الذي يمكن أن تلعبه العبادات فـي عمليـة تنظيم وقت الإنسان وترتيب خـط سـير أعمالـه، ونتيجـة للمعالجة الإسلامية المختلفة والمتميزة لوقت الفراغ فسـوف يتم إفراد جزء رابع مستقل لمناقشة ذلـك الموضـوع مـع توضيح أنواع اللهو المباح الذي يسمح الإسلام للإنسان بهـا والحدود التي يجب على الإنسان ألا يتعداها في ذلك الصدد. وحتى تكتمل الصورة المستهدفة وتصبح في أفضـل وضـع توضيحي لها؛ فسوف يضاف إلى ما سبق جزءان آخـران،

نعرض في أحدهما الوقت في حياة الأنبياء الـذين يمثلـون صفوة البشر والقدوة الحسنة النموذجية لكل البشر، ونقدم في الآخر بعض المقتطفات الهامة مما ورد في التراث الفكـري الإسلامي القديم حول ذلك الموضوع على سبيل الاسـتنارة بذلك الخط الفكري الراقي وإحياء لدوره الكامن فـي طـي الإهمال البشري المتعمد أو العفوي. ولنبدأ جولتنـا الفكريـة الاستكشافية والاسترشـادية مـع ذلـك المنظـور الفكـري النموذجي.

١/٣ : **نسبية الوقت**:

الواقع أن الإحساس بمدى طول/ أو قصـر الوقـت وبمدى أهمية الإنجازات التي تتحقق في خلال فترة زمنيـة معينة. يمكن أن يختلف ليس فقط من شخص إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر. بل إنه يمكن أن يختلف أيضا من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

فما من شك في أن منظور الجاهل إلى الوقت يختلف عن منظور العالم إليه، وفي أن الملتزم بأداء أعمال تراكمية كثيرة وشاقة يحتاج إلى كل لحظة من الوقت ودائما ما يرى أن الوقت قصير وغير كافٍ لأداء التزاماته، بينمـا يمكـن

للعاطل أو للمتكاسل أو للمهمل، أو للقائم بمهام بسيطة نسـبيا أن يعتبر ذات الفترة الزمنية المتاحة له أنهـا طويلـة جـدا ويتمنى انقضائها بسرعة تغلبا على ما يمكن أن يعانيه مـن مشاعر الملل والإحساس بفراغ أجوف يعجـز عـن سـده بأسلوب يرضيه. وعلى المستوى المكاني نجد مثلاً أن هناك بقاع في الأرض يطـول نهارهـا وتسـطع فيهـا الشـمس بإشراقاتها وبدفئها المحبب لفترات طويلة مما يتيح للبشر وقتًا طويلاً (نسبيا) لقضاء الأنشطة والحاجات المعيشية والترفيهية أيضا. وفي نفس الوقت توجد دول تعاني من المغيب الغالب للشمس عنها وبالتالي يكون ليلها أطول من نهارها مما يجعل الوقت لديها يبدو قصيرا مقارنة بالوضع المذكور سابقًا. أمـا على المستوى الزماني، فيلاحظ أن الوقت المعاصـر يبـدو أقصر بكثير مما كان عليه ذات الوقت الزمني في سـنوات مضت. وذلك ما سوف يتم توضيحه بشكل أكثـر تفصـيلاً بالاستعانة بالأدلة الشرعية التي وردت فـي ذلـك الصـدد وبالاستنارة بما تضمنته من توجيهات نبوية ومسلمات.

أولاً: **كل وقت الدنيا لا مقياس يذكر له مقارنة بوقت الآخرة**:

وذلك يمثل أحد المسلمات التي لا يستطيع أي إنسان رشيد أن يجادل في صحتها. والأدلة على ذلك كثيرة نـذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿**ويستَعجِلُونَكَ بِالْعذَابِ ولَن يخْلِفَ ا ُ وعده وإِن يوما عِنْد ربك كَأَلْفِ سنَةٍ مما تَعدون**﴾ (الحج: ٤٧). كما يتضح القصر المتناهي لكـل وقت الحياة الدنيا مقارنة بوقت الآخرة مـن قولـه تعـالى: ﴿**ويوم يحشُرهم كَأَن لم يلْبثُوا إِلا ساعةً من النهارِ يتَعارفُون بينَهم**﴾ (يونس: جزء من الآية ٤٥). وتتأكد ذات الصورة – البديهية – من خلال عدد كبير من الآيـات التـي يصـعب حصرها في ذلك المقام، وكذلك من خلال الأحاديث النبويـة الصحيحة مثل قول النبي ﷺ: "ما الدنيا في الآخـرة إلا كمـا يمشي أحدكم إلى اليم، فأدخل إصبعه فيه، فما خرج منه فهو الدنيا" (عن المستورد، للحاكم، صـحيح الجـامع الصـغير وزيادته، جـ٢، ٥٥٤٧)، كما تتجلى تلك الحقيقـة التـي لا تخفى على أي إنسان عاقل في صورة تمثيلية رائعة نجـدها في الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبـي ﷺ قـال:

"مالي وللدنيا، وما للدنيا ومالي! والذي نفسي بيده، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار، ثم راح وتركها" (أحمد بن حنبل، والحاكم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٥٦٦٩ – ١٨٣٤).

أما الأمر المبهج حقا، فهو أن من ينعم ا سبحانه وتعالى على خلقه بالجنة في الآخرة، ستلبى له كل رغباته أيا كانت في وقت بالغ القصر مقارنة بما يحدث في حياتنا الدنيا، فاشتهاء الإنجاب في الدنيا إن تحقق يستغرق في المتوسط تسعة أشهر بخلاف أعداد إضافية من الأعوام اللازمة للرضاعة وللتسنين.. بينما لا يستغرق كل هذا في الجنة سوى ساعة واحدة مصداقًا لقول الرسول ﷺ "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة، كما يشتهي" (عن ابن سعيد، أحمد بن حنبل، الترمذي، ابن ماجه، صحيح ابن حبان في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٦٦٤٩).

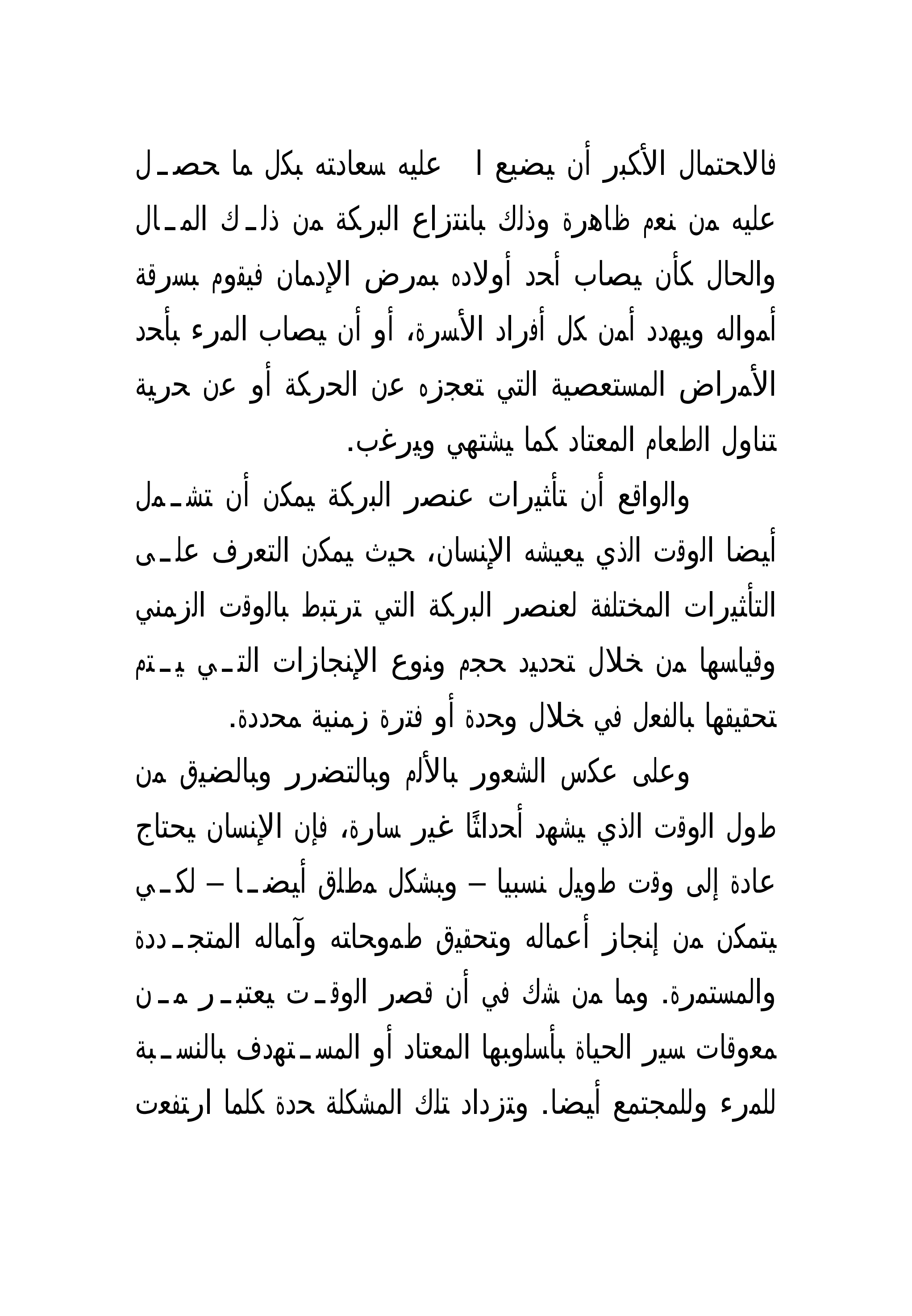
ثانيًا: **الارتباط بين الشعور بالوقت، والحالة المزاجية، وطبيعة الأحداث**:

فمن الملاحظ أن الوقت العصيب الذي تتخلله أحداث غير سارة أو الذي يقضيه الإنسان وهو في حالـة مزاجيـة سيئة، يبدو طويلاً جدا على المرء. وفي تلك الحالة، تتباطـأ الثواني والدقائق في انقضائها ومرورها، وتكاد الساعات تبدو ثابتة لا تتحرك من وجهة نظر الإنسان الذي يعيش في ظـل تلك الأحداث أو تلك الحالة المزاجيـة المتعكـرة. وبطبيعـة الحال، فإن من أطول الأوقات العصيبة التـي سـتمر علـى الإنسان بدون شك هو يوم القيامة ووقت الحساب وإن كـان الوقع السيئ لذلك الوقت العصيب والإحساس بطوله يختلـف بين الكفار والمجرمين من ناحية، وبين المؤمنين من ناحيـة أخرى، حيث سيكون الإحساس بطول ذلك الوقت أخف وطأة على المؤمنين مقارنة بوضع غيرهم. وفي ذلـك يقـول ا تعالى: ﴿**ويوم يحشُرهم كأن لم يلْبثُوا إلا ساعةً من النهـار يتَعارفُون بينَهم**﴾ (يونس: جزء من الآية ٤٥). بينما يتضـح لطف ا سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين مـن خـلال أحـد مظاهر ذلك اللطف وهو تقصير مدة ذلـك الوقـت العسـير

عليهم. فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "يوم القيامة علـى المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر" (الحـاكم، صـحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٨١٩٣ – ٣٢٦٧).

ثالثًا: **بركة الوقت**:

اعتاد الغالبية العظمى من الناس أن يستخدموا كلمـة (بركة) كتعبير معنوي محفز بشكل سطحي، بـدون التعمـق الكافي لاستنباط ما ينطوي عليه ذلك المفهوم من دلالات ذات أهمية متميزة في حياة الإنسان خاصة فيما يتعلـق بالمتـاح الفعلي له من وقت وبإنجازاته المختلفة التي يحققها في خلال فترته. وعنصر البركة تفوق أهميته (الكثرة المطلقـة) لأنـه يعني – في اللغة – النماء والزيادة والسعادة أيضا. فإذا توافر للإنسان الكثرة المطلقة في رزق ما ولم تتوافر فيـه سـمات البركة ومنافعها يكون الاحتمال الأكبر عدم تمتع ذلك الإنسان بما حصل عليه وتملكه بالشـكل الأمثـل، بـل إن الشـيء المنزوع منه البركة يمكن أن يتحول إلى نقمة على صاحبه. فإذا ما تصورنا – على سبيل المثال – أن هنـاك شخصـا يتمتع – في الظاهر – بامتلاك مال وفير وزوجـة وأولاد... إلخ ولكن كان ماله هذا يكتسـب مـن مصـادر محرمـة؛


فالاحتمال الأكبر أن يضيع ا عليه سعادته بكل ما حصـل عليه من نعم ظاهرة وذلك بانتزاع البركة من ذلـك المـال والحال كأن يصاب أحد أولاده بمرض الإدمان فيقوم بسرقة أمواله ويهدد أمن كل أفراد الأسرة، أو أن يصاب المرء بأحد الأمراض المستعصية التي تعجزه عن الحركة أو عن حرية تناول الطعام المعتاد كما يشتهي ويرغب.

والواقع أن تأثيرات عنصر البركة يمكن أن تشـمل أيضا الوقت الذي يعيشه الإنسان، حيث يمكن التعرف علـى التأثيرات المختلفة لعنصر البركة التي ترتبط بالوقت الزمني وقياسها من خلال تحديد حجم ونوع الإنجازات التـي يـتم تحقيقها بالفعل في خلال وحدة أو فترة زمنية محددة.

وعلى عكس الشعور بالألم وبالتضرر وبالضيق من طول الوقت الذي يشهد أحداثًا غير سارة، فإن الإنسان يحتاج عادة إلى وقت طويل نسبيا – وبشكل مطلق أيضـا – لكـي يتمكن من إنجاز أعماله وتحقيق طموحاته وآماله المتجـددة والمستمرة. وما من شك في أن قصر الوقـت يعتبـر مـن معوقات سير الحياة بأسلوبها المعتاد أو المسـتهدف بالنسـبة للمرء وللمجتمع أيضا. وتزداد تلك المشكلة حدة كلما ارتفعت

درجات الطموحات وتعددت الأهداف البشرية على مستوى الفرد والمجتمع. ومن هنا يمكن أن نتصور ما قد يحدث من مشاكل إذا سادت مشكلة (قلة البركة في الوقت الزمني المتاح)، وما من شك في أن المشكلة تبلغ مداها المستعصي إذا ما عمت تلك البركة القليلة أو شبه المعدومة للوقت المتاح للعالم أجمع.

والواقع أن ما ذكرناه توا ليس من نسيج الخيال العفوي، وإنما دفعنا إلى ذكره والتنويه إلى خطورته كظاهرة يمكن أن تعم العالم أجمع ما جاء بالحديث الشريف: "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان. فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالصرمة [1] بالنار" ([1]) أي الجمرة. عن أنس؛ أحمد بن حنبل؛ الترمذي؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته؛ جـ٢، ٧٤٢٢ – ٢٦٠٢).

وعلى أية حال، فقد أرشدنا ا سبحانه وتعالى إلى إحدى الوسائل الهامة للتغلب على ظاهرة قلة البركة التي تعاني منها البشرية جمعاء في وقتنا الحالي، وهي أن يبدأ الإنسان في ممارسة عمله وأنشطته في وقت مبكر وذلك كما

جاء في الحديث الشريف: "بـورك لأمتـي فـي بكورهـا" (الطبراني في الأوسط، صحيح الجامع الصـغير وزيادتـه، جـ١، ٢٨٤١).

وبالإضافة إلى تلك الوسيلة الإنمائية للوقـت، فـإن هناك مجموعة أخرى من التوجيهات التي يمكن اسـتنباطها من خلال التعرف على الدور التنظيمي والتوجيهي الذي تقوم به العبادات لوقت الإنسان وهو ما سوف يتم تناوله بمزيد من التفصيل في جزء لاحق وشيك. ومع هذا، فهناك مجموعـة من القواعد العامة التي تضمنها التوجيه الإسـلامي لترشـيد عملية قضاء الوقت واستغلاله بأفضل صورة ممكنة، وذلـك ما يمكن التعرف عليه في الجزءين التاليين.

٢/٣: بعض القواعد العامة لترشيد استغلال الوقت ولتعظيم منفعته:

استكمالاً لما تقدم، نود توجيه تساؤل هام إلى العلماء الماديين وغيرهم مـن العامـة الـذين يمـرون بالأحـداث وبمحطات الحياة بتلقائية سطحية يعوزها التأمل والتدبر: ألـم يلاحظوا بعد أن العالم قد أصبح تسـوده الآن – وبالفعـل –

ظاهرة تقارب الأوقات الزمنية؛ وازدياد ذلك التقارب مع كل يوم يمر من عمر البشرية؟! الواقع أن الدلائل تشـير إلـى اليقظة البشرية المتزايدة التي أصبحت تعبر عـن انتباههـا لحدوث تلك الظاهرة المقلقة بل والمخيفة، وذلك من خـلال بعض المقولات التي أصبحت شائعة على ألسنة كثيـر مـن الناس مثل قول (الوقت لم يعد فيه بركة) أو قول "رمضـان كأنه انتهى بالأمس.. كيف عاد ثانية بتلك السرعة؟!).

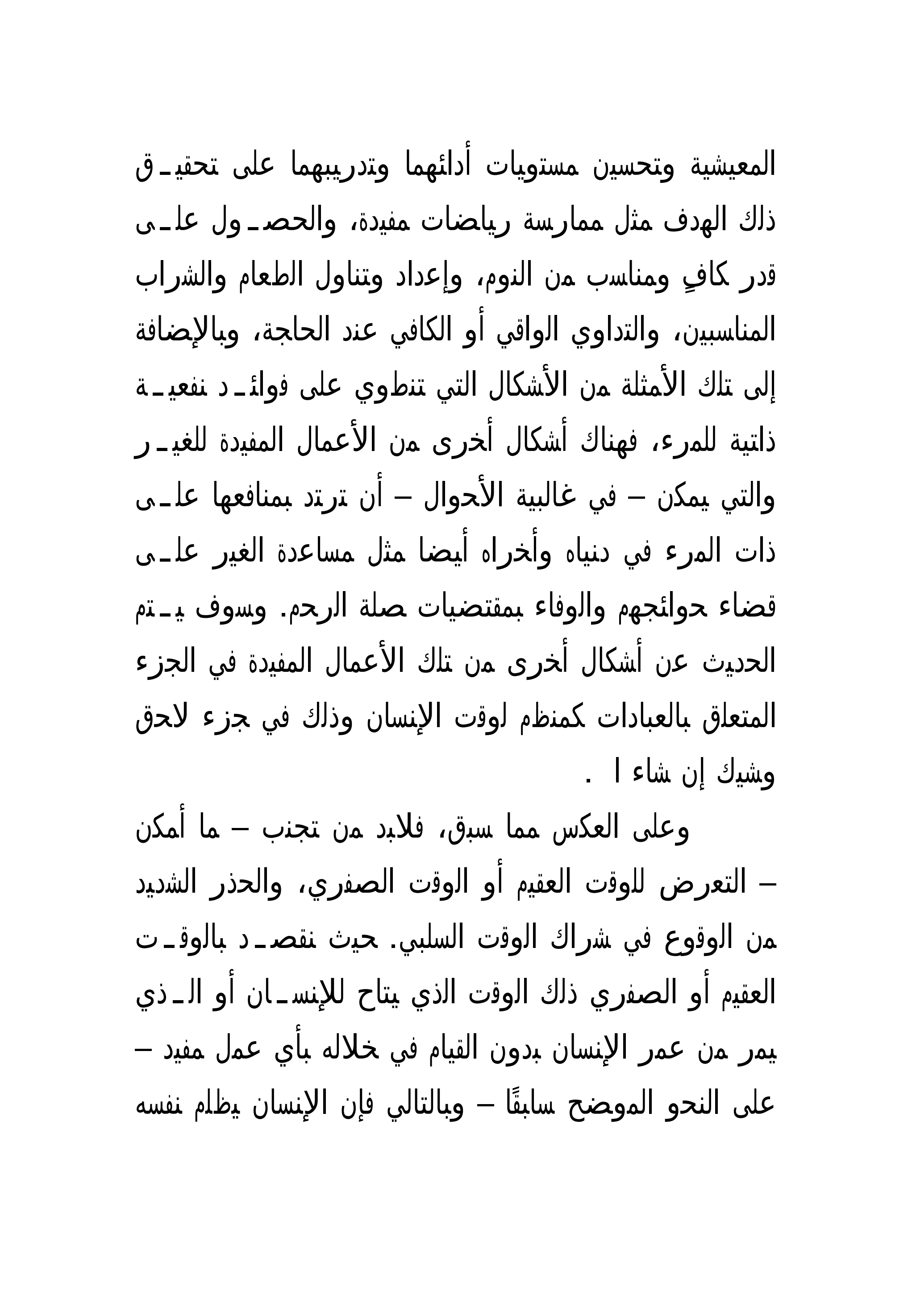
لقد قصدنا بذلك الاستدراك أن نؤكد على ضـرورة الإدراك الكافي بأن الوقت قد أصبح عنصرا اقتصاديا متزايد الندرة، ويكاد لا يكفي لتحقيق كل ما يطمح إليه الإنسان، بل ولتوفير كل احتياجاته التي تمكنه من الثبات والبقاء في دنيـا المتغيرات اللاهثة التي أصبحنا نعيش في ظلها – أو بالأصح – ننحصر داخل أسوارها الشائكة حيث تزداد معاناة الـدول النامية والصغيرة من تلك المشكلة أكثر من غيرهـا نتيجـة لعدم إدراكها لكيفية الاستخدام الرشيد للمتاح لها مـن وقـت سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع ككل.

وعلى أية حال، فمازالت هناك بوارق أمـل تـنعش آمالنا في استدراك ما فاتنا من وقت مهدر وضائع بمحاولـة تعظيم منافع وقتنا الحالي والمستقبلي وجني ثمـار إيجابيـة تعويضية لما خسرناه من قبل، وتتمثل بوارق الأمل المذكورة – في جانب منها – في مجموعة القواعد العامة التي يمكـن استنباطها من الأصول الشرعية النموذجية والاستعانة بها في تعظيم المنفعة الاستغلالية لعنصر الوقت المتاح. وفيما يلـي بعض من تلك القواعد العامة، والهامة.

أولاً: **توخي الحرص التام على استغلال كل لحظة متاحة للإنسان في أي عمل مفيد**:

ولا يقصد بذلك العمل التكسبي فقط، وإنما المقصـود بذلك العمل المفيد أنه ذلك العمل الـذي (يتضـمن إضـافة إيجابية مضمونة للإنسان في دنياه أو أخراه) والعمل المفيـد يعتبر في الواقع رباعي الأبعاد حيث يقوم على تقوية البـدن وتقوية الروح وتقوية العقل وتحسين الحالة المعنوية.

ومن الأشكال التي يمكن أن تمثل أعمالاً مفيدة، تلـك التي تساعد على إعداد الجسـم والـنفس للقيـام بالأعمـال



المعيشية وتحسين مستويات أدائهما وتدريبهما على تحقيـق ذلك الهدف مثل ممارسة رياضات مفيدة، والحصـول علـى قدر كافٍ ومناسب من النوم، وإعداد وتناول الطعام والشراب المناسبين، والتداوي الواقي أو الكافي عند الحاجة، وبالإضافة إلى تلك الأمثلة من الأشكال التي تنطوي على فوائـد نفعيـة ذاتية للمرء، فهناك أشكال أخرى من الأعمال المفيدة للغيـر والتي يمكن – في غالبية الأحوال – أن ترتد بمنافعها علـى ذات المرء في دنياه وأخراه أيضا مثل مساعدة الغير علـى قضاء حوائجهم والوفاء بمقتضيات صلة الرحم. وسوف يـتم الحديث عن أشكال أخرى من تلك الأعمال المفيدة في الجزء المتعلق بالعبادات كمنظم لوقت الإنسان وذلك في جزء لاحق وشيك إن شاء ا .

وعلى العكس مما سبق، فلابد من تجنب – ما أمكن – التعرض للوقت العقيم أو الوقت الصفري، والحذر الشديد من الوقوع في شراك الوقت السلبي. حيث نقصـد بالوقـت العقيم أو الصفري ذلك الوقت الذي يتاح للإنسـان أو الـذي يمر من عمر الإنسان بدون القيام في خلاله بأي عمل مفيد – على النحو الموضح سابقًا – وبالتالي فإن الإنسان يظلم نفسه

بعدم استغلال ذلك الرزق الذي منحه ا إياه بما قد يمكنه من إضافة المزيد من المنافع إلى رصيده الدنيوي أو الأخـروي حيث يمكن أن نستقرئ ذلك المعنى من الحـديث الشـريف: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (عن ابن عباس: البخاري، الترمذي، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٧٧٨). أما الوقت السلبي فينطوي على آثار أكثر خطورة يمكـن أن تـؤدي إلـى الإضـرار بالإنسان بدرجات متفاوتة يمكن أن تصل إلى هلاكه وتدميره التام، وذلك مثل قضاء الوقت في تعاطي المخدرات أو فـي إقامة علاقات محرمة مع الآخرين، أو في ارتكاب أي شـكل من أشكال الانحراف التي لا تعد ولا تحصى. بل إن الوقـت السلبي المنذر بالإضرار بصاحبه يمكن أن يتمثل فـي عـدم اتخاذ موقف إيجابي حيال معصية ظاهرة تصدر أمام المـرء من الغير أو في مجرد العزوف عن مساعدة الآخـرين فـي استرداد حقوقهم أو في تجاهله لواجبات أداء حوائج النـاس التي تتطلب المساعدة (مع توافر المقدرة على ذلـك) حيـث يتضح ذلك من قول رسول ا ﷺ: "لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصـر،

وإن كان مظلوما فلينصره" (عن جابر، مختصر مسلم، ١٨٣٢) كما يقول الرسول ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (عن أبي سعيد، مختصر مسلم، ٣٤).

أما عن وجوب قضاء حوائج الآخرين فيتضح من قول الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان ا في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج ا بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن يستر مسلما ستره ا يوم القيامة" (عن ابن عمر رضي الله عنه مختصر مسلم ١٨٣٠). وتتأكد أهمية ردع الظالم حتى للغير، وسوء عاقبة من لا يفعل ذلك على الرغم من قدرته عليه من قول النبي ﷺ: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه. أوشك أن يعمهم ا بعقاب منه" (عن أبي بكر رضي الله عنه، سنن داود الترمذي وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ١٩٧٣).

أما الدلائل الشرعية المباشرة على حتمية الاستمرارية في القيام بأعمال إيجابية وعدم الانقطاع عنها بقدر الإمكان فنجدها على سبيل المثال في الحديث النبوي

الذي أرشدنا إليه سابقًا: "لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عـن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وعن جسمه فيم أبـلاه" (سـنن الترمـذي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٣٠٠ – ٢٥٣١).

كما أن هناك حديثًا آخر يؤكد على حتميـة ديمومـة العمل الإيجابي خاصة فيما يتعلق بإعمار الأرض وبتحسـين أحوال البشر والمخلوقات الأخرى، حتى إن كان ذلـك فـي آخر لحظات عمر الإنسان وإشرافه على الموت، بـل حتـى ولو تيقن للإنسان أن هناك دمارا سـيلحق بـالكون مثلمـا سيحدث في يوم القيامة حيث إن العبـرة هنـا أن الإنسـان بمحدودية علمه وقدراته لا يستطيع أن يتيقن من لحظة النهاية الفعلية للكون، كما أنه كان يقوم بتلك الأعمال الإيجابية بدون انقطاع، إنما يفيد نفسه بالدرجة الأولى وذلك بزيادة حسـناته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان سيبعث على آخـر وضع كان عليه، من أجل هذا دائما ما يفضل للمرء أن يداوم أيضا على الدعاء بحسن الخاتمة. وفي ذلك يرشدنا التوجيـه النبوي بالحديث الشريف: "إن قامت السـاعة وفـي أحـدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها" (أحمد

بن حنبل، البخاري في الأدب، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ١، ١٤٢٤).

ثانياً: من أجل تقليل الفاقد من الوقت المتاح حالياً إلى أدنى مستوى ممكن:

جرت العادة البشرية على تأثر السلوكيات والقرارات والإنجازات الجارية للإنسان ليس فقط بمجريات الأمور والمتغيرات الحالية، بل أيضا يمتد هذا التأثر إلى ما انقضى في الماضي من أحداث ومتغيرات حتى إن لم يكن لها علاقة بتلك الأمور الحالية، وفي غالبية الأحوال يمتد ذلك التأثر إلى أحداث المستقبل ومتغيراته غير المؤكدة.

وقد يكون الماضي مفيدا في إتاحة صور واضحة عن تجارب كاملة حدثت بالفعل مما يساعد المرء على الاستنارة بما تتضمنه من دروس مستفادة، وعلى الاقتداء بالجوانب الإيجابية الكامنة في تلك التجارب وتجنب جوانبها السلبية التي تغنيه عن تكرار الوقوع في مثل تلك الأخطاء التي اتضحت بالفعل من التجارب الماضية، وكذا، تدنية الوقت لإصلاح الآثار السيئة لمثل تلك الأخطاء. وبكلمات

أخرى، فإنه يمكن للإنسان أن يلتفت إلى أحـداث الماضـي وتجاربه فقط بوصفها تجارب إرشادية تعليمية تدريبية تساعد المرء على تحسين أسلوب الاستغلال الحالي للوقت. أمـا أن يحرص الإنسان على العيش في تجارب الماضي والإصرار على إدخالها برمتها في تسيير أمور حياته فذلك لا يقبل مـن وجهة النظر الاقتصادية ولا المنطقية لأنـه يتنـاقض مـع مقتضيات التطور والتغيير التي تتطلبها الأحداث المعاصرة، كما أن ذلك قد يعرض الإنسان للوقوع في براثن الكمون في مواطن الخطإ والاستقرار بين شباكها المدمرة بدليل أن كثيرا من الآيات الكريمة دائما تشير إلى خطإ اتباع ما كان يفعلـه الآباء طالما كان ضد الأحكام الإلهيـة والأمـور المنطقيـة الصحيحة، ومن بين الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**وإذَا قِيلَ لهم اتبِعوا ما أَنْزلَ ا ُ قَالُوا بلْ نَتبِع ما وجدنَا علَيهِ آباءنَـا أَولَو كَان الشيطَان يدعوهم إِلى عذَابِ السـعِيرِ**﴾ (لقمـان: ٢١).

أما عن المستقبل، فمن الطبيعي أن يعمل الإنسان له حسابا في خططه وإنجازاته ولكن يجب أن يكون ذلك علـى أساس من الاستنارة بالتجارب الماضية وبنتائجها المتكاملـة

خاصة للأفراد وللدول التي انقضت أعمارها وأصبحت نتائج تجاربها نهائية في إطار الأوضـاع والمفـاهيم والأهـداف الدنيوية فقط مع إعمال المعايير والأدوات العقلانية والعلميـة التي يمكن أن تساعد على ترشيد وضع الخطـط المسـتقبلية الموجهة لمجالات حياة الإنسان المختلفة. غير أن تلك الخطط يجب أن تؤخـذ كصـور إرشـادية متحركـة ذات وجـوه واحتمالات متعددة ويرفض تماما أن يتم اعتبارهـا منـاهج تنفيذية نهائية جامدة بسبب بسيط ومنطقي تمامـا وهـو أن الإنسان لا يعلم الغيب ولا يعلم أي شيء عـن المسـتقبل.. فالمستقبل بيد ا وحده.

وبناء على ما سبق، فإنه من أجل ترشـيد اسـتغلال الوقت الحالي المتاح للإنسان وتدنية الفاقد فيه إلى أقل قـدر ممكن، فإنه يجب أن يراعى أمرين بالغي الأهمية:

١- عدم الالتفات إلى الماضي إلا لمجرد الاسـتنارة بالدروس الفعالة التي تفيد في إنجازات الحاضـر: وأفضـل دليل توجيهي وسند قوي يدعم صحة ذلك الجانب الموصى به هو قول الرسول ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى ا من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على مـا ينفعـك،

واستعن با   ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنـي فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر ا ، وما شاء فعل، فـإن لـو تفتح عمـل الشـيطان" (حسـن عـن أبـي هريـرة ﵁؛ أحمد بن حنبل، مختصر مسلم، ١٨٤٠؛ ابن ماجه، صـحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٦٥٠ – ٢٢٧٦).

٢- عدم السماح لسيطرة المستقبل بما ينطوي عليـه من غموض ومخاوف أو أوهام هلاميـة علـى الإنجـازات والقرارات الحالية ولأن المستقبل بيد ا   وحده وفـي إطـار علم ا   سبحانه فقط، فالأفضل هو بذل كل ما يستطيع المرء أن يقوم به في حدود إمكانياته وقدراته الحالية؛ بما تسمح به الأحكام الشرعية الغراء (التوكل علـى ا) تاركًـا النتـائج المستقبلية على ا   فهو وحده سبحانه صاحب القرار الحقيقي في شأنها. وبكلمات أخرى يجب على الإنسان التوكل الحقيقي على ا   والبعد التام عن التواكل الذي يوقعـه فـي بـراثن التخلف والتدمير البشري الذاتي.

وفي ذلك نجد دليلاً نبويا توجيهيا مـوجزا ورائعـا، فعن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: "اعقلهـا وتوكـل" (حسـن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج١، ١٠٦٨).

كما أن هناك حديثًا آخر شاملاً لكيفية استفادة الإنسان بالإنجازات الحالية وكيفية توظيفها واستثمارها بما يضـمن تعظيم الثمار والمنافع المرجوة في المستقبل الذي لا يملكـه ذلك الإنسان، ويتضح ذلك من قولهﷺ: "اغتنم خمسـا قبـل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبـل فقـرك" (صـحيح الجامع الصغير وزيادته، مج١، ١٠٧٧).

والواقع أن ذلك الحديث الشـريف يمكـن أن يمثـل منهاجا وقائيا فعالاً ضد المخاطر المستقبلية المجهولـة ومـا تكتنفه من مخاوف، وبكلمات أخرى، أنه يمكن أن يمثل دليلاً فعالاً لتمتع الإنسان بمشاعر الأمن والأمان ومسـاعدته فـي تدنية كثير من الوقت الضائع فـي التفكيـر فـي مخـاوف المستقبل وما يكتنفه من مجهول دائما يلقي بظلالـه الثقيلـة على حياة الإنسان فيعرقل إنجازاته الحالية وقد يشل كثيـرا من نشاطاته الفعالة ويوقعه في براثن الإحبـاط والاستسـلام السلبي لمجريات الأحداث المنـذرة بالـدمار.. ومـا أكثـر تواجدها في وقتنا الحالي.

والخلاصة أن على الإنسان ألا يفكر في الماضي فقد ولى، ولا يفكر المستقبل فإنه مازال فـي علـم ا ، ولكـن الأفضل هو توجيه كل التركيز والاهتمامات والطاقات إلـى لحظات الحاضر فقط التي يملك الإنسان معرفتها، وإدارتهـا والاستفادة منها.

ويمكن أن نخلص مما سبق بقاعدة موجزة إرشـادية لكيفية تدنية الفاقد من الوقت (أو الوقت الضائع) والتي تتمثل في الكلمات الآتية:

انس الماضي فقد ولى ولا تتذكر منه سوى نسماته

ولا تفكر في المستقبل طالما لا تعرف أين أنت من نفحاته

وعش فقط لحظتك ووجه إليها كل الأنا.. وطاقاته

وفي ذلك قال أحد الشعراء أيضا:

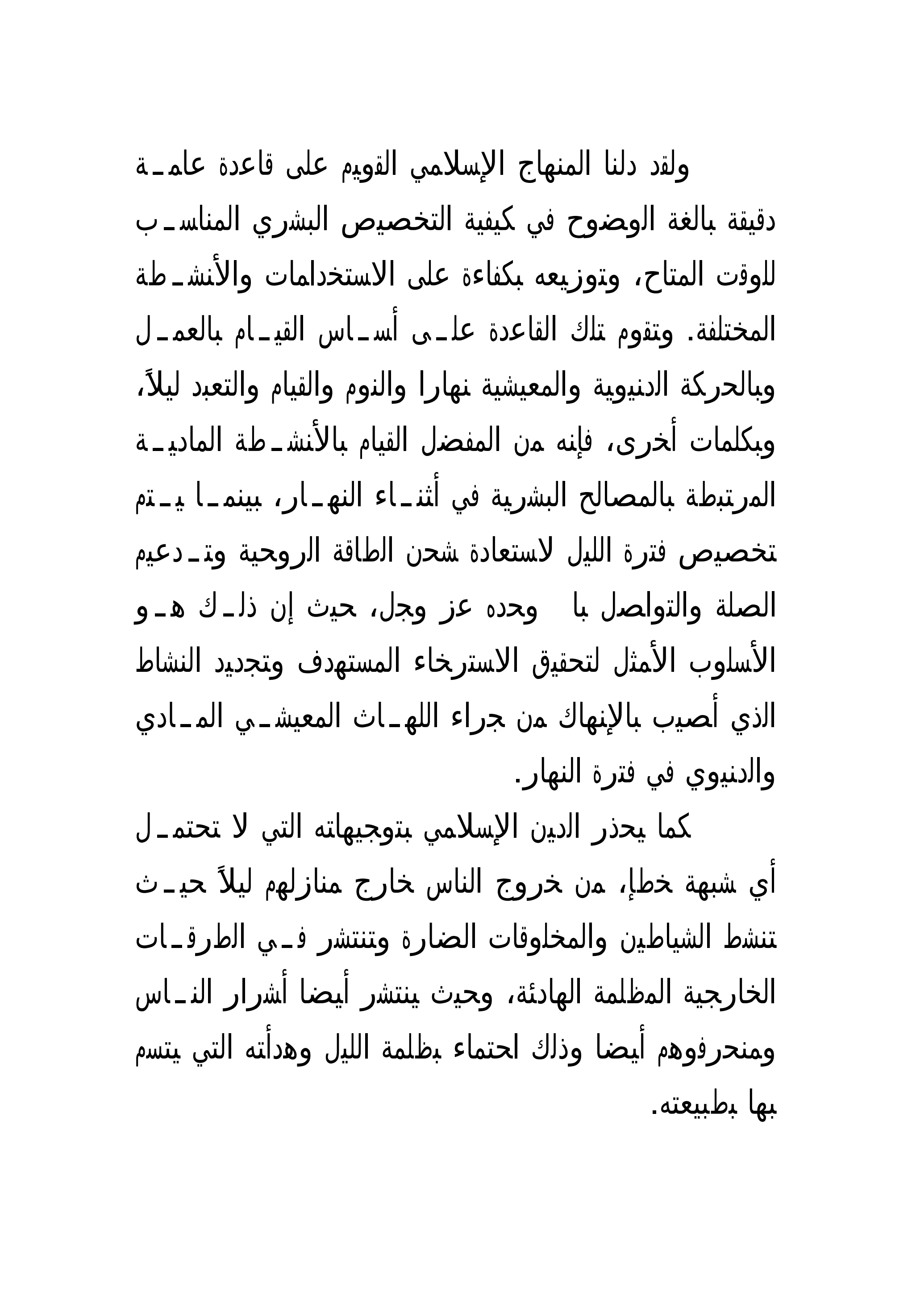
ما مضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التي أنت فيها

ثالثاً: **وقت النهار للخروج والعمل الدنيوي، والمساء والليل للاستقرار بالمنزل وللنوم وللتعبد**:

اعتاد بعض الناس أن يناموا في فترة النهار، ثم يستيقظوا طوال الليل، وذلك للقيام بأعمال تتطلب هدوءا أو تتطلب قلة حركة من الآخرين مثل الاستذكار والقيام بأعمال التأليف والأعمال الذهنية الأخرى؛ والقيام بأعمال إصلاحات في الشوارع والطرقات التي يصعب تنفيذها في فترة النهار تجنبا لتعطيل المصالح.

غير أن هناك فئات أخرى من الناس تعتبر الليل وقتها الأفضل، والطبيعي لممارسة أنشطتها غير المشروعة في خلاله، استتارا بظلمته، وبهدأة الأقدام البشرية التي تدب خارج أماكن السكن وما في حكمها، ولواذًا بغفلة العيون المستغرقة في نوم عميق بعد مشقة نهار كادح. ومن الأمثلة على تلك الأنشطة الليلية المشبوهة والمنحرفة، العمل في دور اللهو الليلية، أو في حالات السطو أو في كثير من أشكال الأعمال غير القانونية الأخرى.



ولقد دلنا المنهاج الإسلامي القويم على قاعدة عامة دقيقة بالغة الوضوح في كيفية التخصيص البشري المناسب للوقت المتاح، وتوزيعه بكفاءة على الاستخدامات والأنشطة المختلفة. وتقوم تلك القاعدة على أساس القيام بالعمل وبالحركة الدنيوية والمعيشية نهارا والنوم والقيام والتعبد ليلاً، وبكلمات أخرى، فإنه من المفضل القيام بالأنشطة المادية المرتبطة بالمصالح البشرية في أثناء النهار، بينما يتم تخصيص فترة الليل لاستعادة شحن الطاقة الروحية وتدعيم الصلة والتواصل با وحده عز وجل، حيث إن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتحقيق الاسترخاء المستهدف وتجديد النشاط الذي أصيب بالإنهاك من جراء اللهاث المعيشي المادي والدنيوي في فترة النهار.

كما يحذر الدين الإسلامي بتوجيهاته التي لا تحتمل أي شبهة خطإ، من خروج الناس خارج منازلهم ليلاً حيث تنشط الشياطين والمخلوقات الضارة وتنتشر في الطرقات الخارجية المظلمة الهادئة، وحيث ينتشر أيضا أشرار الناس ومنحرفوهم أيضا وذلك احتماء بظلمة الليل وهدأته التي يتسم بها بطبيعته.

وقبل تقديم الأدلة الشرعية على ذلك، نسارع فنـرد على صيحات اعتراض لابد أن تصدر من أحزاب اعتـادت المعارضة كمبدإ وليس لضرورة مقنعة – فـنحن نتوقـع أن تتعالى بعض الصيحات مستنكرة ربط حال اليوم (الذي تنتشر فيه المصابيح الكهربية والإضاءات الليلية المبهـرة فتحيـل الطرق إلى نهار ساطع)؛ بالأمس الذي لم تكـن مثـل تلـك الوسائل المستحدثة للإضاءة متوافرة فيه خاصة كمـا كـان الحال في العهد الإسلامي الأول. ولكننا نرد بأن الإسلام نزل لكل زمان ولكل مكان، وا   الذي أنزلـه كنبـراس نهتـدي بأحكامه وبتوجيهاته يعلم جيدا ما سوف يحدث من تطورات. فعلى الرغم من تلك الأضواء الليلية المبهرة، فمازالت تمثـل أمرا مصطنعا لا يمكن أن يضاهي طبيعـة أنـوار الشـمس وأشعتها الطبيعية التي تكشف كل الأمكنة بـدون أن تتـرك للمخلوقات الشريرة أو المنحرفة فرصة للاختباء أو للتخفي. ومهما حدث من لآلئ ضوئية ليلة مصطنعة. فمازلنا نقرأ كل صباح أعدادا لا تنتهي من حوادث الانحراف التـي يتركـز ارتكابها في الفترة المسائية، حيث توجد ثغرات ومنافذ تمثل مناخًا مازال صالحا لارتكـاب أعمـال الشـر والأذى؛ ولا

يعرفها سوى خبراء الشر وحدهم الذين يرشـدهم شـياطينهم إليها.

ونتيجة للأهمية الخاصة لذلك الموضـوع، فسـوف نعرض عددا من الأدلة الشرعية التي يدعم بعضها الـبعض، بدءا من نصوص القرآن الكريم الذي يمثل المصـدر الأول للتوجيه الإلهي ثم يتم الاستعانة بمزيد من الأدلـة الشـرعية الإضافية النابعة من كنوز السنة الشريفة.

فقد قال ا تعالى: ﴿**هو الذِي جعلَ لكُم الليلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ والنهار مبصِرا**﴾ (يونس: جزء من الآيـة ٦٧). وفـي سورة النبأ نحصل على صورة أكثر وضوحا وتكـاملاً فـي الإرشاد عن كيفية تخصيص الوقت حيـث يقـول سـبحانه وتعالى: ﴿**وجعلْنَا نَومكُم سباتًا * وجعلْنَـا الليـلَ لِباسـا * وجعلْنَا النهار معاشًا**﴾ (النبأ: ٩ – ١١). ويتضح من الآيات الكريمة بمنتهى الدقة والوضوح أن ا سبحانه وتعـالى أراد أن يكون النوم هو الوسيلة الأساسية لتجديد النشاط، وبالتالي، فقد أرشد ا سبحانه وتعالى الإنسان الـذي خلقـه إلـى أن أفضل وقت للنوم هو ذلك الذي تهدأ فيه الحركة والسعي في سبيل المعايش، ذلك السعي الذي يحدث بدوره أثناء النهـار،

بينما جعل ا سبحانه وتعالى الليل مظلما أسود لكي يصـبح ملائما كوقت للخلود إلى الراحة والسكون والكف عن الحركة الدءوب التي عادة ما تتم أثناء النهار المنير المشرق.

والواقع أن الإسلام تضمن في توجيهاته فـي سـبيل التخصيص الأمثل للوقت أن لا يجعل الليل كله نومـا فقـط، لكنه وجه الإنسان إلى أفضلية تخصيص الثلث الأخير منه – على وجه الخصوص – للتعبد وللقيام حيث تسـكن الحركـة وتهدأ النفوس وتصبح أكثـر صـفاء واقترابـا مـن الجـو الروحاني الجميل. وصدق ا في قوله تعالى: ﴿**أمـن هـو قَانِتٌ آنَاء الليل ساجِدا وقَائِما يحذَر الآخِرةَ ويرجو رحمـةَ ربهِ**﴾ (الزمر: جزء من الآية ٩).

أما عن استحباب الاستقرار في المنزل لـيلاً، فقـد أشار أكثر من حديث نبوي شريف إلـى ذلـك. فقـد قـال النبي ﷺ: "أقلوا الخروج بعد هدأة الرجل، فإن تعالى دواب ويبثهن فـي الأرض فـي تلـك السـاعة" (عـن جـابر، أحمد بن حنبل، داود، والنسائي، في الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ١١٨٤). وهنا تتأكد علة كراهية الخروج ليلاً وهـو انتشار الدواب الضارة بالخارج. ونتيجة لعمومية مضـمون

ذلك الحديث الشريف، يمكن أن نتأكد من أن انتشار الـدواب الضارة يكون في وقت الليل وذلك نتيجة لقلة السـيارة فـي الطرقات وليس نتيجة للظلمة الحالكة فقط. وتتأكـد خطـورة ذلك الضرر المرتبط بوقت الليل مـن حـديث آخـر عـن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "إذا غربـت الشـمس، فكفـوا صبيانكم، فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين" (الطبراني الكبير في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٦٩٢). كمـا يقول رسول ا ﷺ: "إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فـإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلـوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم ا ، فإن الشيطان لا يفتح بابـا مغلقًا، وأوكوا قربكم واذكروا اسـم ا ، وخمـروا آنيـتكم، واذكروا اسم ا ، ولو أن تعرضـوا عليـه شـيئًا وأطفئـوا مصابيحكم" (عن جابر، أحمد بن حنبل والصـحيحين وداود والنسائي وصحيح الجامع الصغير وزيادته. جـ١، ٧٦٤). بل لقد نهى الإسلام عن دفن الموتى لـيلاً إلا فـي حـالات الضرورة. فعن جابر أن النبي ﷺ قال: "لا تـدفنوا أمـواتكم بالليل إلا أن تضطروا" (ابن ماجه في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٢٦٨).

وفي حديث آخر، ينصح الناس بممارسـة أعمـالهم المعيشية وقت النشاط واليقظة مع التوقف عـن ذلـك حـال الشعور بالنعاس والكسل حتى إن كان ذلك متعلقًا بالعبـادة؛ لأن أي عمل في ذلك الوقت سيأتي بنتائج عكسية سيئة. فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول ا ﷺ قال: "إن الـدين يسـر، ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" (البخـاري والنسـائي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ١٦١١). وكما جاء في رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحيي الدمشقي (صـ ٦٨) في معنى ذلك الحديث، فإن الغـدوة تعنـي سـير أول النهار، والروحة تعني السير آخر النهار، والدلجة آخر الليل. وفي ذلك استعارة وتمثيل معناه: استعينوا على طاعة ا عز وجل بالأعمال وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث لا تسأمون من العبادة، وتبلغون هدفكم من تلـك العبـادة، بالإحسـاس بالاستلذاذ بها، وذلك مثل المسافر الحاذق الذي يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غير تلك الأوقات، وبالتالي يستطيع أن يصل إلى المقصود بغير تعب.

هذا، وقد وردت أحاديث أخرى متعددة تؤكـد علـى وجوب التوقف الفوري وقت أن يشعر الإنسان بالتعـب، إلا أننا نفضل الاكتفاء بما تم عرضه تجنبا للتكـرار المتمركـز على زاوية بحثية واحدة.

رابعًا: **أوقات مفضلة لبعض الأحوال**:

وقبل أن ننتقل إلى جزئية جديـدة مـن التوجيهـات الشرعية لكيفية التخصيص الأمثل للوقت، نود أن ننوه فـي ذلك المقام إلى أنه قـد وردت بعـض الأحاديـث النبويـة الصحيحة التي يمكن أن تفيد الإنسان فـي اختيـار أنسـب الأوقات للقيام ببعض الإنجازات الخاصة، فعلى سبيل المثال يرشدنا أحد تلك الأحاديث الشريفة إلى أن يوم الخميس هـو الأفضل للسفر. فعن أم سلمة "أن النبي ﷺ كان يسـتحب أن يسافر يوم الخميس" (الطبرانـي الكبيـر، صـحيح الجـامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٤٩٥٠). وكان النبي ﷺ الذي يمثل القدوة المثلى لكل المسلمين يفضل إذا كان موجودا بمنزل ما ألا يغادره قبل صلاة الظهر. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول ا ﷺ "كان إذا نزل منزلاً لـم يرتحـل حتـى يصـلي الظهـر"

(أحمد بن حنبل، داود، النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٤٧٩٣).

وفيما يتعلق بالغزوات، فقد كان أفضل وقت للبدء فيها هو وقت زوال الشمس؛ فعن أبي أوفى أن رسول ا ﷺ "كان يعجبه أن يلقى العدو عند زوال الشمس" (الطبراني الكبير في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٤٩٨٧).

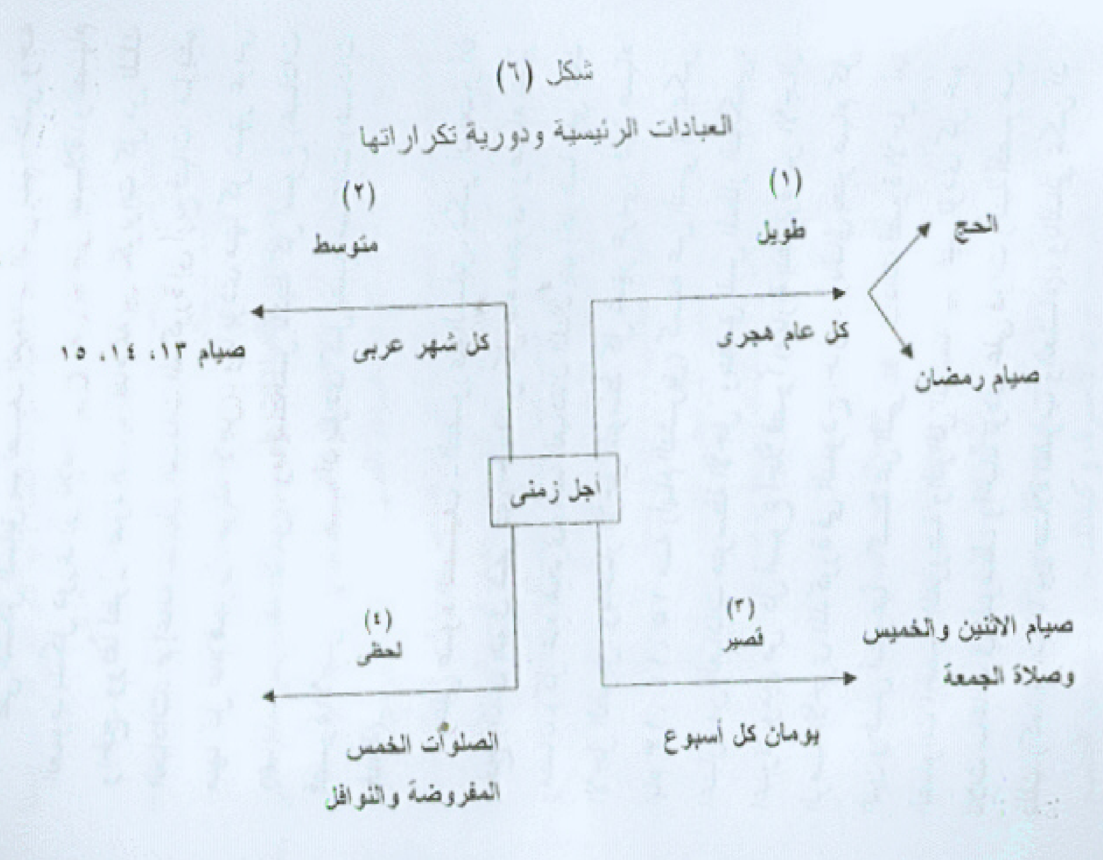
٣/٣: العبادات كوسائل لتنظيم الوقت والأعمال:

اعتاد الناس – ومن بينهم المسلمون – أن يحددوا أوقات أعمالهم ومعاملاتهم ومقابلاتهم مع الغير، وغير ذلك من السلوكيات والمواعيد والأنشطة. وفقًا للوحدات التقليدية لقياس الوقت الزمني والتاريخ مثل الساعة ومشتقاتها (الدقائق والثواني.. والفيمتو ثانية)؛ والسنة ومشتقاتها (شهور، وأيام).. إلخ، وهذا شيء لا غبار عليه، وليس محرم دينيا، ولا غير مجاز من الناحية القانونية. لكن المشكلة تكمن في أن مصالح الناس وأحوالهم كثيرا ما تتعارض بعضها مع البعض الآخر في أوقات أدائها، أو قد تتداخل وتتشابك بشكل

يؤدي إلى وجود صعوبات كثيرة في التوفيق بين مواعيد أصحاب هذه المصالح في حالة احتياجهم إلى الالتقاء الآني على مصلحة واحدة أو عمل واحد أو ما شابه ذلك.

ولقد لاحظنا أن هناك من العبادات – خاصة المفروضة منها – ما يتفق توقيت أدائها بين كافة المسلمين – حيث إن التزامهم بأدائها واحد ومشترك – مما يمكن معه أن تستخدم مواعيد أداء مثل تلك العبادات – ثابتة المواعيد والفترات – كوحدات تنظيمية شبه ثابتة للوقت وللأعمال الخاصة بكل فرد، بحيث يمكن أن ينتهي ذلك التطبيق الفردي تدريجيا إلى التوحيد التقريبي لتنظيم هيكل الوقت والأعمال بالمجتمع ككل. وانطلاقًا من تلك الفكرة. نود سرد مقترحاتنا وتصوراتنا التالية. مع تدعيمها ما أمكن بالأدلة الشرعية المناسبة.

وقبل البدء في سرد تصوراتنا، نود أن نلفت النظر إلى أننا سنستخدم ثلاثة أنواع من العبادات التي عادة ما تتم في أوقات محددة ودورية، ولكن على آجال زمنية مختلفة تنحصر في أربع فئات زمنية مختلفة ومنفصلة وذلك على النحو المبين في الشكل رقم (٦).


شكل (٦)
العبادات الرئيسية ودورية تكراراتها
(١)
طويل
الحج
كل عام هجرى
صيام رمضان
(٢)
متوسط
كل شهر عربى
صيام ١٣، ١٤، ١٥
أجل زمنى
(٣)
قصير
يومان كل أسبوع
صيام الاثنين والخميس
وصلاة الجمعة
(٤)
لحظى
الصلوات الخمس
المفروضة والنوافل

ففي الشكل السابق يتم تصنيف العبادات التي تتم – على وجه العموم – بشكل دوري إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي الصلاة، والصيام والحج. ووفقًا لطول الفترة الزمنية الفاصـلة بـين تكرارات كل من تلك العبادات، تم إعادة تصنيف العبـادات المذكورة إلى أربع فئات: ما يتم منها كل عام هجري (طويلة الأجل)، وما يؤدى منها كل شهر عربي (عبادات متوسـطة الأجل)، وما يستحسن تأديته كل أسبوع (عبـادات قصـيرة الأجل)، وما يجب أن يؤدي كل بضـع سـاعات (عبـادات لحظية).

وعلى ضوء التصنيف – التصوري – السابق، يمكن أن نعتبر أن الحج (الذي يتم في شهر ذي الحجة من كل عام هجري) وصيام شهر رمضان (كـل عـام هجـري) همـا العبادتان اللتان يتم إنجازهما على ذلـك الأجـل الطويـل. وباعتبار الأجل المتوسط كل شهر عربي، فإن صـيام أيـام ١٣، ١٤، ١٥ منه (الأيام البيض) كسنة عن النبي ﷺ يمكـن اعتباره من العبادات متوسطة الأجل. وبتطبيق نفس المنظار التحكمي، اعتبرنا يومين من كل أسبوع أجلاً قصيرا (مقارنة بنظائره من الآجال الزمنية الأخرى المذكورة في النمـوذج

الحالي)، وبالتالي يعتبر صيام كل اثنين وخميس أسبوعيا – كسنة عن النبي ﷺ - عبادات قصيرة الأجل. أما الصلوات الخمس المفروضة والنوافل المرتبطة بها، فهي تؤدى كل نحو ثلاث ساعات في المتوسط، وأحيانًا تؤدى على فترات زمنية أقصر من ذلك (كما يحدث ما بين صلاة المغرب والعشاء)، وبالتالي يمكن أن تعتبر هذه الصلوات من العبادات اللحظية لأنها تتم على فترات زمنية شديدة التقارب مقارنة بما عداها من العبادات الأخرى.

وفيما يلي، مزيد من الشرح والتوضيح لكيفية استخدام العبادات المذكورة كوسائل إرشادية لتنظيم الوقت وتخصيصه.

أولاً: فيما يتعلق بالعبادات طويلة الأجل:

أي التي تتم على الأجل الطويل مرة كل عام هجري ولفترة طويلة نسبيا. فإذا بدأنا بشهر رمضان الذي تتم فيه عبادة الصيام لمدة شهر عربي كامل، وتعمقنا بنظراتنا البحثية المنقبة في ما يحدث عادة في خلال ذلك الشهر وفي الفترات المحيطة به – من قبل ومن بعد – فسوف نلاحظ أن ذلك الشهر مرتبط – في جانب منه – بمنافع اقتصادية كبيرة

ومتميزة. بعضها يتعلق بجانب التكافل الاجتماعي ومجال تحسين أحوال الفقراء. والآخر يتضمن طفرة انتعاشية ورواجا في بعض الأنشطة والمعاملات التبادلية ذات الطابع المتميز المرتبط برمضان كشهر للصيام وبعيد الفطر كخاتمة مبهجة وكمكافأة دنيوية مؤقتة للصائمين والطائعين لأوامر ربهم.

ومن أهم ما يتميز به شهر رمضان عن بقية شهور العام زيادة استخدام مواد غذائية ومشروبات بعينها مثل التمور، والمكسرات، وقمر الدين، والعرقسوس، والفواكه المجففة لإعداد الخشاف (مثل التين المجفف والمشمشية) كما يزيد الاستهلاك للمواد الغذائية وللمشروبات على مستوى الأسرة، وكذلك على مستوى المجتمع ككل (نتيجة لانتشار موائد الرحمن التي تبسط في كل مكان لتقديم وجبات الإفطار للفقراء ولعابري السبيل وغيرهم ممن يعانون من ظروف خاصة كالوحدة المعيشية والتقاعد عن العمل المرتبط بالمعاناة من مشكلة الانعزال الاجتماعي. كذلك يتميز شهر رمضان بالإقبال المتزايد على تلاوة المصاحف وقراءة الكتب الدينية، وذلك بالإضافة إلى قيام أعداد متزايدة من المسلمين برحلات

العمرة في ذلك الشهر امتثالاً للسنة النبوية الشـريفة حيـث يقول النبي ﷺ "عمرة في رمضان تعدل حجـة" (البخـاري ومسلم وأحمد بن حنبل وابن ماجه وداود والطبراني الكبيـر في: صحيح الجامع الصـغير وزيادتـه، جـ ـ٢، ٤٠٩٧). وكذلك فإن كثيرا من الصائمين يعتكفون في المساجد خاصة في العشرة أيام الأواخر من شهر رمضان بالإضافة إلى أداء صلوات التراويح بعد أداء صلاة العشاء ونوافلها. وما مـن شك في أن رحلات العمرة وتأدية الاعتكاف يمكن أن ترتبط بمتطلبات خاصة من شأنها تيسير أمور المعتمر والمعتكـف مثل توافر ملابس فضفاضة مريحة سهلة التنظيف ولا تتطلب كي مستمر وليست سريعة الاتساخ، وتوافر حافظات للنقـود وللأوراق الهامة يمكن الاحتفاظ بها بطريقة آمنة ولا تأخـذ حيزا مكانيـا، ومبـردات للميـاه أو حافظـات للأطعمـة وللمشاريب الساخنة (أو المثلجة) وذلك بالإضافة إلى كتيبات الأدعية والذكر التي يمكن أن تستخدم في أثناء تلك السياحات الروحانية الرمضانية.

وعلى ضوء ما سبق، فإن ذلك يؤكد على ضـرورة الاهتمام بالأنشطة وبالمنتجات الموسمية وتنشيط عملية القيام

بها والإعداد لها في شهر كامل سابق لشهر رمضان بحيث يأتي شهر رمضان وقد توافرت فيه كل المستلزمات الرمضانية المتعلقة بموائد الرحمن وبرحلات العمرة وبتوفير مستلزمات المعتكفين إلى غير ذلك من المنتجات والخدمات، وبالإضافة إلى ذلك، ففي خلال ذلك الشهر الكريم يمكن أن تنشط صناعة الملابس والجلود وذلك لتوفير مستلزمات عيد الفطر المبارك، كما يمكن القيام بحملة سنوية لتحسين أحوال الفقراء والمحتاجين بحيث تبدأ مع شهر رمضان وتنتهي بنهايته. وإن كان ذلك يتم بالفعل ولكن بشكل عفوي أو بحكم العادات المرتبطة بذلك الشهر (الكريم) فإن ما نفترضه هنا هو القيام بحملة (منظمة) على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي حيث تعتبر مدفوعات زكاة المال وزكاة الفطر وموائد الرحمن من أهم الأدوات والوسائل التطبيقية الرئيسية لتنفيذ تلك الحملة بشكل ثابت ومنتظم.

هذا، ويقترح تقليص أحجام المعاملات والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالحياة المعيشية الدنيوية خاصة في العشر الأواخر من شهر رمضان بحيث يجب على المسلمين زيادة الوقت المخصص للعبادة وللتواصل مع خالقهم

بالاعتكاف أو بتكثيف أداء الطقوس التعبدية الأخرى وذلـك التماسا لليلة القدر التي اختصها ا سبحانه وتعالى بكثير من البركات وأنزل فيها سورة سميت باسمها توضـح أهميتهـا وذلك بقوله تعالى: ﴿**إنا أَنْزلْنَاه فِي لَيلَةِ الْقَدرِ * ومـا أَدراك ما لَيلَةُ الْقَدرِ * لَيلَةُ الْقَدرِ خَير من أَلْـفِ شَـهرٍ * تَنَـزلُ الْملَائِكَةُ والروح فِيها بِإِذْنِ ربهِم من كُلِّ أَمرٍ * سلَام هِـي حتى مطْلَعِ الْفَجرِ**﴾ (سورة القدر).

أما في خلال اليوم الواحد مـن أيـام الصـيام فـي رمضان، فهناك تصور مقترح لكيفية تخصيص الوقت فيـه وتوزيعه بين أداء المهام والأنشطة المختلفـة. ويقـوم ذلـك التصور على مسلمة أو بديهية معينة بأن يوم الصـيام فـي رمضان يمكن تصنيفه إلى ثـلاث فتـرات متميـزة. فتـرة الصيام، وفترة الإفطار، وفترة السحور؛ ففي فتـرة الصـيام التي تمتد من الفجر حتى آذان المغرب. يفترض أن المسـلم الذي يؤدي السنة كما يجب، يؤخر سحوره بقدر الإمكان حتى أقرب لحظات لفترة بداية ذلك الصيام. وبـافتراض تنـاول وجبة السحور في تلك الفترة السابقة الفجر مباشرة – فكـأن الإنسان بذلك يتناول وجبة الإفطار من أجل هذا، يفضـل أن

يبدأ الصائم يومه المعيشي المعتاد منذ ذلك الوقت، ويفضل بدء يومه بالقيام بأكثر الأعمال مشقة، وأكثرها تطلبا لقوى بدنية وذهنية عالية حيث يكون الجسم في بداية مراحل امتلائه واختزانه لوسائل الطاقة من غذاء وشراب. ومع اقتراب وقت الإفطار، يكون الجسم قد حل عليه التعب، وبدأت أعراض الجوع والعطش وما يصاحبها من آلام وضعف في اجتياحه، وبالتالي يفضل للصائم أن يخفف من أداء الأنشطة المرهقة بدنيا أو ذهنيا وكبديل إما أن يستغل تلك الفترة في التعبد، أو في النوم كوسيلتين للاسترخاء وتجديد الشحن الروحي للجسد بما يضمن استعادة التوازن بين جانبي الروح والمادة اللتان يتكون منهما الجسم البشري وبحلول وقت الإفطار بعد آذان المغرب ينتقل الصائم إلى بهجة الجانب المادي للجسم ولهذا، فإنه من السنة أن يعجل الصائم بالإفطار، وذلك كما قال الرسول ﷺ: "بكروا بالإفطار، وأخروا السحور" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٢٨٣٥). وبعد الإفطار والصلاة، يمكن للإنسان استكمال جزء من الأنشطة خاصة العضلية منها (أسوة بصلاة التراويح وقياسا على استحباب أدائها لصائم

رمضان بعد إفطاره)، فذلك من شأنه المساعدة على عمليـة هضم الطعام الذي يتوقع أن يكون الصائم قد حصل منه أكثر من حاجة الجسم إليه نتيجة لحرمانه منه طوال اليوم، كما أنه في أدائه لصلاة التراويح ولبعض الأعمال العضلية الخفيفـة الأخرى، استعادة لمرونة أعضاء الجسم المختلفة ونشـاطها، ولو أنه من الأفضل الاكتفاء بـأداء صـلاة التـراويح ثـم المسارعة في النوم للتمكن من أداء سنة التهجد وتناول طعام السحور، حيث نتصور أن فترة النوم هذه سـتكون الفاصـلة بين يوم سابق ويوم لاحق.

فقبل الفجر بنحو ساعة أو ساعتين، يكون الصائم قد حصل على كفايته من النوم اللازم لتجديد النشـاط المـادي للجسم، وهنا تبدأ فترة السحور حيث يصـلي الإنسـان فـي خلالها ما أمكن من النوافل ثم يتناول سحوره وامتثالاً للسـنة الشريفة "السحور بركة أعطاكموها ا . فلا تدعوها" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ١، ١٦٣٦). والواقـع أن فـي تطبيق السنة الشريفة تحقيق لمصلحة ماديـة للصـائم بـل وللمجتمع ككل لأن في السحور تقوية للبدن وإعانة للصـائم على القيام بأعماله المعيشية المعتادة بدون تكاسـل وبـنفس

مستوى الإنتاجية والأداء في حالة الإفطار. والواقع أننا يمكن اتخاذ تلك السنة كدليل قاطع على أن الدين الإسلامي هو دين عمل وعبادة في نفس الوقت، وأنه عندما تشرع العبادة فلابد أن تكون ملائمة مع الأعمال الدنيوية التي يحتاج إليها الفـ رد والمجتمع للعيش وللتقدم المستمر، وذلك أيضا حجـ ة تؤخـ ذ على الصائمين المتكاسلين بحجة صيامهم، فلو أنهـ م اتبعـ وا سنة التسحر في الوقت المفضل لها ما حدث ذلك منهم أبدا.

هذا، ويعتبر الحج أيضا من العبادات التي يتم أداؤها بعد أجل طويل نسبيا حيث تقام شعائره في شهر ذي الحجـ ة من كل عام هجري. والحج بدوره على الرغم من أنه يمثـ ل أساسا عبادة روحية لتقوية صلة العبد بربه وللامتثال للأوامر الإلهية المقدسة، فإنه يتضمن منـ افع وجوانـ ب اقتصـ ادية وتحقيقًا لمصالح كثير من البشر. ويمكن أن نستدل على ذلك بقول ا تعالى: ﴿**وَأَذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَـ افِعَ لَهُـ مْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ ا ـ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَـ ا رَزَقَهُـ م مِّـ ن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾ (الحـ ج: ٢٧، ٢٨). ويشير تفسير القرآن العظيم لابن كثيـ ر إلـ ى أن

منافع الحج المشار إليها في الآية الكريمة تتضمن منافع الآخرة (تكفير الذنوب ودخول الجنة) ومنافع الدنيا (ما يحصل عليه الحجاج من منافع البدن والذبائح والتجارة).

ويعتبر موسم الحج فترة ازدهار اقتصادي للبلد المضيف باعتباره سياحة دينية بالغة الازدهار، كما أنه في خلال تلك الفترة يتم تدفق الثمرات والخيرات إلى البلد الحرام المعروف بجدب أرضه، وذلك من خلال تدفق الزوار القادمين من أماكن خصبة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن شعيرة الحج تعتبر بمثابة استقطاب تكتلي هائلي للمسلمين من كل أرجاء المعمورة في مكان جغرافي واحد وفي توقيت زمني واحد، وذلك يمكن أن يمثل فرصة ذهبية لتدعيم الهوية الإسلامية بالقوة الاقتصادية وبالدبلوماسية السياسية وذلك من خلال عقد أو تجديد الصفقات التجارية وغيرها بين الأفراد من ناحية وبين الدول الوافد منها الحجاج من ناحية أخرى. (لمزيد من التفاصيل حول المنافع الاقتصادية التي يمكن أن ترتبط بفترة الحج، ارجع إلى: زينب الأشوح، ذو القعدة ١٤٢٣هـ/ يناير ٢٠٠٣م، ص ١٧٢٩ – ١٧٣٥).

ثانيًا: فيما يتعلق بالعبادات متوسطة وقصيرة الأجل:

ويقصد بها هنا العبادات التي يتم أداؤها كـل شـهر أو كل أسبوع والتي تستغرق في أدائها فتـرة أقصـر ممـا تستغرقه العبادات طويلة الأجل، وهي تتمثل هنا في العمـرة التي يتم أداؤها في أي وقت على مدار العام الهجري، وصيام النوافل على النحو الذي بيناه من قبل كما تم توضـيحه فـي الشكل رقم (٢).

والواقع أن ما قيل عن دور الحج في مساعدة المرء على تخصيص المتاح له من وقت بأسلوب رشيد يمكـن أن ينطبق بالمثل على رحلات العمرة التي تتم على مدار العـام كنموذج مشابه لما يرتبط بشعائر الحج باعتباره تكتلاً بشريا إسلاميا يتجمع في ذات الفترة الزمنية وإن كان بأحجام بشرية أقل وفي أوقات زمنية غير محددة على مدار العام.

أما فيما يتعلق بعبادة الصيام فإن ما قيل سابقًا عـن تخصيص الوقت خلال يوم الصيام يمكن أن ينطبـق بـدون اختلاف كبير في حالة صيام الأيام الثلاثة مـن كـل شـهر عربي ويومي الإثنين والخميس من كل أسبوع. فقـط نـود

التأكيد على الأهمية المتميزة للصيام في هذين اليومين كوسيلة لتحسين وضع المسلم أمام ربه خاصة في هذين اليومين (الإثنين والخميس) اللذين ترفع فيهما أعمال البشر إلى ا سبحانه، حيث يقول النبي ﷺ: "إن الأعمال ترفع يومي الإثنين والخميس، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ١، ١٥٨٣). والواقع أن ذلك الحديث الجليل يوحي لنا بفكرة رائعة – فإن كانت أعمال البشر ترفع للخالق عز وجل يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، فلماذا لا يخصص الإنسان هذين اليومين أيضا لمحاسبة نفسه ومساءلتها عما قام بفعله وما تعرض له من حوادث ومواقف وما بدر عنه من سلوكيات قبل هذين اليومين بحيث يكونان يومين للحساب الذاتي بين المرء ونفسه وذلك عملاً بالتوجيه الشرعي "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"؟!

وبوجه عام، فإن أيام الصيام تعتبر بمثابة علاج نفسي لكبح ثورات النفس الثائرة المتمردة وتعويدها على الانضباط أولاً بأول حيث يرشدنا التوجيه النبوي إلى السلوك الواجب ربطه بالصيام كما جاء في الحديث الشريف: "إذا

كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صـائم" (صـحيح الجـامع الصغير وزيادته، جـ ١، ٧٨٣).

ثالثًا: العبادات اللحظية:

ويقصد بها في نموذجنا الحالي العبادات التـي تـتم خلال اليوم على فترات متقاربة ولفترات زمنية بالغة القصر مقارنة بالمجموعتين السابق ذكرهما. ويمكن أن تتعدد تلـك العبادات اللحظية وأشكالها، ومن الأمثلة عليها تلاوة القـرآن والاستماع إليه والتسبيح والاستغفار والصلاة علـى النبـي. غير أن أهم العبادات اللحظية التـي يمكـن أن تلعـب دورا جوهريا في ترشيد تخصيص وقت الإنسان على الإطلاق هي الصلاة، خاصة الفرائض منها التي أوجـب الإسـلام علـى الإنسان ضرورة تأديتها في أوقات محددة على مدار اليـوم، وأتاح فترة سماح محددة لأداء كل منها بحيث يعاقب المتأخر في أداء تلك الفروض خارج أوقاتها المسموح بها. إذن فكأن الصلوات الخمس – على وجه الخصوص – تعتبـر بمثابـة مؤشرات قياسية ضابطة لفواصـل زمنيـة بالغـة التحديـد والوضوح بحيث يمكـن أن يسـاعد ذلـك الإنسـان علـى

تخصيص أوقاته في خلال اليـوم وتوزيعهـا بـين أعمالـه وأنشطته المختلفة وفقًا لتلك الفواصـل الزمنيـة المرتبطـة بأوقات أداء الفروض الخمسة.

تعتبر الصـلوات المفروضـة بحـق مـن أفضـل المؤشرات الإرشادية التي تساعد على تنظيم حياة الفرد على مدار يومه كله. ولتصنيف أنشطته وتحركاته اليومية بأفضل شكل ممكن بالإضافة إلى ما ينطوي عليـه أداؤهـا – فـي أوقاتها – من منافع ذاتية كثيرة تعود علـى المصـلي مـن الناحيتين البدنية والنفسية.

فتكرار الصلاة على فترات متقاربة ومتفاوتة أيضـا على مدار اليوم الواحد يجعلها أولاً بمثابة عمليـات شـحن روحي متلاحق للإنسان حفاظًا على توازنه الطبيعـي مـع الجانب المادي فيه الذي دائما ما يأخذه إلى مغريات الحيـاة ومادياتها الملموسة، كما أنها تعتبر بمثابة تمرينات رياضـية تضمن مرونة جميع عضلات الجسم وتقويتها وزيادة كفـاءة تشغيلها في أداء المهام المعيشية الشاقة. وبـدلاً مـن اتبـاع النصائح المعتادة بعمل تمرينات رياضية (في الصباح الباكر) فقط، فإن ا الأعلم بطبيعة ما خلق يرشـدنا إلـى أن تلـك

التمرينات يجب ألا تكون فقط (تمرينات الصباح) ولكنها يجب أن تحدث على مدار اليوم.

والواقع أن الفصل التوقيتي للصلوات اليومية يفيد الإنسان أيضا باعتباره نوعا من الراحة الإجبارية لإلزامه بالتوقف عن الأعمال الدنيوية الشاقة وبالابتعاد اللحظي عن حلبة المصارعة مع البشر ومع مشاكل الحياة حيث يستطيع المرء في كل وقت صلاة يقوم لتأديتها أن يتحول إلى مناخ آخر مختلف.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الإنسان يمكن أن يجد أنشطته ومعاملاته وفقًا لأوقات الصلاة المختلفة، وأيضا بالاسترشاد بطول الفترات التي تتخلل كل فرض وآخر بشكل مختلف. ولنبدأ بأول تلك الفروض وهي صلاة الفجر والتي تطل معها إشراقة يوم جديد، ويحدث وقتها تعاقب الملائكة كما جاء في الحديث الشريف: "يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين يأتون فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٨٠١٩ –

٣١١٢). وبافتراض أن الإنسان قد حصل على كفايته مـن النوم قبل الاستيقاظ لأداء صلاة الفجر، فإنه من الأفضل لـه ألا ينام بعد أدائها، بل يجب عليه أن يبدأ بعدها يومه المعيشي وأن يبدأ بأكثر التزاماته مشقة من الناحيتين البدنية والذهنيـة حيث يفترض أنه في ذلك الوقت يكون فـي قمـة حيويتـه ونشاطه. ويمكن أن يدعم رأينا هذا ما جـاء فـي الحـديث الشريف: "بورك لأمتي في بكورها" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٢٨٤١).

وعادة ما تمر نحو خمس ساعات في المتوسط مـن وقت الشروق حتى يحين ميعاد صلاة الظهـر وهـي فتـرة طويلة نسبيا يستطيع الإنسان في خلالها القيام بالأعمال ليست الأكثر مشقة فحسب، بل أيضا والأكثر احتياجا لاسـتمرارية الإنجاز بدون انقطاع. ومع هذا، فقد سن ا علـى الإنسـان صلاة الضحى بحيث يمكن القيام بها في أي وقت خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة نسبيا ما بين صلاة الشروق وبين وقت الظهر. وكأن تلك الصلاة بمثابة جرعة فيتامينات أو منشـط لجميع أعضاء الجسم لتمكينه من الاستمرار في عمله الشاق. وكيف لا والحديث الشريف يقول: "يصبح على كل سـلامي

من ابن آدم صدقة، تسليمه من لقي صدقة، أمره بـالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وبضعه أهله صدقة، ويجزي عن ذلك كله ركعتـان من الضحى، قالوا: يا رسول ا أحدنا يقضي شهوته وتكون له صدقة؟ قال: أرأيت لو وضعها في غير حلها ألم يكن بآثم" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٨٠٩٦ – ٣١٧٧).

ويلاحظ أن الفترة ما بين الظهر والعصـر تتـدنى تقريبا إلى نصف الفترة ما بين الصـبح والظهـر حيـث لا تتعدى ثلاث ساعات ويمكن لذلك أن يوحي لنا بأن الأعمـال التي تتم ممارستها في خلال تلك الفترة تكون من الأعمـال الأقل مشقة والأقل احتياجا للاستمرارية الزمنية مقارنة بتلك التي كانت تؤدى منذ الصباح. وإذا جاز لنـا التعبيـر فـإن أعمال الصباح يفضل أن تكون ذات طبيعة أساسية مسـتقلة بينما الأعمال التي تنجز في الفترة بـين صـلاتي الظهـر والعصر يمكن أن تكون أعمالاً استكمالية. أما الفترة ما بـين العصر والمغرب فهي أقصر من سابقتيها وتبلغ نحو ساعتين في المتوسط ولأنها تقع في النصف الأخير من النهار فيمكن أن يتم تخصيصها لتناول طعام الغداء والراحة. غير أنه من

المفضل للإنسان أن يستمر في أداء أعماله المعيشـية حتـى يحين ميعاد صلاة المغرب، وهنا عليه أن ينهي يومه التكسبي ويبدأ جزءا آخر منفصل عنه تماما.

ويلاحظ أن الوقت بين المغرب والعشاء من أقصـر الفترات الزمنية التي تتخلل الصلوات المفروضـة حيـث لا يتعدى ساعة ونصف. لذا، يفضل عدم التـزام المـرء بـأي التزامات عمل أو غيرها في خلال تلك الفترة. أما بعد صلاة العشاء، فيفضل – إذا لم تكن هناك ضرورة لغير ذلك – أن ينام الإنسان ليتمكن من الاستيقاظ في النصف الأخيـر مـن الليل لقيام الليل ولأداء صلاة الفجر في ميعادهـا... وكـذلك لبدء يومه الجديد على نحو ما أوضحنا من قبل. والواقـع أن ما دفعنا لإبداء ذلك الاقتراح التصوري الأخير أن النبـي ﷺ قال: "نهي عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها" (عـن ابن عباس، الطبراني الكبيـر، صـحيح الجـامع الصـغير وزيادته، جـ ٢، ٦٩١٥).

إما إن كان للإنسان حاجات يجب أن يقضـيها بعـد صلاة المغرب. وأراد في نفس الوقت تنفيذ التوجيه النبـوي الوارد بالحديث السابق ذكره بعدم الكلام بعد صلاة العشـاء،

فيمكنه أن يؤخر صلاة العشاء إلى وقت لاحق لأداء مهمته ثم ينام بعدها مباشرة. مع العلم بأن وقت صلاة العشـاء لـيس ممتدا حتى وقت صلاة الصبح أو الفجر كما يعتقد – خطأ – كثير من الناس، ولكنه ينتهي عادة عند منتصف الليل تقريبا. فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: "لولا أن أشـق علـى أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى الثلث الأخير من الليل أو نصفه" (أحمد بن حنبل، الترمذي، ابن ماجه، في صـحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٣١٣ – ١٧٢٦).

وكقاعدة عامة يمكن استنباطها من التوجيه الإسلامي حول تخصيص الوقت للعمل التكسبي فإن ذلك الوقت يجـب أن يبدأ بعد طلوع الشمس وليس قبلها أبدا وذلك استرشادا بما رواه ابن ماجه من أن رسول ا ﷺ "نهي عن السوم [١] قبل طلوع الشمس" ([١] الرعي – ابن كثير ٤/ ١٨٥).

كما أن التكرار الزمني المستمر للعمـل يمكـن أن يستخدم كمعيار لارتفاع كفاءة العمل وذلك استرشادا بقـول النبي ﷺ: "يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فـإن ا لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى ا مـا دووم

عليه وإن قل" (عن عائشة في الصحيحين، صحيح الجـامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٨٨٧ – ٢٩٨٢).

ونختم حديثنا عـن كيفيـة الاسترشـاد بالصـلوات المفروضة في التخصيص السليم للوقت، بالتركيز على صلاة ذات طبيعة بالغة التميز وهي صلاة الجمعة. حيث يمكـن أن تكون تلك الصلاة الجامعة بمثابة فاصل زمني محدد بين فترة سابقة للأنشاط أو النشاط المحدود وفترة لاحقة لممارسة كـل نشاط. وترشدنا إلى ذلك الآيات الكريمة: ﴿**يا أيهـا الـذِين آمنُوا إِذَا نُودِي لِلصلاَةِ مِن يومِ الْجمعةِ فَاسعوا إِلَى ذِكْرِ ا ـ وذَروا الْبيع ذَلِكُم خَير لَكُم إِن كُنْتُم تَعلَمون * فَـإِذَا قُضِـيتِ الصلاَةُ فَانْتَشِروا فِي الأَرضِ وابتَغُوا مِن فَضلِ ا ـ واذْكُروا ا ـ كَثِيرا لَعلَّكُم تُفْلِحون**﴾ (الجمعـة: ٩، ١٠). وعـادة مـا تضيق فرص ممارسة الأنشطة التكسبية والمعيشية قبل صلاة الجمعة – ولكنها لا تحرم – وذلك لاستحباب إعـداد الحـال الملائم لأداء تلك الصلاة المقدسة مثـل الاغتسـال وتبكيـر الذهاب إلى المسجد. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسـول ا ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابـة، ثـم راح فـي الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة، ومـن راح فـي السـاعة

الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنمـا قرب كبشًا أقرن. ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قـرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضـة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر" (للبخاري ومسلم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ـ٢، ٦٠٦٣ – ٢٠٠٤).

والواقع أن الحديث الشريف يفيدنا كثيرا في استنباط معيار آخر متميز لتقييم أداء العمل على أساس (الوقت) الذي بدأ فيه الإنسان عمله؛ ويمكن أيضا استخدام ذلك المعيار في المفاضلة في أداء وإنجاز مجموعة أفراد يعملـون كفريـق متكامل مكلف بمجال عمل واحد. حيـث تعطـى الأفضـلية وأولوية التقييم لمن بدأ عمله في وقت مبكـر عـن غيـره، أو من حضر إلى مكان العمل وأصبح جاهزا قبل غيره لأداء تكليفات العمل.

٤/٣: **النوم والراحة**:

لم يغفل التوجيه الإسلامي جـانبي النـوم والراحـة كاحتياجات أساسية للبشر. لذا، فقد قدم بعـض الإرشـادات العامة المفيدة في ذلك المجال. فإذا ما بدأنا الحـديث ببدايـة

اليوم التي تأتي مع صلاة الفجر، فإن الإنسان في تلك الفترة قد يكون مستمرا في حالة بين النوم واليقظة؛ فإن نام نومـا كاملاً بعد صلاة الفجر، فقد يتأخر في استيقاظه ويضيع على نفسه بركة التبكير في الاستيقاظ وبدء النشاط اليومي المعتاد كما دعا إلى ذلك الحديث الشريف: "بورك لأمتي في بكورها" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٢٨٤١). وكبـديل فعال ينصح النبي ﷺ بالاضطجاع لبعض الوقت كنوع مـن الإعداد التدريجي للذهن وللبدن لبدء أعمال اليوم الجديد. فقد قال رسول ا ﷺ: "إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن" (حسن صحيح، صحيح الجامع الصـغير وزيادته، جـ١، ٦٤٢).

كما أن ممارسة الأعمال الشاقة والمجهدة قد تصـيب الإنسان بإرهاق يمكن أن يعرقل استمراره في العمل إطلاقًـا أو بالكفاءة المطلوبة بقية اليوم. وللتغلب على ذلك الإرهـاق ولتجديد نشاط الجسم وحيويته، يفضل للإنسان أن ينام نومـا خفيفًا أثناء النهار حيث يقـول الرسـول ﷺ: "قيلـوا؛ فـإن الشياطين لا تقيل" (حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادتـه، جـ٢، ٤٤٣١).

وكما ذكرنا من قبل، فقد نهى النبي ﷺ عن النوم قبل العشاء "نهي عن النوم قبل العشاء، وعن الحـديث بعـدها" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٩١٥)، ومع هذا، فقد وردت في رواية أخرى أنه صلى ا عليه وسلم كـان ينام مبكرا في أول الليل وذلك كما جاء في الحديث الشريف: "كان ينام أول الليل، ويحيى آخره" (عن عائشـة رضـي ا عنها، ابن ماجه في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٠١٧)، ويلاحظ من ذلك الحديث المطهر أن العلة من النوم المبكر، هو التمكن من الاستيقاظ في جوف الليل لأداء صلاة التهجد والقيام. أي أن النوم وسيلة في حد ذاتها لتقوية البـدن وإعانته على مداومة العبادة، ويتأكد ذلك من قول النبـي ﷺ: "إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو نائم لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه" (متفق عليه، رياض الصالحين، صـ ٦٩).

هذا، ولا يؤاخذ الإنسان إذا غلبه النـوم علـى أداء صلاة في وقتها طالما لم يتعمد حدوث ذلك بـدليل الحـديث الشريف: "إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط في اليقظة، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها، فليصلها إذا ذكرها لوقتها

من الغد" (عن أبي قتادة، أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ١، ٢٤١٠ – ١٠٩٣).

والواقع أن النوم يعتبر نعمة يمنحها الله للإنسان كوسيلة للراحة وللاسترخاء وللشعور الآمن المريح بدليل قوله تعالى: **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾** (الأنفال: ١١).

وبعد أن تحدثنا عن أوقات الكسب والنوم والعبادة في حياة الإنسان، ترى هل مازال في حياة المسلم وقت للفراغ يمكن أن يقضيه في أمور أخرى لا تتعلق بكل ما سبق ذكره؟! وإن كان الحال كذلك، إلى أي مدى يتوافق – أو يختلف – المنظور الإسلامي لوقت الفراغ مقارنة بالمنظور الوضعي له. ذلك ما سوف يتضح لنا من الجزء التالي توا.

٣/٥: المنظور الإسلامي لوقت الفراغ Leisure:

كما نوهنا من قبل، وأشير إلى ذلك ضمنًا، فإن هناك اختلافًا كبيرا في الرؤية الإسلامية لاقتصاديات الوقت،

ورؤية الاقتصاد الوضعي في ذلك المجال، ومن أهم أوجـه ذلك الاختلاف؛ أن الاقتصادي الوضعي يتجاهل تماما الوقت الذي يجب أن يقضيه الإنسان في التعبد وفي توطيد صـلاته با عز وجل بينما يعتبر ذلك الوقت من الأساسـيات التـي يهتم الاقتصاد الإسلامي بإبرازها وبتوضيح دورها في توجيه الأوقات الأخرى وتنظيمها بين أنشطة الإنسـان وتحركاتـه الحياتية المختلفة.

وبالإضافة إلى ما سبق، توجد نقطة اختلاف جوهرية أخرى ما بين الرؤيتين، وهي تتعلق في تلك الحالة بموضوع (وقت الفراغ) ومفهومه وكيفية قضاء الإنسان لـه وقبـل أن نعرض بمزيد من التفاصيل كيف تعالج قضية وقت الفـراغ من المنظور الإسلامي نود أولاً أن نوضح المفهوم الوضعي لذلك المصطلح، يلي ذلك توضيح المفهوم الإسـلامي لـذات المصطلح من خـلال نظـرة مقارنـة مركـزة علـى ذات المصطلح كل الاهتمام والتحليل.

- **المفهوم الوضعي لوقت الفراغ**:

كما اتضح من العرض السابق، يعتبر وقت الفـراغ في الأدبيات الاقتصادية التقليدية هو الوقت المتبقي من بقيـة

الوقت المتاح للإنسان للتصرف فيه بعد انتهاء أوقات ممارسته للدراسة أو للعمل التكسبي. وهو وقت (حر) Free Time، حيث يسمح للإنسان بأن يقضيه بالكيفية التي يراها مناسبة، ووفقًا لرغباته الشخصية البحتة. طالما أنه أدى التزاماته المعيشية الأخرى على النحو المستهدف.

ووفقًا للتحليل الاقتصادي الوضعي لوقت الفراغ، فهناك صنفان متميزان منه، أحدهما سلبي وغير مرغوف في وجوده في حياة الإنسان، حيث لا يمارس الإنسان فيه أي أنشطة نافعة، بل وأحيانًا يقضيه في ممارسة أعمال ضارة به أو بغيره مثل تعاطي الخمور والمخدرات والدخول في علاقات منحرفة مع الغير. أما الصنف الثاني؛ فيتمثل في وقت فراغ إيجابي حيث يقضيه الإنسان في الترويح أو الترفيه عن النفس بشكل صحي وسليم بحيث يؤدي ذلك في النهاية إلى تجديد نشاط وحيوية الإنسان ورفع معنوياته ومده بالقدر الكافي من الاسترخاء مما يمكن المرء من العودة لممارسة التزاماته المعيشية والتكسبية بمزيد من الحماس والطموح والقوة. وعادة ما تنحصر اقتراحات الدراسات المتخصصة في ذلك المجال في الوسائل والأشكال الدنيوية

للترفيه وللاسترخاء أثناء وقت الفراغ مثل ممارسة أنواع الرياضة المختلفة والرسم والتأليف، والقيام بنزهات بحرية أو خلوية أو الذهاب إلى دور الفن والملاهي إلى آخره من تلك الأشكال التقليدية المادية.

- **المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ**:

بالرجوع إلى الفصل الأول، يمكن التعرف على المعنى اللغوي للشق الأول من المصطلح المعني، حيث نجد أن كلمة وقت تعني جزء من الزمان، أو أنه – بمزيد من التحديد – "مقدار من الزمان قُدر لأمر ما" ويتبقى لنا إذن أن نتعرف على المقصود من كلمة فراغ حتى يمكن وضع تحديد واضح لما يعنيه المصطلح ككل. ولقد وجد في القواميس اللغوية أنه يعني الخلو (انظر على سبيل المثال إلى المعجم الوسيط ص٦٨٤). ومن الإيضاحات التي يمكن أن تعمق ذلك المفهوم وتضيف بعض المعاني الهامة له أنه إذا قيل "فرغ من الشيء" فذلك يعني إتمام ذلك الشيء بينما تعني جملة "فرغ إلى الشيء" أو "فرغ للشيء" انقطاع المرء لفعل ذلك الشيء فقط وتركيز كل الاهتمام عليه وحده، أما عبارة "تَفَرَغ من الشيء" فهي التي تعني التخلي عن ذلك الشيء

أو تركه لفعل غيره كالتفرغ من الشغل – على سبيل المثـال – (المعجم الوجيز، صـ ٤٦٨).

ويلاحظ مما سبق أن معنى كلمة "فراغ" فـي اللغـة العربية يتم بشكل أكثر دقة وتحديدا من كيفية تحديد معناهـا كمنظور وضعي غير دقيق بالمقارنة. وبالعودة إلى التركيـز على الجانب اللغوي، فإننا نجد أن كلمة فراغ تعنـي الخلـو على إطلاقها لكن إضافة بعض الحروف إليها قد تغير مـن معنى الكلمة تماما وتحولها إلى الامتلاء أو الانشغال الكامل.

وحتى يمكن تأصيل المفهوم الإسلامي لكلمة الفـراغ منتسبة إلى الوقت يمكن الاستعانة بـالنص القرآنـي الـذي وردت فيه إحدى مشتقات كلمة الفراغ المعنية وتتبع تفسـيره كما جاء في شرح العلماء لذلك. ففي سورة الشرح يقول ا عز وجل: **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصب * وإلـى ربـك فَارغَـب** (الشرح: ٧، ٨). ويتضح من شرح ابـن كثيـر أن كلمـة "فرغت" تعني: قطعت نفسك عن أمور الدنيا وأشغالها (المجلد الرابع، جـ٨، صـ ٢٤٨).

وإذا كانت الآية السابقة من سورة الشرح تشير إلـى الفراغ بمعنى الانقطاع عن أمور الدنيا وأشغالها، فإن الآيـة

التالية لها مباشرة تشير إلى أن انقطاع الإنسان عـن أمـور الدنيا وأشغالها المادية لا يعني أنه أصبح حـرا طليقًـا فـي استغلال ما تبقى له من وقت بعد ذلك (كمـا اتضـح مـن المنظور الوضعي السابق الإشارة إليه سابقًا)، بل إن علـى الإنسان آنئذٍ أن يبدأ في (التفرغ) لأداء مهمة أخـرى بالغـة الأهمية لاستكمال دوره على الأرض وذلك بـأداء عبـادات التطوع عز وجل وتعميق صلاته الروحية بخالقه حتى لا ينسى أو ينحرف عن طبيعة دوره الأصلي الذي خلـق مـن أجله وهو عبادة ا الواحد القهار وذلك مصداقًا لقوله تعالى:

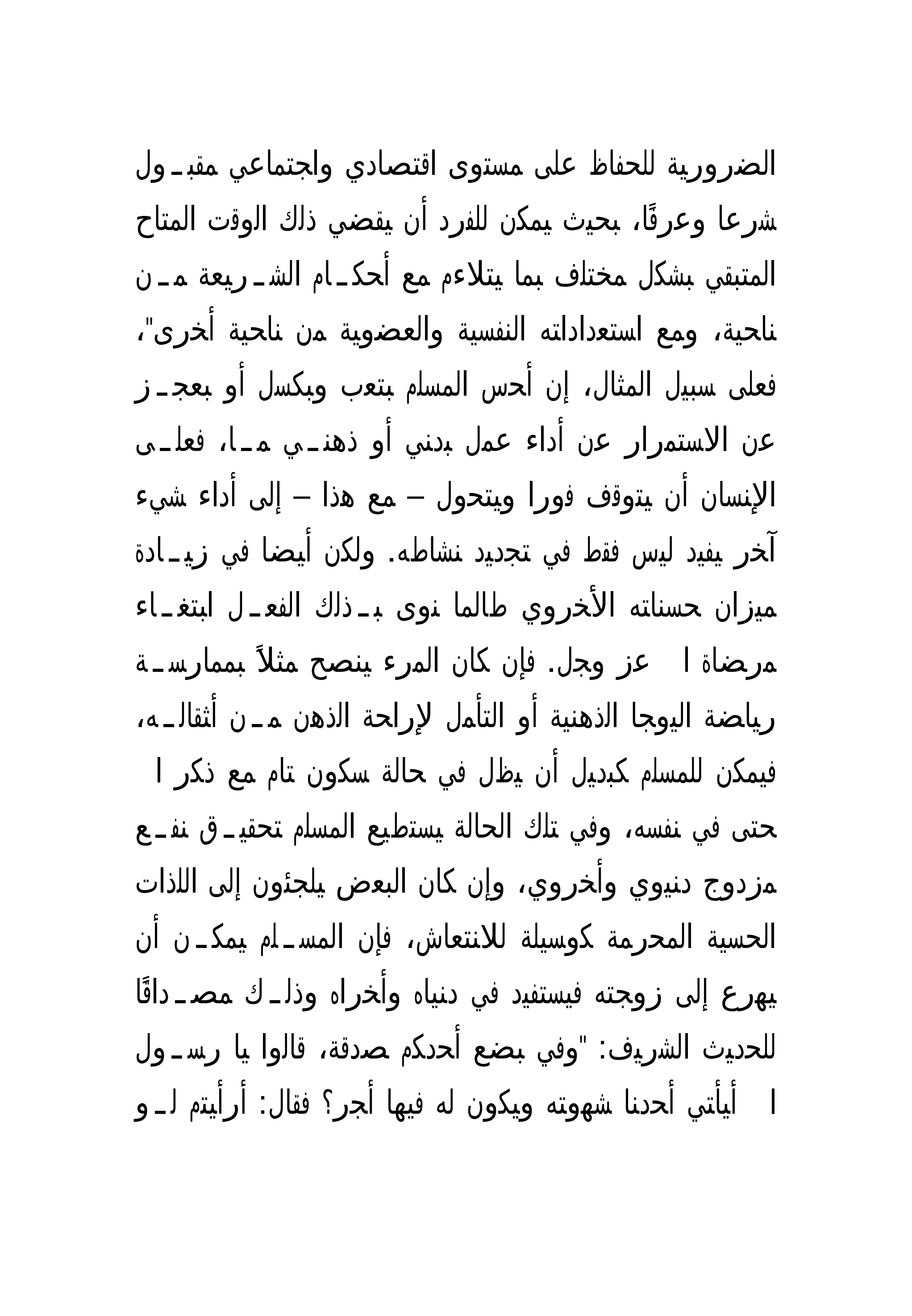
وما خَلَقْتُ الْجِن والإِنْس إلا لِيعبدون * ما أُرِيد مِنْهم مـن رزقٍ وما أُرِيد أَن يطْعِمون * إِن ا هو الرزاقُ ذُو الْقُـوةِ الْمتِين (الذاريات: ٥٦ – ٥٨).

ويتضح من الآيات الكريمة أيضـا ضـرورة عـدم الجور على وقت العمل واستجلاب المنافع الدنيويـة علـى حساب الوقت المخصص للعبادة والتقرب إلى ا لأنه وحده هو الرزاق، وبالتالي فإن التفرغ للعمل الدنيوي قـد يكـون شرطًا ضروريا ولكنه غير كافٍ لضـمان تحقـق المنـافع الدنيوية المستهدفة.

وبناء على ما سبق، يتأكد أن الإسلام لا يسمح بوجود وقت فراغ بالمعنى المشار إليه في المنظور الوضعي حيث إن المسلم لابد أن يشغل كل لحظة في حياته بعمل أو سلوك أو بنشاط يحسب له ولا يحسب عليه في ميزان أعماله الذي يحدد مآله الأخروي.

هذا، كما أن الإسلام لا يفرد للعمل وللسعي الدنيوي مصنفًا منفردا في قائمة السلوك البشري الواجب – وذلك كما يحدث من المنظور الوضعي – بل إن العمل والسعي الدنيوي يعتبران جزءا لا يتجزأ من عبادة الإنسان الخالق المعبود طالما اقترن ذلك بالنية الصالحة وتم ضبطه بالحدود والأحكام الشرعية التي أمر بها ا سبحانه وتعالى. ووفقًا لذلك المنظور، فإن الإنسان الذي يراعي الضوابط الإسلامية في استغلاله للمتاح له من وقت وأجل لابد أن يدرك أنه لا وقت فراغ لديه – فهو يفرغ من شيء لكي يتفرغ لشيء آخر وذلك حتى ينتهي دوره الموكل إليه في الحياة الدنيا.

وبالتالي فإن وقت الفراغ يمكن أن يعرف من المنظور الإسلامي على أنه "ذلك الوقت المتاح للإنسان بعد أداء العبادات المفروضة وإتمام المهام المعيشية والتكسبية



الضرورية للحفاظ على مستوى اقتصادي واجتماعي مقبـول شرعا وعرفًا، بحيث يمكن للفرد أن يقضي ذلك الوقت المتاح المتبقي بشكل مختلف بما يتلاءم مع أحكـام الشـريعة مـن ناحية، ومع استعداداته النفسية والعضوية من ناحية أخرى"، فعلى سبيل المثال، إن أحس المسلم بتعب وبكسل أو بعجـز عن الاستمرار عن أداء عمل بدني أو ذهنـي مـا، فعلـى الإنسان أن يتوقف فورا ويتحول – مع هذا – إلى أداء شيء آخر يفيد ليس فقط في تجديد نشاطه. ولكن أيضا في زيـادة ميزان حسناته الأخروي طالما نوى بـذلك الفعـل ابتغـاء مرضاة ا عز وجل. فإن كان المرء ينصح مثلاً بممارسـة رياضة اليوجا الذهنية أو التأمل لإراحة الذهن مـن أثقالـه، فيمكن للمسلم كبديل أن يظل في حالة سكون تام مع ذكر ا حتى في نفسه، وفي تلك الحالة يستطيع المسلم تحقيـق نفـع مزدوج دنيوي وأخروي، وإن كان البعض يلجئون إلى اللذات الحسية المحرمة كوسيلة للانتعاش، فإن المسـلم يمكـن أن يهرع إلى زوجته فيستفيد في دنياه وأخراه وذلـك مصـداقًا للحديث الشريف: "وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسـول ا أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال: أرأيتم لـو

وضعها في الحرام كان يكون عليه وزر، قالوا:بلـى، قـال: فكذلك إذا وضعها في الحلال له الأجر" كما أن إراحة البـدن من مشقة العمل تجديدا للنشاط وإعانة على الاسـتمرار فـي أداء دور المسلم في الحياة يمكن أن يعتبر – في حد ذاتـه – أحد أشكال العبادة خاصة لو نوى المسلم القيام بـذلك اتبـاع السنة حيث يقول النبي ﷺ: "يا عبد ا ! ألم أخبر أنك تصـوم النهار وتقوم الليل؟ فلا تفعل، فإنك إذا فعلت ذلـك هجمـت عينك، وتفهمت نفسك فصم وأفطر وقم ونم، فـإن لجسـدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقـا، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكـل حسنة عشرة أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر كله، قال: إنـي أجد قوة، قال: فصم صيام نبـي ا داود، ولا تـزد عليـه، نصف الدهر" (صحيح الجامع الصـغير، مـج٢، ٧٩٤٢ – ٣٠٣٦).

ونخلص مما سبق إلى التأكيد على أن وقت الفـراغ يختلف في المنظور الإسلامي عنه في المنظور الوضعي من زاوية أساسية حاسمة تتمثل في أن الإنسان ليس حـرا فـي استغلال المتاح له من وقت حتى إن كان قد أدى ما عليه من

التزامات تتعلق بالعمل الدنيوي والتكسبي الضروري. فحتى لو اتفق على أن وقت الفراغ يعنـي الوقـت الخـالي مـن الانشغال ففي المفهوم الإسلامي يكون الأمر نسبيا حيـث إن الإنسان إذا ما خلا وقته من الانشغال بـأمر مـا، فلابـد أن ينصرف إلى غيره كعملية متكاملة كلية يجب عليه إنجازهـا في خلال فترة زمنية إجمالية محددة بلحظات عمره وبوقـت تواجده في الحياة الدنيا.

وبناء على المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ المشـار إليه توا، نلاحظ أنه يتميز على المفهوم الوضـعي لأن الأول يشجع على (كثرة وتعدد) الإنجازات الإيجابية الفعالة والبناءة التي يمكن أن يقوم بها الإنسان طوال فترة حياته طالمـا أن الفراغ بالنسبة له هو مرحلة تصنيفية وانتقالية من وضع إلى آخر في مجال واحد محدد ومحكوم بهدف شرعي لا بديل له وهو إعمار الأرض وتحقيق النفع الذاتي للمرء وللإنسانية بل ولكل مخلوقات الأرض في إطار الدور الموكل إليـه وهـو الخلافة في الأرض أما في المنظور الوضـعي فـيمكن أن يعتبر وقت الفراغ بمثابة ثغرة يمكن أن تعرقل عمليات النمو والتقدم إذا لم يحسن المرء استغلاله أو حرصه على أن يكون

ذلك لمجرد تحقيق ملذات وإرضاء شهوات دنيوية لا تنفع الذات ولا الآخرين بل قد تسبب لهم أضرارا لا يعرف لها حدود.

هذا، ويمكن أن يعتبر المفهوم الإسلامي لوقت الفراغ – كما سبق إيضاحه توا – بمثابة دليل لا يقبل الشك على أن الإسلام هو دين تقدم ونمو وليس دينًا يساعد على التخلف والتكاسل كما تدعي بعض الجهات المغرضة. ومن أجل تعميق تلك النتيجة، يوصى بعمل مزيد من الأبحاث الموجهة لدراسة جدوى مشروعات اقتصادية قامت على أساس مراعاة المفهوم الوضعي لذلك مع الحرص على قياس إنتاجية العاملين في كلا الصنفين المعنيين ونحن ننتظر النتائج.

وبالإضافة إلى ما سبق، نود إضافة بعض الحقائق والجوانب الأخرى المتعلقة بمفهوم وقت الفراغ من المنظور الإسلامي والأمثلة على بعض الأشكال الفعلية (الفعالة) لكيفية قضائه بحيث يتطابق مع المفهوم الإسلامي أي بحيث يظل ذلك الوقت بمثابة إحدى الحلقات المتصلة ببقية حلقات الوقت الكلي المتاح للإنسان في الحياة الدنيا، ويكون فراغًا من نشاط أو سلوكًا نافعا إلى آخر نافع ولكن بشكل مختلف.

أولاً: **وقت الفراغ يمكن أن يكون وقتًا لأداء العبادة التطوعية أو الإعداد لها**:

فتشير الرؤية الإسلامية إلى أن وقت فراغ الإنسـان هو ذلك الوقت المخصص له بعد انتهائه من كـل التزاماتـه التعبدية المفروضة والدنيوية المعيشية ومتعلقاتها التي تنفعـه في الوفاء باحتياجاته المادية، وبالتالي تتبقى لـه احتياجـات أخرى ترويحية ومساعدة على تدعيم حالة التوازن التي يجب أن يظل عليها بشكل صحيح في الدنيا والتي تضمن الوفـاء بالاحتياج الآني المزدوج للجسد وللروح معا ويكـون ذلـك بطبيعة الحال بقضائه في العبادات المختلفة (التي تشمل كـل أشكال اللهو والترفيه الإيجابي والمفيد للذات وللغير والتـي تتيح فرصة الإضافة إلى ميزان حسـنات المسـلم). ولـيس بالسعي إلى اللهو المحرم أو العقيم الذي يمكن أن يسـاهم – على عكس المستهدف – في تدمير ما يتبقى لديه من نزعات روحانية صافية مما يعرض المرء لعدم التوازن الذي يتسبب في وقوعه في هوة انحرافات لا نهاية لها بدليل مـا يحـدث الآن من تفش لمظاهر الانحراف مثـل الإدمـان والشـذوذ وغيرها.

ومن الآراء الهامة التي تعرضت لهذا الوقت نذكر – على سبيل المثال لا الحصر – ما قيل ضمنًا في بعض الدراسات المهتمة بالتنمية البشرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، حيث يتفق كل من العالمين: صديقي Siddiqi وحميد ا Muhammed Hameedullah Siddiqi, ٨٠, (pp٨٨ – ١٥١) على أن أكبر طلب على وقت الفراغ يتركز في العالم الإسلامي وذلك نتيجة للرغبة في أداء العبادات على اختلاف أنواعها بالإضافة إلى القيام بالالتزامات الاجتماعية التكافلية المكلف بها كأحد أسس الشريعة التي يتبعها. ويعتبر ذلك شيئًا مرغوبا فيه بدليل أن صديقي اقترح في النموذج الذي قدمه عن ضوابط الاستهلاك الإسلامي أن يراعى الحث على زيادة الطلب على كل ما يؤدي إلى المزيد من الثقافة والخدمات الاجتماعية؛ ويتيح فرصة لتحقيق وقت فراغ أكبر واستثماره بشكل أقل.

ولقد أرشدنا ا سبحانه وتعالى إلى كيفية قضاء وقت الفراغ في قوله تعالى: **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَب * وإِلَى ربك فَارغَب** (الشرح: ٧، ٨). ولقد ورد في شرح ابن كثير (المجلد الرابع، جـ٨، ص ٢٤٨) لهاتين الآيتين الكريمتين،

فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشـغالها وقطعـت علائقهـا، فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطًا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، ويرى "الثوري أن كلمة فانصب هنـا تعنـي اجعل نيتك ورغبتك إلى ا عز وجل".

ويفيد المدلول الأخير في توضيح أمر بالغ الأهميـة. فمن رحمة ا بعباده أنه أتاح للبشر عددا كبيرا بالغ التنـوع من أشكال العبادات التي يمكن للإنسان أن ينتقل بينها – دفعا لجانب الشعور بالملل – أو أن يقوم ببعضـها لأنهـا أكثـر ملاءمة لقدراته ولظروفه من البعض الآخر، بل إنه سـبحانه وتعالى بكرمه الواسع جعل أي عمل أو سـلوك يقـوم بـه الإنسان (حتى إن كان فيه مصلحة خاصة لـه) نوعـا مـن العبادة التي يمكن أن يؤجر عليها، طالما جعل نيته ورغبتـه في ذلك العمل أو السلوك إلى ا عز وجـل كمـا أوضـح الثوري عاليه.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن التوجيه الإسـلامي وإن كان يبدو اتفاقه مع الرؤية الوضعية في التعريف العام لوقت الفراغ وهو أنه ذلك الوقت المتبقي بعد إنجـاز مسـتلزمات المعيشة من أعمال، فهو يعتبر وقت الفراغ بمثابة مورد نافع

متاح للإنسان وعليه أن يحسن استغلاله. وبمعنى أكثر تحديدا فهو من النعم التي لا يفطن إلى أهميتها كثير من الناس حيث يساء استخدامها بحيث يؤدي ذلك إلى ظلم النفس أو الإضرار بها، إما لعدم الاستفادة بالمنافع الكامنة في تلك المساحة من الوقت نتيجة لعدم استغلاله بشكل إيجابي فعال، أو للإصابة بأذى نتيجة لسوء استغلاله فيما يتنافى مع الشرع والقانون حيث يتعرض الإنسان في تلك الحالة للوقوع في دائرة الإثم والعقاب الدنيوي والأخروي. ويرشدنا إلى ذلك التوجيه الإسلامي الحكيم قول النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (عن ابن عباس، البخاري، الترمذي، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٧٧٨).

وعلى أية حال، فإن كنا قد أشرنا سابقًا إلى أن وقت الفراغ في الإسلام هو وقت العبادة أو الإعداد لها، فإننا أيضا نوهنا إلى أن أي عمل أو سلوك يقوم به الإنسان حتى إن كان فيه مصلحته الذاتية، بل ومتعته الذاتية أيضا ولكن أراد الإنسان بها ابتغاء مرضاة ا فيمكن أن تصبح أحد العبادات

التي يثاب ويؤجر عليها كما أوضحنا – عرضًا – في صفحات سابقة.

وحتى تتضح لنا الرؤية الإسلامية الإرشادية لكيفية قضاء وقت الفراغ، ويتبين لنا مدى مرونتها وملاءمتها للنفس البشرية، نورد فيما يلي بعض الأمثلة الهامة على ما يمكن للإنسان الرشيد أن يفعله في وقت الفراغ المتاح له.

ثانيًا: **بعض الأمثلة الأخرى على كيفية قضاء وقت الفراغ**:

كما ذكرنا سابقًا، فإن وقت الفراغ يمكن أن يقضى في عبادة، أو في الإعداد لها. ويقصد بالعبارة الأخيرة أن يحاول الإنسان في خلال ذلك الوقت فعل ما من شأنه أن يقوي بدنه ويشحن روحه بجرعات إيمانية تمهيدية تساعده على القيام بالعبادات المفروضة منها والتطوعية بالشكل الكافي وبالأسلوب الصحيح. وبالتالي يمكن أن تصبح تلك الإنجازات في حد ذاتها بمثابة عبادات مأجورة حتى وإن لم تكن تتم في شكل العبادات المتعارف عليها كالصلاة والحج والعمرة... إلخ ومن الأمثلة على الأشكال الأخرى لقضاء

وقت الفراغ مما يتيح للمسلم فرص تحقق السعادة والرفاهية في الدنيا والآخرة أيضا نذكر الآتي:

١) الاضطجاع والرقاد كوسيلة لاستعادة نشاط الجسم وحيويته:

فكما أوضحنا سابقًا، إن كان الإنسان يشعر بإرهاق أو بتعب أو بميل إلى النعاس، فيجب عليه عدم تأديته للصلاة وهو على هذه الحال تجنبا للخطإ في أداء تلك العبادة المقدسة. وكحل فعال، ينصح الإنسان بالاضطجاع بحيث يستلقي على الفراش بدون نوم، أو بالرقاد بحيث يمكن أن ينام الإنسان إذا كان جسمه محتاجا لذلك. وكما ذكرنا من قبل، فإن النوم لا يحاسب عليه المرء طالما كان الجسم محتاجا إليه حيث إنه وسيلة حيوية ضرورية لتحقيق الاسترخاء التام ولتجديد حيوية ونشاط كل أعضاء الجسم وذلك كما قال الرسول ﷺ: "إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط في اليقظة، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها، فليصلها إذا ذكرها لوقتها من الغد" (عن أبي قتادة، أبو داود،

الترمذي، النسائي، ابن ماجـه، صـحيح الجـامع الصـغير وزيادته، جـ١، ٢٤١٠ – ١٠٩٣).

وإذا فعل الإنسان ذلك بأن يضطجع أو ينام استعدادا للقيام بنوع من العبادة بعد ذلك (وهي ليست بالصلاة فقط كما سيتضح من أمثلة تالية أخـرى)، فإنـه حتـى مـع وقـت اضطجاعه أو نومه هذا يكون في حالة عبادة يؤجر عليها إن شاء ا وذلك استرشادا بالحديث الشريف: "إذا نعس أحـدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم..." (سبق ذكـره). وحيث يعتبر النائم في تلك الحالة في حالة صـلاة وإن لـم يؤدها بالفعل طالما أنه يعد نفسه لفعلهـا. ويتأكـد لنـا ذات المدلول مما ورد في الحديث الشريف: "إن الناس قد صـلوا وناموا، وأنتم لا تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة، ولـولا ضعف الضعيف، وسقم السقيم لأمرت بهذه الصلاة أن تؤخر إلى شطر الليل" (عن أبي سعيد، النسـائي، وابـن ماجـه، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ١٩٧٦ – ٨٨٦). ويتركز المدلول المستهدف بصفة خاصة في الحديث السابق في قول الرسول ﷺ: "وأنتم لم تزالوا في صلاة ما انتظـرتم الصلاة".

٢) التنويع والتجديد تجنباً للملل:

فحتى العبادة برغم قدسيتها وعظم دورها في توطيد صلة العبد بربه، فلا يجب على الإنسان الاستمرار فيها بشكل مبالغ فيه حتى لا يصاب المتعبد بالملل، وكما ذكرنا من قبل فإن العبادات لها أشكال وأنواع بالغة التنوع، وأنه حتى مـا يقوم به المرء لتحقيق سعادته الخاصة يعتبر عبادة في حالـة نيته أن يجعلها لوجه ا . فيمكن بذلك للإنسان أن يقوم بجزء من وقت الفراغ في أداء أحد العبادات المتعارف عليها كأداء صلوات التطوع مثلاً، كما يمكنه أن يخصص جزءا آخر في ممارسة أحد أنواع الرياضيات أو الترويح عن نفسه بالخروج مع الأهل أو الأصدقاء في نزهة يتمتع فيها بما خلق ا مـن مظاهر طبيعية خلابة.. إلخ ولكن حتى يصبح ما يفعله مـن قبيل العمل الذي يحسب له وليس عليه، فيجب على المرء أن يراعي اتباع التعاليم والأحكام الشرعية الضابطة مثل ارتداء الملابس الشرعية وغض البصر، والتسبيح بعظمة ا عنـد رؤية زهور جميلة مثلاً.. إلـخ. وبـالرجوع إلـى السـنة المطهرة، نستدل على وجوب التنويع والتجديد تجنبـا للملـل وذلك كما قال رسول ا ﷺ: "والذي نفسي بيده، لـو كنـتم

تكونون في بيوتكم على الحالة التي تكونون عليهـا عنـدي، لصافحتكم الملائكة، ولأظلتكم بأجنحتها، ولكن يـا حنظلـة! ساعة وساعة" (عن حنظلة الأسدي؛ أحمد بن حنبل، مسـلم، الترمذي، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصـغير وزيادتـه، جـ٢، ٧٠٧٣ – ٢٤٠٢).

٣) من العبادات التي لا تتطلب مشقة: الذكر والتسبيح والدعاء والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ:

فبدلاً من ترديد كلمات الأغـاني الهابطـة وتعويـد اللسان على التلفظ بالكلمات الخادشة للحيـاء بحجـة تبـادل النكات ومحاولة (الفرفشة)، يمكن للإنسان أن يرطب لسـانه ويجلوه بمداومة التلفظ بكلمات وبعبارات تحسـب لـه فـي رصيد حسناته وتجعله دائما في معية ا وهي مـع ذلـك لا تكلف المرء أي نوع من المشقة التي قد يعاني منها في حالة قيامه بالصلاة خاصة صلاة الليل، أو بشعائر الحـج علـى سبيل المثال. والواقع أن تلك العبادة الخفيفة يمكـن أداؤهـا حتى في أوقات عمله وليس فقط في وقت فراغه. ومن ذلـك

ذكر ا وتسبيحه الذي يعود على الإنسان بالسكينة والطمأنينة مما يعتبر نوعا ضمنيا من الاسترخاء الذي يمكن أن يتمتع به الإنسان حتى وهو في وقت العمل. **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر ا ألا بذكر ا تطمئن القلوب** (الرعد: ٢٨). وفي ذلك أيضا اقتداء برسول ا ﷺ "كان يذكر ا تعالى على كل أحيانه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٤٩٤٣).

والواقع أن التسبيح وذكر ا يمكن أن يساعد الإنسان على الترويح الإيجابي (الفعال) وتيسير الأعمال الشاقة المكلف بها حتى أن الرسول ﷺ جعله وسيلة أفضل من الاستعانة بخادم فحين احتاجت ابنته فاطمة إلى خادم لإعانتها في الأعمال المنزلية الشاقة وكان زوجها يعاني من ضيق اليد قال لها الرسول ﷺ: "ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين ا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعا وثلاثين، حين تأخذين مضجعك" (صحيح مسلم، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٢٦١٦ – ٢١٠٧). وعلى الرغم من أن الدعاء يقوم به الإنسان بهدف تحقيق مصلحة له أو لمن يريد، فقد أكرمه ا بأن جعل ذلك

الدعاء عبادة يثاب عليها "الدعاء هو العبادة" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ١، ٣٤٠٧). وبالتالي، فحتى لو كـان الإنسان في حالة عمل تكسبي، فيمكنه أن يخفف من وطـأة مشقته على نفسه أو أن يستعين على ما يمكن أن يكتنفه مـن مضايقات بالترويح عن نفسه بالدعاء وبدون أن يحتاج إلـى تخصيص وقت معين للحصول على ذلك النوع من الترويح.

كما يمكن أن تحدث ذات الاستفادة بأمور متشـابهة أخرى مثل الاستغفار **ويا قَومِ استَغْفِروا ربكُم ثُم تُوبوا إِلَيهِ يرسِلِ السماء علَيكُم مدرارا ويزِدكُم قُـوةً إِلَـى قُـوتِكُم ولاَ تَتَولوا مجرِمِين** (هود: ٥٢). كما يرشدنا رسول ا ﷺ إلى ذلك بما كان يفعله هو نفسه: "وا أني لأستغفرن ا وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٠٩١). وحتى في عبادات ترطيب اللسان التي يمكن الترويح بها عن النفس في جميع الأوقات شـاملة أوقات العمل، فهناك تنوع كبيـر متـاح للإنسـان بشـأنها، فبالإضافة إلى ما سبق، يمكن أيضا الإكثار من ذكر عبارات التوكل على ا "أكثر من لا حول ولا قوة إلا با فإنها مـن كنز الجنة" (صحيح الجـامع الصـغير وزيادتـه، جـ١،

١٢٠٥)؛ وكذلك الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ "أكثـروا الصلاة علي، فإن ا وكل بي ملكًا عند قبري، فـإذا علـي رجل من أمتي قال لي ذلك الملـك: يـا محمـد إن فـلان ابن فلان صلى عليك السـاعة" (حسـن، صـحيح الجـامع الصغير، جـ١، ١٢٠٧ – ٥٤٣).

٤) التفقه في الدين وتلاوة القرآن وحفظه والتدبر المتأني في معانيه:

ولا نقصد هنا الحصول على العلم بشـكل رسـمي ومنتظم من خـلال إحـدى المؤسسـات التعليميـة الدينيـة بالضرورة، فيمكن أن يحدث ذلك أيضا من خـلال مجـالس العلم والتعلم الديني داخل أروقة المساجد، وكذلك يمكن للفرد تكوين مكتبة دينية متنوعة يستنير بمحتوياتها كلما أتـيح لـه وقت لذلك. لكن على المرء أن يبدأ أولاً بالقرآن فيتعلم كيفية تلاوته ويحاول فهم معاني كلماته والتدبر المتعمق لمدلولاتها وكتابة ملحوظات حولها بحيث ينتهي بمرجع مركز يمكن أن يستفيد به هو وغيره. وقد رغب ا في ذلك حيـث يقـول الرسول ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (صحيح الجامع

الصغير وزيادته، ج ـ ١، ٣٣١٩). وقد وعـد ا سـبحانه وتعالى المداوم على تلاوة القرآن بالخير الوفير **إِن الـذِين يتْلُون كِتَاب ا ـِ وأَقَاموا الصلاةَ وأَنفَقُوا مِما رزقْنَاهم سِـرا وعلاَنِيةً يرجون تِجارةً لن تَبور** (فـاطر: ٢٩). ويمكـن للمرء أن يحدث نوعا من التنوع هنا بأن يتدارس الأحاديـث النبوية الشريفة وكتب الفقه والسيرة وغيرهـا مـن الكتـب الإسلامية التي يمكن أن تجنب قارئها مخاطر الوقـوع فـي مصيدة بعض الكتابات الملوثة فكريا. أما عن كتب السـيرة وقصص الأنبياء والصحابة والصالحين والتـائبين والعلمـاء وأمثالهم، فهي تمثل بحق مادة فكرية ممتعة لأي قارئ كمـا أنها يمكن أن تفيد القارئ في نفس الوقـت بتقـديم تجـارب لنماذج بشرية أولى بالاقتداء.

٥) تفقد أحوال الأولاد:

ولا نقصد هنا الأعمال الشاقة التي يـتم بـذلها فـي رعاية الأولاد وتربيتهم، ولكـن المقصـود هنـا الأعمـال الإشرافية والتوجيهية المختلطـة بالمـداعبات والسـلوكيات الطفولية التي يمكن أن تنطوي على جانبين أحدهما تربـوي إرشادي توجيهي للصغار، والآخر ترفيهي وترويحي حتـى

للكبار وذلك مثل القيام برواية قصص للأطفال ومشاهدة أفلام كارتون تربوية هادفة وممارسة هوايات بناءة لمهارات الذكاء لدى الأطفال. وكذلك الإنصات إلى آراء هـؤلاء الصـغار وتوجيهها إلى الاتجاه المناسب.

وهناك بعض الوسائل والأشكال التربوية الإشـرافية الأخرى التي يجب القيام بها تجاه الصغار وفي نفس الوقـت يمكن دمجها ضمن أنشطة وقت الفراغ لأنها كما أوضحنا من قبل قابلة للاختلاط وللتداخل مع الأعمال الترفيهية كما أنها لا تتطلب مشقة مثل تلك التـي تتطلبهـا الأعمـال المعيشـية والتكسبية التقليدية، ومن بين الوسائل التربوية التـي وردت في التوجيهات الإسلامية متابعـة أداء الصـغار للفـروض، "علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليهـا إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع" (عن أبي هريـرة، صحيح أبي داود، ٥٠٨)، كما يجب التلويح المستمر بالعقاب لتجنب الوقوع في الخطإ منذ البداية "علقوا السوط حتى يراه أهل البيت" (صحيح الجـامع الصـغير وزيادتـه، جـ ـ٢، ٤٠٢١)؛ وفي رواية أخرى لحديث حسن: "علقـوا السـوط حتى يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم" (صحيح الجامع الصغير

وزيادته، جـ٢، ٤٠٢٢). وكالحال عند تربية الكتاكيت والقيام بتجميعهم وقتما يحل المساء ووضعهم في مكان مغلق لحمايتهم من القطط المفترسة التي عادة ما تظهر في المساء وتهدد بالتهام تلك الكتاكيت الضعيفة، فإنه يجب أيضا في ذات الوقت الذي يشارف على الظلام وهدأة الرجل أن يتم تجميع صغار الأولاد في غرفة مع والديهم مع إغلاق الباب عليهم تحرزا من الشياطين والمخلوقات الليلية وحماية للصغار من احتمال إصابتهم بأذى منهم. فعن ابن عباس أن رسول ا ﷺ قال: "إذا غربت الشمس فكفوا صبيانكم، فإنها ساعة ينتشر فيها الشياطين" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٩٢).

٦) صلة الرحم والتواصل مع الجيران:

فمن الثابت أن صلة الرحم من وسائل زيادة الرزق وبركته ونمائه، كما أن الإحسان إلى الجار من الأمور التي ورد وجوبها في كثير من النصوص الشرعية، ومن الأمثلة على ذلك الحديث الشريف: "من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٩٥٦)؛ والحديث الشريف: "من كان يؤمن

با واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يـؤمن بـا واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يـؤمن بـا واليـوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (صـحيح الجـامع الصـغير وزيادته، جـ٢، ٦٥٠١). وبوجه عام، فإنه يمكـن اعتبـار صلة الرحم والإحسان إلى الجار أحد الأشكال التعبدية حيـث يثاب من يسعى إلى تحقيقها ويعاقب من يفعل عكس ذلك.

ويلحق بصلة الرحم، صلة أصدقاء الوالدين "من البر أن تصل صديق أبيك" (صحيح الجـامع الصـغير، جـ ـ٢، ٥٩٠١)؛ "من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده" (صحيح الجامع الصغير، جـ٢، ٥٩٦٠). بـل إن التواصل الذي يحدث بين الفئات المعنية يمكن أن يمتد إلـى تحقيق المصالح الذاتية الدنيوية التـي تتمثـل فـي إمكانيـة المشاركة في أنشطة تكسبية أو تبادلية، بحيث يـتم اسـتفادة الغني من الفقير بالمساعدة بالمجهود العضلي أو بما يتميز به من خبرات، ويمكن أيضا أن يعم خير ذي النفوذ على أقاربه؛ الذين يفيدونه بدورهم في تدعيم نفوذه والـدفاع عنـه ضـد الحاقدين وأعداء النجاح، وهكذا، كأن من تربطهم الأرحـام أو ما شابهها من صلات قريبة هم أمم منفصـلة – متكاملـة

القدرات والإمكانيات ومتعددة الميول والخبرات والاحتياجات – وبالتالي يفترض أن يحدث تكامل بينهم بما يتـيح فرصـة تكوين (تكتل) اقتصادي واجتماعي يمكن أن يكون نواة جيدة لتكتل اجتماعي قوي يتكون من مجموع تكـتلات الأقـارب المأمول تحققها على مستوى كل من تربطهم ببعضهم صلات رحم وقرابة وجيرة.

وهناك أشكال كثيرة ومتنوعـة لتحقيـق التواصـل المنشودة وذلك مثل تبادل الزيارات وجلسات السمر البريئـة أو الخروج في رحلات جماعية مع الأطراف المعنية (أقارب وجيران ومن في حكمهم)، والمساعدة في قضـاء حـوائجهم وفي حل ما يقابلهم من مشاكل وعثرات، وتبادل الاتصالات الهاتفية والأحاديث الودية، ويمكن أن تدخل الغالبية العظمـى في تلك الأشكال المتعلقة بصلة الرحم والتواصل مع الجيران ضمن وقت الفراغ الذي نتحدث عنه الآن، حيث إنه يتعلـق بأمور يمكن أن تنعكس بآثارها الجميلة على نفسية الشـخص وتساعد على الترفيه عنه كما أنها كلها أمور تتم خارج نطاق الأعمال المعيشية اللازمة للمرء ولمن يعول.

٧) التزاور ومجالسة أهل الخير وذوي الخلق وإدخال السرور على الغير:

وهناك أدلة شرعية كثيرة تشجع علـى مثـل تلـك الأشكال البناءة لكيفية قضاء وقت الفراغ. فعن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ: "أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد ا تعالى على مدرجته ملكًا. فلما أتى عليه قال: أين تريـد؟ قال أخًا لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ فقال: لا، غير أني أحببته في ا تعالى. قـال: فـإني رسول ا إليك بأن ا قد أحبك كمـا أحببتـه فيـه" (رواه مسلم). والتزاور لا يكون فقط بالذهاب إلى الآخرين ولكـن أيضا باستقبالهم وحسن ضيافتهم، وذلك ما جاء في الحـديث الشريف: "من كان يؤمن با واليوم الآخر فليكـرم ضـيفه، جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما بعـد ذلـك فهـو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجـه" (صـحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٥٠٢ – ٢٢١٧).

ولقد حبب الإسلام السعي إلى ما فيه الخيـر للنـاس وإسعادهم فما من شك في أن ذلك سـينعكس علـيهم بـذات المشاعر من ناحية، كما أنه يتيح فرصة التواصـل وتبـادل

المنافع والمصالح المعيشية من ناحية ثانية، بالإضافة إلى أنها تضمن تحقيق مناخ تعاوني تكافلي يصبح أكثـر صـلاحية للإنتاج وللتقدم الإيجابي. وهناك كثير من الأحاديث التي تدل على ذلك ومنها: "من أفضل العمل إدخـال السـرور علـى المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجة، تنفس له كربـة" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٨٩٧)، "ما مـن رجل يعود مريضا ممسيا إلا خرج معه سبعون ألـف ملـك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصـبحا خـرج معـه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي" (صحيح الجامع الصغير، جـ٢، ٥٧١٧)؛ "كان يكثر الذكر، ويقـل اللغـو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يسـتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته" (صحيح الجامع الصغير، جـ٢، ٥٠٠٥)؛ "كافل اليتـيم لـه ولغيره [١] أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار الـراوي وهـو مالك بن أنس بالسـبابة والوسـطى ([١] أي قريـب اليتـيم أو الأجنبي منه الذي يقوم برعايته. رواه مسلم فـي شـرح رياض الصالحين، جـ٢، ٥٨٩٧، ص٧٠)؛ "أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه مـن

طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك" (صحيح الجامع الصـغير وزيادته، جـ ١، ٨٠).

٨) زيارة القبور وزيارة الأماكن الطاهرة والمقدسة:

ما من شك في أن زيـارة القبـور يمكـن أن تفيـد الإنسان في تذكره الدائم بحقيقة تواجده (المؤقت) على أرض الحياة مما يعينه على تحمل صعوباتها والاسـتهانة بآثارهـا المؤقتة مهما طال أمدها، والسعي الأكثر جدية إلى كل ما من شأنه أن يقربه إلى ا ويزيد من ميزان حسناته الأخـروي، كما أن في زيارة القبور تذكير دائم للإنسان بمقره النهائي.. ومن الأدلة الشرعية على الحث على زيـارة القبـول قـول الرسول ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبـول ألا فزوروهـا فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٥٨٤).

وبطبيعة الحال فإن التردد على المساجد وحضـور المحافل العلمية والدينية والثقافية البناءة يمكـن أن ينطـوي على فائدة مزدوجة للإنسان يتمثل أحد شقيها في الترويح عن

النفس، ويتمثل الآخر في التغذية العقلية وتنمية المهارات والخبرات وصقلها بما يساعد على رفع مستوى الكفاءة والأداء الإنتاجي والتكسبي.

وبعد سرد الأمثلة السابقة على كيفية قضاء وقت الفراغ وفقًا للتوجيه الإسلامي، ترى هل يرفض الإسلام (اللهو) بشكل مطلق؟! ذلك ما سنحاول إلقاء الضوء عليه في الجزء التالي.

ثالثًا: **نظرة الإسلام للهو والترفيه**:

اتضح في الاقتصاد الوضعي أن وقت الفراغ عادة ما يقضيه الإنسان في أحد مجالات اللهو والترفيه Entertainment والتسلية Amusement وكلها مرادفات متشابهة لمعنى واحد يعني أعمالاً لا علاقة لها بالإنتاجية الإيجابية التكسبية. فهل يا ترى يتوافق ذلك مع الرؤية الإسلامية؟! الواقع أن هناك حديثًا نبويا صحيحا يمكن أن يقدم لنا إجابة واضحة ودقيقة وحاسمة على ذلك التساؤل. فعن جابر بن عبد ا وجابر بن عمير أن رسول ا ﷺ قال: "كل شيء ليس من ذكر ا لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل

بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة" (النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٥٣٤). وهناك أيضا حديث آخر يقول فيه الرسول ﷺ: "اللهو في ثلاث: تأديب فرسك، ورميك بقوس، وملاعبتك أهلك" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٥٤٩٨). وقد اعتبر النبي ﷺ أن الرماية خير أشكال اللهو المباح في الإسلام كما جاء في الحديث الشريف: "عليكم بالرمي فإنه من خير لهوكم" (رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح، فقه السنة للسيد سابق، ص٦٠).

ومن القصص الطريفة التي توضح كيفية لهو الأزواج مع الزوجات اقتداء برسول ا ﷺ، قصته مع عائشة رضي ا عنها حيث اعتاد أن يشاركها لعبة الجري والتسابق. وفي ذات مرة كان الرسول ﷺ يتسابق معها فسبقته لأنها كانت أصغر سنا وأخف وزنًا منه؛ وفي مرة تالية تسابقا فسبقها فقالت عائشة رضي ا عنها في ذلك الأمر: "سابقت النبي ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقته فسبقني. قلت: هذه بتلك" (رواه البخاري/ فقه السنة للسيد سابق، ص ٥٩).

ومما سبق، يتضح أن وقت الفـراغ عنـد الإنسـان السليم يمكن أن يتم قضاء نصفه تقريبا فـي أداء العبـادات المفروضة والتطوعية والنصف الآخر فيما يحلو للإنسان أن يفعل وفق ما يرغب بشرط أن يكون ذلك في إطار الضوابط والتوجيهات الإسلامية التي سبق توضـيحها عاليـه بحيـث يضمن المسلم أن يكون كل ما يفعله ويقضي لحظات حياتـه عليه بمثابة وسائل لإسعاده في الدنيا والآخـرة معـا، ولقـد استنتجنا ذلك المعيار (النصفي) من قول الرسول ﷺ "سـاعة وساعة" وحتى وإن لم يكن يقصد بكلمـة "سـاعة" التوقيـت الزمني التقليدي الذي نعرفه (وهو ما يتعلق بسـاعة زمنيـة تتكون من ٦٠ دقيقة أو من ٣٦٠٠ ثانية)، إنمـا التصـنيف بساعة في مقابل ساعة يمكن أن يرشدنا إلى معيـار قياسـي (لنسبية الوقت المخصص) لكل من العمل التكسبي والمعيشي (ساعة) ووقت الفراغ (وساعة)، كما اتضح أن الإسـلام لا يرفض اللهو ولا الترفيه ولكن يهذبهما ويتيحهمـا للإنسـان الرشيد في ثوب نقي راقٍ وذلك على نحو ما بيناه سابقًا.

وبناء على ما سبق، يتأكد لنا أن الإسلام يرشدنا إلى أن الإنسان يحكمه جانبان متكاملان؛ أحدهما روحي والآخر

مادي. ولا يمكن أن يتحقق أي وضع توازني منشود في عالم الاقتصاد (الموجه للرقي بالإنسان وتحقيـق أقصـى سـعادة ممكنة له) ما لم تتم مراعـاة الجـانبين معـا. ولقـد بـالغ الاقتصاديون في الانغماس في الجانب المـادي لكننـا هنـا نحاول استعادة تلك الأوضاع المائلة بشـدة ناحيـة الاتجـاه المادي إلى التوجه نحو الجانب الروحاني المقابل حتى تـتم استعادة الأمور والأوضاع إلى توازنها الطبيعي. وما سـبق عرضه لا يتطلب مزيدا من التوضيح عن الأبعاد الاقتصادية الإيجابية الكامنة في كل ما ذكرناه ولكنه يتطلب عقولاً بحثية غير متحيزة تقرأ، وتستقرئ، وتستنبط.

٦/٣: **بعض الدروس المستفادة حول الوقت في حياة الأنبياء**:

بالتوغل في قصص الأنبياء التي تنطوي على أخبار ودروس بالغة التميز لفئة بشرية تتربع علـى قمـة الرقـي البشري، استطعنا أن نشتق بعض النقاط التي يمكن أن تفيدنا في التعرف على المزيد حول أهمية الوقت وبعض الأبعـاد الأخرى المتعلقة به. وإن كان ذلك لم يكن يمثـل عنصـرا

أساسيا في بناء القصص المذكورة ولكننا نـؤمن باتصـاف القصص القرآني بالثراء غير المحـدود فـي الفكـر وفـي التجارب وفي الدروس المستفادة. فقط على القارئ أن يقرأ، ويستقرئ، ويتعمق بين طيات الأحرف ولن يخرج بعد هـذا خاوي الوفاض الفكري أبدا. وها نحن نعرض بعضـا مـن القواعد العامة والدروس المستفادة التي يمكن أن نستفيد بهـا من استقرائنا للقصص القرآني النبوي، في تعميق وتأصـيل جذور نظرية الوقت وفقًا للرؤيـة الإسـلامية وتوجيهاتهـا الرشيدة.

١) في الحياة الدنيا لكل وقت نهاية لأنها ذاتها لها نهاية (قصة آدم عليه السلام):

فعندما عصى آدم وحواء ربهمـا وقضـى عليهمـا بالاستقرار على الأرض لم يكن ذلك الأمر بشكل أبدي مخلد ولكنه أشير بصراحة ووضوح بأنه سيكون (إلى حـين) أي حتى وقت معلوم لا يعرفه إلا ا عز وجل. ويتضح ذلك من قوله تعالى: **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**

وقُلْنَا اهبِطُوا بعضكُم لِبعضٍ عدو ولكُم فِي الأَرض مسـتَقَر ومتَاع إِلَى حِينٍ (البقرة: ٣٦).

وبالإضافة إلى قاعدة أن لكل وقت دنيـوي نهايـة، فهناك قاعدة أخرى فرعية يمكن أن نشـتقها مـن المعنـى المباشر للآية وهو أن الحكم القضائي لابد أن يرتبط بفتـرة زمنية ملائمة يجب على القاضي تحديدها مسبقًا وقت تحديـد العقوبة.

٢) التعجيل الزمني ما أمكن بالتخلص الصحي السليم من مصادر التلوث البيئي ومسبباته (قصة هابيل وقابيل):

وذلك الدرس المستفاد ينفعنا في مجال اقتصـاديات الصحة والبيئة. فكثيرا ما نضج بظـواهر التلـوث البيئـي المنتشرة بشكل متضخم خاصة في وقتنا الحاضر، ومع هذا، مازالت الصحة تتفاقم أحوالها نتيجة لانتشار تلك الملوثـات بشكل غير صحي بين البشر والمخلوقات النافعة، وحتـى إن تم التخلص منها، فيكون بشكل بطيء أو في ميعاد متأخر بعد أن تكون الأعراض السيئة قد نالت أعدادا كبيرة من الفئـات

محل الرعاية والتخوف. وفي قصة قابيل وهابيل، نجد أنـه بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل لم تستطرد الآيات الكريمة فـي توضيح ما سوف يلاقيه من عقوبة. ووصف فحش ما قام به من فعل شديد البشاعة، وذلك بقدر ما استطردت في توضيح كيفية مواراة جثة القتيل ووسيلة تعليم القاتل كيفية مواراتهـا بشكل سليم ويلاحظ أن القاتل لم يبدِ ندمه عند القتل، ولكـن ندمه الحقيقي شعر به عندما أدرك جهله بكيفية مواراة جثـة أخيه بالطريقة اللائقة. وتتضح تلك المعاني في قوله تعـالى:

فَطَوعتْ له نَفْسه قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَه فَأَصبح مِن الْخَاسِرِين * فَبعثَ ا ُ غُرابا يبحثُ فِي الْأَرضِ لِيريه كَيفَ يوارِي سوءةَ أَخِيهِ قَالَ يا ويلَتَى أَعجزتُ أَن أَكُون مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِي سوءةَ أَخِي فَأَصبح مِن النادِمِين (المائدة: ٣٠، ٣١).

ومن تلك الآيات الكريمة يمكن أن ننتهي باسـتنتاج ضرورة دفن جثة الميت بأقصى سرعة ممكنة لأنها تبدأ بعد وقت سريع في التحليل والتعفن وبالتالي فهي تتسبب في إيذاء البشر والمخلوقات الحية الأخرى بما يصدر عنها من روائح كريهة وأشكال تلوثية مكروهة جدا. وقد يكـون ذلـك وراء المقولة الشهيرة "إكرام الميت دفنه" وذلك أيضا حتى لا تتشوه

صورة الإنسان الذي كان في حياته يظهر للبشر بصورة حسنة نظيفة، فإذا وصل إلى درجة التعفن وانتشار الحشرات والبكتيريا في أجزاء جسده ورآه الناس على تلك الحال، فما من شك في أن ذلك يسيء إلى الميت (حتى إن كان ميتًا) ويظهر في أعين الناس وحواسهم بشكل غير مستحب ولا يتناسب مع آدميته التي كرمه ا بها.

وبطبيعة الحال، فإن التعجيل الزمني بمواراة الموتى في التراب ووضعهم في مكانهم الطبيعي الذي يحمي البشر (الذين مازالوا يعيشون في الأرض) من الآثار السيئة لما سوف يحدث في وقت وشيك في جثثهم، يرشدنا إلى ضرورة تطبيق ذات القاعدة على كل مسبب للتلوث البيئي والصحي بتعجيل التخلص منه بالشكل المناسب وفي المكان المناسب فلا نترك مثلاً القمامات المتراكمة في الطرق والأماكن المأهولة بالسكان لفترات زمنية مهما قصرت، ويجب أيضا أن ننتبه إلى مشكلة تراكم مخلفات العمليات العلاجية في المستشفيات وغيرها من الوحدات الصحية وعدم سرعة التخلص منها حيث إن ذلك لا شك لا يعرقل ما يحدث داخل

تلك الوحدات الصحية من عمليات علاجية فحسـب، وإنمـا أيضا يمكن أن يقضي على فعاليتها وجدواها من الأصل).

٣) الارتباط المطرد بين أهمية الصناعة والإنتاج، وبين طول الفترة اللازمة للإنجاز (قصة نوح عليه السلام):

فنوح عليه السلام كان أول رسول يبعث إلـى أهلـه فـي الأرض (الإمام الحافظ بن كثير، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م، ص ٥٤)، ونتيجة لعناد الغالبية العظمى من قومه (ويقال لهم بنو راسب) وإصرارهم على الكفر، أوحى الله تعالى إليه ببنـاء سفينة ضخمة لكي تقله ومن تبعه من البشر مع أزواج مـن كل المخلوقات الأخرى وقت الطوفان المعروف. ويتضح من الآيات الكريمة – بشكل غير مباشـر – أن تلـك العمليـة الصناعية للسفن قد استغرقت وقتًا طويلاً لـيس فقـط فـي صناعتها ذاتها، ولكن أيضا في تـوفير الخامـات اللازمـة لإعدادها بالشكل الملائم للعملية المستهدفة لتصـنيعها. كمـا يتضح من الآيات الكريمة أن طول فترة التصنيع لا تنطـوي فقط على مشقة بدنية للمنتج والصناع المشـاركين، ولكنهـا

أيضا قد تعرض أصحابها الجادين لمشاكل معنوية وإحباطية خاصة من قبل البشر، حيث يزداد احتمال حدوث ذلك إذا لم يكن الهدف النهائي من استخدام المنتج غير واضح تماما لدى العامة، وبطبيعة الحال فيمكن لذلك أن ينطبق على الصناعات الإبداعية المبتكرة.

من أجل هذا، يتوقع للصناعات طويلـة الأجـل أن تنطوي على مشاكل أضخم وأكثر تعقيدا من نظائرها قصيرة الأجل، وذلك الذي يمكـن أن يفسـر عـزوف كثيـر مـن (المتكاسلين) عن تحمل مخاطر ذلك النوع من الصناعات كما أن ذلك يفسر أيضا السبب في (تقدم) الأفراد والـدول التـي تقدم على إنجاز ذلك النوع وتفوقهم على غيرهم، بل وتمتعهم في غالبية الأحوال بأشكال أفضـل مـن الثـراء وارتقـاء مستويات المعيشة، والسبب في هـذا يكـون غالبـا نتيجـة لانطباق القاعدة المستنبطة من تلك القصة النموذجية والتـي أشرنا إليها كعنوان فرعي، وهو أنـه بقـدر تلـك المشـقة والمخاطرة التي يتحملها المنتج وطول فترة ذلـك التحمـل، بقدر ما يتوقع للصناعة من ارتفاع في مستواها، بـل ومـن

طول أمد زمني في الاستفادة منهـا وفـي التمتـع بآثارهـا الإيجابية الفعالة أيضا.

كل ما سبق تم استنباطه استرشادا بالآيات الكريمـة:

واصنَع الْفُلْك بِأَعيننَا ووحينَا ولاَ تُخَاطِبنِي فِي الَّذِين ظَلَموا إِنهم مغْرقُون * ويصنَع الْفُلْك وكُلما مر علَيهِ ملأٌ من قَومِهِ سخِروا مِنْه قَالَ إِن تَسخَروا مِنا فَإِنـا نَسـخَر مِـنْكُم كَمـا تَسخَرون * فَسوفَ تَعلَمون من يأْتِيهِ عذَاب يخْزِيهِ ويحِـل علَيهِ عذَاب مقِيم * حتى إِذَا جاء أَمرنَا وفَار التنـور قُلْنَـا احمِلْ فِيها مِن كُلٍ زوجين اثْنَين وأَهلَك إِلا من سبقَ علَيـهِ الْقَولُ ومن آمن وما آمن معه إِلا قَلِيلٌ * وقَالَ اركَبوا فِيهـا بِسمِ ا ـ مجراها ومرساها إِن ربي لَغَفُور رحِيم (هود: ٣٧ – ٤١).

٤) هناك ارتباط وثيق بين الحلول وبين الوقت الزمني (كأمثلة: قصة إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل؛ قصة أيوب؛ قصة يوسف؛ محمد والمقاتلين معه):

من السمات الواضحة في طبيعة الخلق البشـري أن الإنسان دائما يتعجل كل شيء، يتعجـل تحقيـق الأهـداف والآمال، يتعجل جني ثمار ما أداه من عبـادات وابتهـالات، يتعجل التخلص مما يعاني مـن كـرب وضـيق ومشـاكل تعترض حياته... إلخ.

ولقد أشار ا إلى تلك المعاني في مواضع مختلفـة من القرآن الكريم مثلما نجد في الآيات الكريمة: **كـلا بـل تُحِبون الْعاجِلَةَ * وتَذَرون الْآخِـرةَ** (القيامـة: ٢٠، ٢١)؛ **خُلِقَ الإِنْسان مِن عجلٍ سأُرِيكُم آياتِي فَـلاَ تَسـتَعجِلُون** (الأنبياء: ٣٧)؛ **ويدع الإِنْسان بِالشر دعاءه بِالْخَير وكَـان الإِنْسان عجولاً** (الإسراء: ١١).

والواقع أن القصـص القرآنـي يـزخر بالـدروس المستفادة التي تؤكد على تفاوت الفترة الزمنية التي يمكن أن

يتحقق بعدها الهدف المرجو ونركـز اهتمامنـا هنـا علـى استهداف التخلص من مشكلة معينة أو من موضع معين غير مرغوب فيه حيث يمكن أن تفيدنا مثل تلك الدروس ليس فقط على مستوى الفرد أو الأسرة، ولكنها توضح لنا أن المشاكل المتراكمة التي تعاني منها الـدول خاصـة إذا كانـت ذات اقتصاد ضعيف في الأصل – يجب أن يـتم حلهـا بشـكل تدريجي ومرحلي مع الصبر على ما يحدث من نتائج وعـدم إبداء الحكم النهائي على منفذي القرار (ومتخذيـه) إلا فـي نهاية الفترة التي حددها هؤلاء – وفقًا لدراساتهم وتصوراتهم – مع ضرورة الانتباه إلى أن هناك توقيتًا (إلهيا) مهيمنًا على كل ما تم وضعه من توقيتـات بشـرية لتحقيـق الأهـداف والحلول المرجوة. والعبرة في التقييم البشري للموقف المعني – إذن يكون ببذل الإنسان – أو الدولة – كل ما وسعه بشكل جاد ومخلص.

ففي قصة سيدنا إبراهيم وزوجتـه سـارة وابنهمـا إسماعيل عليهم السلام نجد أحد الدروس المسـتفادة للتأكيـد على اعتبار الوقت كأحد العناصر المرتبطة بحلول المشـاكل والأمور، حيث يوجد الحل اللحظي نتيجة لارتباطه بنتيجـة

مصيرية تتعلق بحياة الإنسان وذلك حين هـم إبـراهيم ﷺ بذبح ابنه إسماعيل ﷺ امتثالاً لأمر ا سبحانه ففـي تلـك اللحظة المصيرية المرعبة، أنزل ا سبحانه وتعالى كبشًـا كحل بديل فوري ليتم ذبحه بدلاً من الإنسان وكان ذلك مـن فضل ا الذي من به على البشر أجمعين و إلا أصبح ذلـك واجبا على البشر من بعد ذبح إسماعيل ﷺ. وفي ذلك يقول ا تعالى: **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِـينِ * وَنَادَيْنَـاهُ أَنْ يَـا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** (الصـافات: ١٠٢ – ١٠٧).

وفي موضع آخر من قصة هـذه العائلـة الكريمـة نلاحظ أن حل مشكلة أو أزمة أخرى تم على أجـل زمنـي أطول نسبيا لحكمة أرادها ا وهي قيام كل الحجـاج مـن البشر بعد ذلك أثناء شعائر الحج بما قامت به السيدة هـاجر عليها السلام من تحركات متتالية بحثًا عن الماء. فقد نفد مـا كان معها من ماء وشعر ابنها بالعطش الشديد حتى أنه كـان يتلوى مما دفعها إلى البحث عن ماء لتسقي به ولدها فذهبت إلى الصفا الذي كان أقرب جبل إليها ونظرت مـن خلالـه

باحثة عن وادي يتوقع أن يكون بـه زرع ومـاء وعنـدما أبصرت به نزلت إليه فلم تجد أي ماء وظلت تسعى باحثـة حتى بلغت المروة فقامت عليها وظلت تبحث من خلال تلـك البقعة عن ضالتها المنشودة، ولم يتحقق ما أرادت إلا بعد أن كررت نفس ما فعلت سبع مرات، وبذلت ما يبذله الإنسـان من مشقة ومجهود معتادين في مثل تلك المواقف، وبعد ذلك أراد ا سبحانه أن يحل لها المشكلة عندما أرسل لها ملكًـا أظهر لها بئر زمزم التي أصبح الناس يستفيدون من مياههـا المقدسة حتى الآن. أي أن الحل هنا أصبح سـاري الآثـار الإيجابية على الأجل الطويل كما أنه لم يتم بشـكل لحظـي والقصة واردة في: الإمام الحافظ ابن كثيـر، ١٤٢٠ هــ/ ١٩٩٩م، ص ١٢٥).

ومن القصص التي يندر ألا يعرفها أحد من المسلمين حتى صغار السن منهم والتي يمكن أن تفيدنا في ذلك المقـام هي قصة سيدنا أيوب ﷺ. ففي تلـك القصـة نجـد أن ا سبحانه وتعالى ابتلى ذلك النبي الصـالح بـالمرض والفقـر وكذلك سلب منه كل ما كان ينعم به من أولاد وأهل ولم يبقَ له سوى قلبه ولسانه يذكر بهما ا سبحانه وتعالى. وفي تلك

القصة الشائقة الرائعة، نجد أن الحل لم يتم إلا بعد سـنوات من المعاناة الشديدة لذلك العبد الصالح برغم صبره ومداومته على ذكر ا والدعاء له. فعنـدما أرادت المشـيئة الإلهيـة واقتضت، ألهم ا سبحانه وتعـالى أيـوب ﷺ بالوسـيلة السليمة للاستشفاء، وعوضه بأفضل مما كان عليه حاله قبـل المعاناة من ذلك الابتلاء الأخطبوطي، وحتى مشـكلته مـع زوجته الصابرة حلها ا سبحانه وتعالى ولكـن بعـد أجـل زمني أيضا وصدق ا العظيم في قوله الكـريم: **واذْكُـر عبدنَا أَيوب إِذْ نَادى ربه أَني مسنِي الشيطَان بِنُصبٍ وعذَابٍ * اركُض بِرجلِك هذَا مغْتَسلٌ بارِد وشَراب * ووهبنَا لَه أَهلَه ومثْلَهم معهم رحمةً منا وذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ * وخُذْ بِيدِك ضغْثًا فَاضرِب بِهِ ولاَ تَحنَثْ إِنا وجدنَاه صابِرا نعم الْعبد إِنه أَواب** (ص: ٤١ – ٤٤).

إذن، فقصة أيوب ﷺ تشير إلى أحد أنماط الحلـول وهي الحلول الآجلة، والحلول طويلة الأجـل حيـث نقصـد بالحلول الآجلة تلك التي لا تحدث إلا بعد أجل زمني طويل، ونقصد بالحلول طويلة الأجل تلك التي تمتد بآثارها الإيجابية المرغوبة على أجل زمني طويل.

أما عن قصة يوسف عليه السلام، فهي أكثر شـيوعا حتـى بين غير المسلمين – وكلنا نعرف أن مشاكله تم التغلب عليها وحلها على أجل بعيد أو طويل جدا، فقد ظـل فـي معانـاة متراكمة الأنماط وممتدة الفترات الزمنية منذ أن كان طفـلاً صغيرا وألقاه إخوته في البئر بقصد التخاص منه ثم تم بيعـه بثمن بخس باعتباره طفلاً لا قيمة له، ومرورا بقصة الإغراء من قبل امرأة العزيز وانتصاره على هوى النفس ومع ذلـك يتم حبسه لمدة طويلة ثم يعاقبه ا بمد فترة حبسـه لفتـرات طويلة نسبيا بشكل إضافي نتيجة أنه نسي ا ربه، والـتمس الإفراج عنه من البشر الذين لا يملكون في الواقع من الأمر شيئًا... وتبدأ الانفراجة بعد تعيينه على خزائن الأرض ولكن تبقى مشكلته مع أشقائه الذين يسوقهم ا إليه ليسـمع مـنهم افتراءاتهم عليه، التي يصرون – برغم أخطـائهم – علـى إلصاقها به ومع هذا يظل على صبره عليهم ويسـتمر فـي سلوكياته وردود فعله الحكيمة الرشيدة وفقًا لما علمه ا وفي إطار المنهاج التربوي الرباني الذي نشأ وترعرع عليه طيلة السنوات الطوال العصيبة من حياته.. وبعد كل ذلك العمـر الطويل من حياته (الذي يربو على العشرين عاما كما جـاء

في بعض الروايات)، تتم الحلول النهائية، وتتحقـق رؤيـاه المبشرة التي كان قد رآها وهو طفل، ونصحه والـده بعـدم إخبار إخوته بها تجنبا لحسدهم ولأذيتهم... ولكن، حقـا (لا يمنع حذر من قدر) و(كل شيءٍ بأوانه).

ولضيق المساحة هنا، ولسبب أهم وهو الثراء الكبير لما تضمنته سورة يوسف من دروس رائعة يمكن أن تفيد في هذا الصدد، فإننا نوصي بالرجوع إليها في كتاب ا وتـدبر كل آية، بل وكل كلمة وردت فيها، فهي بحق قصـة شـاملة رائعة وهي بمثابة دليل متكامل للسلوك البشري القويم خاصة في حالات الابتلاءات والهموم.. والمهم أن يتـدبر القـارئ المتمعن لتلك السورة المرشدة ويلاحظ أنه لم يحـدث حـل فوري لأي شكل مما عاناه يوسف عليه السلام من ابتلاءات، وأنـه حتى لو بشر الإنسان برؤيا صادقة عن سعادة تتحقق له فليس بشرط أن يتحقق ذلك في اللحظة والتو، ولا حتى في الأجـل القصير، ولا في الأجل الطويل، بل يمكن أن يتحقق في الأمد البعيد، بل والبعيد جدا حيث يحـدث الاستسـلام والرضـا الكاملان بما عليه الإنسان من حال، وحيث لا يتوقع الفـرج (برغم انتظاره آملاً في ا عز وجل) تحدث المفاجأة الإلهية

الرائعة، وتتابع الحلول وتتوالى الجوائز.. والعبرة على أيـة حال بمفاجآت الآخرة الجميلة.

ومن القصة السابقة يمكن أن يتضح لنا درس بـالغ الأهمية وهو أن توقيت الحلول عادة ما يكون غيـر متوقـع للإنسان، وعادة ما يحدث بعد أن يكون الإنسان قد بذل كل ما في وسعه لإيجاد تلك الحلول، وسعى لهـا سـعيها الشـاق والكافي، وهو درس تربوي إلهي يلقنه ا سبحانه وتعـالى لعباده المؤمنين على وجه الخصوص حتـى يظلـوا علـى تبعيتهم لخالقهم ويظل يقينهم قائما على أن كل شيء بيـد ا وحده مهما بذلوا من محاولات وجهـود، وحتـى لا يأخـذ الإنسان الغرور ويدعي أن كل ما يتمتع به من علم أو ثروة أو من أرباح إنما أوتيه على علم منه أو نتيجة لقدراته الذاتية البحتة فإن ذلك من شأنه أن يوقعه في أحد أشـكال الشـرك القبيحة والمدمرة.

والواقع أن في قصة النبي  ومن معه من المسلمين يوم الأحزاب تأكيدا على ما سبق ذكره من معنـى وتوجيـه وتأصيل لتلك القاعدة المتعلقة بالعلاقة الطردية الوثيقة بـين الحلول وبين الوقت الزمني. وفي ذلك يقول ا تعـالى: **أَم**

حسِبتُم أَن تَدخُلُوا الْجنةَ ولما يأْتِكُم مثَلُ الذِين خلَوا مِن قَبلِكُم مستْهم الْبأْساء والضراء وزلْزِلُوا حتى يقُولَ الرسولُ والذِين آمنُوا معه متَى نَصر ا ِ أَلا إِن نَصر ا ِ قَرِيب (البقرة٢١٤)

فالمشكلة هنا كبيرة، وعلى الرغم مما بذله النبي ﷺ والذين معه من مسلمين من مجهود رائع وما بذلوه من بلاء حسن بل وعظيم جهادا في سبيل ا ودفاعا عن دينه، إلا أن ا سبحانه وتعالى امتحنهم امتحانًا عظيما في ذلك الصدد حتى أنهم بلغوا من البلاء مبلغ الزلزلة. وفي ذلك تتضح بعض التفاصيل الأخرى المكملة لتلك الصورة الصعبة التي كان عليها المؤمنون وقتها في حديث صحيح: فعن خباب بن الآرت قال: قلنا يا رسول ا ألا تستنصر لنا ألا تدعو ا لنا فقال: "إن كان قبل أحدكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخاص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه" ثم قال "وا ليتمن ا هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا ا

والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ١، ص ٣٢١).

٥) بركة الوقت (داود وسليمان عليهما السلام):

يغفل كثير من البشر (خاصة الذين تطغى عليهم الناحية المادية ونزعتها) ما لعنصر البركة من أهمية نسبية أكبر من مجرد الزيادة المطلقة في الأشياء المرغوبة لأن تلك الزيادة المطلقة لا تعتبر شرطًا كافيا لتحقيق النماء في أفضل صورة له حيث يمكن أن تقابل تلك الزيادة المطلقة خسائر أو تضحيات أو سلبيات تقلل من صافي منفعتها بل وقد تقضي عليها تماما وأحيانًا أيضا تفوقها. بينما إذا حل عنصر البركة بأي شيء فإنه يضمن النماء في أفضل صورة له بأقل خسائر أو سلبيات ممكنة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م).

وما قيل سابقًا يمكن أن ينطبق على عنصر الوقت أيضا بدليل أن هناك حديثًا نبويا صحيحا يشير إلى انخفاض البركة في وقت آخر الزمان الدنيوي فعن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون

اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة [1] بالنـار" [(1)] أي الجمرة، أحمد بن حنبل، الترمذي، صحيح الجامع الصـغير وزيادته، جـ٢، ٧٤٢٢ – ٢٦٠٢).

ويمكن – على ضوء ما سبق – أن نستنبط معيـارا لقياس بركة الوقت وهو (مقدار أو حجم الإنجازات الإيجابية والفعالة ومقدار التنوع في تلك الإنجازات وعدد المسـتفيدين من تلك الإنجازات أو النطاق الذي تنتشر فيه آثارها التي تتم في خلال وحدة أو فترة زمنية معينة).

وبتطبيق ذلك المعيار على ما حدث في حياة الأنبياء الصالحين عموما نجد أنهم كانوا يتمتعون بنعمة بركة الوقت بدليل الطبيعة المتميزة لما كانوا يقدمونه وينجزونه من أعمال مع ضخامة أعداد البشر الذين كانت تعمهم تلك الأعمال. إلا أن هناك منهم من تمتع ببركة الوقت بشكل أفضـل وأكثـر تميزا من غيرهم ونخص بالذكر هنا داود وسليمان عليهمـا السلام).

فقد كان كل منهما ذا قوة في الدين، مضـطلع بكـل أعباء والتزامات الدعوة والنبوة والملك أيضا، وكان داود ﷺ يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل، وكـان يعمـل

بالتجارة وبالصناعة كمهن تكسبية معيشية، كما كان قاضـيا يفصل في قضايا الرعية بنفسه، وكان لا يكف عن التسـبيح والذكر رب العالمين. وما من شك في أن ذلك كله كـان في ذات الوقت الزمني الذي لا يستطيع الإنسان العـادي إلا القيام بأعمال المعيشة المعتادة بالكاد. إلا أننا نجد مثالاً يقرب إلى تصورنا آلية عمل عنصر البركة فـي وقـت داود ﷺ وهو ما يتعلق بتعليمه كيفية صناعة الدروع الحديدية بحيـث أتاح ا سبحانه وتعالى فرصة توفير الوقت الكبير المستغرق في إعداد خامة الحديد وتطويعها لكي تصبح صالحة التشكيل والتصنيع "وألنا له الحديد"، حيث جعل ا الحديد لـه خامـة لينة كالشمع، والعجين بحيث يسهل تشكيلها وتصريفها في يده من غير الحاجة إلى عمليات الإعداد الشاقة التي تتطلب وقتًا زمنيا طويلاً مثل إحمائه بالنار وضربه بالمطرقة (لمزيد من التفصيل حول تلك التسهيلات: ارجع إلى نواف بـن صـالح الحليسي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ١٠ – ١٢). وكان من مظاهر بركة الإنجازات ذاتها أنه عندما كان داود غلاما راعيا للغنم ضعيف البنية مكنه ا تعالى أن يقتـل جـالوت الجبار بحجر أرسله من المقلاع فقط وليس بسيف أو بـرمح

أو بأي سلاح، ولم يكن يقاتله وقتهـا أيضـا باسـتخدام أي معدات للحرب مثل الدروع أو التروس.

وبالمثل كان الحال مع سليمان ﷵ الذي كان يتميـز بطموح دنيوي كبير، وكان ينعم بالحكم والهيمنة لـيس فقـط على البشر، وليس فقط على المخلوقات المنظورة فقط، بـل منحه ا نعمة تسخير الإنس والجن والطير والريح له وعلمه لغة الطير والحيوان بالإضافة إلى لغة الإنس وبطبيعة الحال أنه كان لابد على علم بلغة الجن الذين يعملون جميعهم لديـه وتحت أمره. يوضح ذلك الحال أنه عليه السلام كان يتمتـع بدرجة كبيرة من بركة الوقت التي يستدل عليها ممـا كـان يتحمله من كم المهام الهائلة الضخمة التي تفوق أي تصـور بشري، كما يستدل على الارتفاع الضخم لدرجة تلك البركـة بذلك التنوع الكبير من المخلوقات التـي يشـملها برعايتـه الدنيوية وما يتضمنه هذا التنـوع مـن ضـخامة أعـداد لا يتصورها عقل. وفي ذات الوقت فقد كان سليمان ﷵ يتفقـد رعيته بنفسه ويتولى إصدار الأحكام بنفسه أيضا، ومن أكثر الأدلة شيوعا على ذلك تهديده بمعاقبة الهدهد نتيجة لتـأخره عن ميعاد وصوله ما لم يكن هنـاك مبـررا منطقيـا وراء

حدوث ذلك (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م، الحافظ بن كثير، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م).

وقد يعترض قائل بأن القصتين السابقتين تتعلقان بمثالين أقرب للخيال من الواقع الإنساني المعتاد لأنه لا يوجد من البشر – على الأقل المعاصر منهم – من يتمتع بتلك الكرامات والمعجزات الإلهية، ويمكن لذلك المعترض أن يرجع بركة الوقت للطبيعة المقدسة الفريدة لداود وسليمان عليهما السلام كأنبياء يحظون دائما بمعجزات لا تتاح لبشر. ولكننا نذكر هنا أن ما سيقال عن هذين النبيين الكريمين لاشك سينطبق على كل النماذج النبوية الأخرى التي اخترنا الحديث عنها في هذا الصدد، لكن يجب ألا ننسى أبدا أن ا سبحانه لا يفعل شيئًا إلا وله حكمة ومدلول.. حتى إن كان معجزة يختص بها فرد دون آخر ونحن هنا نحاول أن نقتدي بتلك النماذج البشرية المثالية ونستقرئ ما يمكننا من مدلولات وقواعد ومقاييس قابلة للتطبيق على حياتنا البشرية المعتادة.

وبناء عليه، فإن بركة الوقت هي أمر موجود بالفعل وله عوامل تزيد من جدواها وعوامل أخرى تتسبب في

التأثير السلبي على آلية تحققها أو جدواها (وللتعـرف علـى ذلك يرجع إلى: زينـب الأشـوح، ١٤٢٥هـ ـ/ ٢٠٠٤م)، وبالفعل فإن أفضل معيار محسوس يمكن أن ندركه لتحديـد مدى وجود تلك البركة في الوقت من عدمها هو تطبيقها على حياتنا اليومية وعلى إنجازاتنا، ولتكن قصتي داود وسـليمان عليهما السلام مع هذا قدوة نموذجية مثالية علينا أن نسـتفيد من أبعادها قدر استطاعتنا.

وبالإضافة إلى العوامل التي سبق توضيحها لترشـيد تخصيص الوقت، فإننا يمكن أن ننوه إلى إمكانية تحقيق بركة في الوقت بحسن التنظيم والتخطيط والتعامل الجاد والجيد مع الوقت، ويجب أولاً وأخيرا أن نحترم الوقت ونعتقد أننا بقدر ما نعمل للوقت حسابا، فسوف يكون الوقت أكثر عطاء لنـا. ويجب أيضا أن نتعامل بمعيار البركة السابق ذكـره بشـكل يتلاءم مع القدرات والإمكانيات الفعلية للإنسان لأنه لو حاول أن يزحم وقته بالعديد من الإنجازات والالتزام التـي تفـوق قدراته فسوف يحدث عكس المستهدف ويمكن أن يعجز عـن فعل أي منها جزئيا أو بشكل مطلق.

٦) وجوب تحديد إجازة أسبوعية من العمل التكسبي (أصحاب السبت):

فكما يحث الدين والعقائد والقوانين، بل والفطرة البشرية على ضرورية قيام الإنسان بعمل ما من أجل التكسب وتوفير احتياجات المعيشة للمرء ولمن يعول، بل ومن أجل التمتع بحياة ذات نمط طبيعي مقبول في حياة البشر، فإن القصص القرآني يشير إلى نصيحة أخرى ضمنية تتمثل في وجوب الحصول على إجازة أسبوعية أو كل فترة زمنية يجب على الإنسان أن ينقطع فيها عن أداء عمله المادي مهما كانت فرص التكسب فيه وذلك على سبيل الاسترخاء وتجديد نشاط الذهن والبدن، والقيام بالالتزامات الأخرى المكملة لضرورات الحياة ومتطلباتها كما سبق أن أوضحنا بتفصيل أكثر في أجزاء سابقة من تلك الدراسة.

وبالرجوع إلى قصة أصحاب السبت، نجد أن ا قد أوجب على فئة بشرية يوما معينًا من أيام الأسبوع (وهو السبت) كي ينقطع فيه هؤلاء عن القيام بالأنشطة الاقتصادية والتكسبية التي اعتادوا على إنجازها طوال الأيام الأخرى من الأسبوع. وهنا نجد أن العلة من ذلك الأمر الإلهي ليست فقط

مجرد تحقيق منافع شخصية كتجديد النشاط والتماس وسـائل الراحة والتواصل بين الأقارب والأصدقاء. ولكن كانت هناك أسباب أخرى مختلفة وراءه سنوضـحها بعـد ذكـر الآيـة الكريمة المتضمنة للجزء المعني من قصة أصحاب السـبت

واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت[1] **إذ تأتيهم حيتانهم يوم سـبتهم شـرعا ويـوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسـقون** ([1] أي يعتدون فيه بمخالفة أمر ا في شأنه) (الأعراف: ١٦٣).

فوفقًا لتلك الآية الكريمة (وآيات في سور أخرى مثل آية ٦٥ من سورة البقرة وآيتي ٤٧، ٥٤ من سورة النسـاء وآية ١٢٤ من سورة النحل)، فإن ا سبحانه وتعالى كان قد فرض على أهل قرية ساحلية تسمى بقرية "آيلة" أمرا بعـدم الصيد إطلاقًا في يوم السبت وبالتفرغ الكامل للعبـادة فيـه. وكان ذلك الأمر كنوع من الابتلاء وامتحان أهل هذه القريـة في مدى طاعتهم عز وجل، خاصة أن الصيد البحري كان يمثل النشاط الاقتصادي الرئيسي لأهل تلك القرية، وبالتـالي فإن التوقف عن مزاولة ذلك النشاط الحيوي يوما كاملاً فيـه

ينطوي على قياس دقيق لإرادة هؤلاء في مدى امتثالهم لأوامر ا أو عصيانهم لها.

وبعيدا عن التوغل في الجوانب الأخرى الشيقة لتلك القصة المتميزة (حيث يمكن التعرف على مزيد من التفاصيل بالرجوع إلى: نواف بن صالح الحليسي، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، مج٢، جـ٣) فإننا يمكن أن نشق قاعدة هامة: وهي ضرورة الحصول على إجازة محددة بعد كل فترة عمل محددة ومحاولة ربط ميعاد تلك الإجازة بمدلول شرعي واضح. وقياسا على ذلك فإن يوم الجمعة هو من أكثر الأيام ملاءمة كإجازة للمسلمين حيث حرم في جزء منه ممارسة أي نشاط اقتصادي وذلك في خلال وقت خطبة الجمعة وأداء صلاتها، ويلاحظ أنه يجاز في ذلك المثال اقتطاع ذلك الوقت فقط كإجازة ومعاودة العمل في ما تبقى من اليوم بدليل إجازة الشرع بالانتشار في الأرض والاستمرار في السعي بعد انقضاء ذلك الوقت المقدس المفروض على كل مسلمي العالم أن يتفرغوا فيه تماما لأداء صلاة الجمعة والاستماع إلى خطبتها خاصة

بالنسبة للرجال. (وذلك كما أوضحنا بالتفصيل في جزء سابق).

وبناء عليه، فقد تكون الفطرة العقائدية البشرية وراء تخصيص يوم إجازة أسبوعي في كل بقاع العالم بشكل رسمي، حيث يختلف ذلك اليوم وفقًا لاختلاف العقائد والأديان، فنجده يوم الجمعة للمسلمين، ويوم السبت لليهود، ويوم الأحد للمسيحيين، ونحن نعتقد أن التوغل البحثي التاريخي والجغرافي ليوم الإجازة الأسبوعي لدى الطوائف البشرية المختلفة يمكن أن يكون مادة بحثية طريفة وجديدة، ويمكن أن تمدنا في النهاية بمعلومات مدهشة تكسر حدة ما يصيب مواضيع البحث العلمي أحيانًا من رتابة وملل وجمود.

٧) العملة النقدية وإمكانية استخدامها كمؤشر زمني للوقت (أهل الكهف):

فالعملة النقدية – في الواقع – تنطوي على أبعاد كثيرة توضح أهميتها الكبيرة، بل والمصيرية في كثير من الأحوال. ومن بعض الدلالات الهامة على ذلك أنها مؤشر بالغ الأهمية على الهوية وعلى الأهمية النسبية لها، فمثلاً كان

الدينار الإسلامي في فترة الخلافة الإسلامية المزدهرة يتمتع بقوة كبيرة في قيمته الذهبية الذاتيـة وفـي قوتـه مقارنـة بالعملات النقدية العالمية الأخرى وقد لا نكون مبالغين في أن العملة الإسلامية آنذاك كانت تتمتع بذات الهيمنة التي أصبح يتمتع بها الدولار الأمريكي في وقتنا المعاصر – أو تفوقها - ، فقوة العملة النقدية ترتبط ارتباطًا وثيقًـا بقـوة الاقتصـاد القومي المنتسبة إليه وتدل أيضا عليه. والعملة النقدية يمكـن أن تدل على النمط الاجتماعي والثقافي السـائد مـن خـلال شكلها الذي تم صكها عليه، وكلنا نعرف – كمثال على مـا نذكر – أنه بمجرد انهيار النظام العراقي تم إعدام العمـلات النقدية الوطنية التي كانت تحمل صورة الرئيس السابق وبدئ على الفور في صك عملات بديلة بشكل يتناسب مع العهـد المستحدث.

أما في قصتنا الحالية، فيتضح لنا أن العملة النقديـة يمكن أن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالزمن وأن تسـتخدم للدلالـة على فترة تاريخية محـددة منـه. ففـي الآيـة الكريمـة:

...فَابعثُوا أَحدكُم بِورِقِكُم هذِهِ إِلى الْمدِينَةِ فَلْينْظُـر أَيهـا أَزكَى طَعاما فَلْيأْتِكُم بِرِزقٍ منْه ولْيتَلَطفْ... (الكهف: جـزء

من الآية ١٩). ووفقًا لما جاء في تفسـير القـرآن العظـيم لابن كثير (مج٣، جـ٥، ص ٩١، ٩٢)، فـإن أحـد أهـل الكهف بعد استيقاظه ذهب إلى المدينـة (ويقـال أن اسـمها افسوس) لشراء الطعام له ولرفقائه فوجد الحال متبدلاً تمامـا ومع هذا استمر إلى غايته وذهب إلى أحـد بـائعي الطعـام لشراء ما يريد، وتبدأ الدلالة التي تفيدنا فيما نحن بصدده بما حدث بعد دفع النقود التي كانت مع أحد أهل الكهف المعنيين، وردود فعل البائع ومن أشهدهم على تلك العملة النقدية التـي أثارت دهشتهم "فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضـربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هـذا وجد كنزا فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول أنا من أهـل هـذه البلـدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنـون فحملوه إلى ولي أمرهم..." والمغزى الواضح من تلك القصة الشائقة أن اختلاف العملة النقدية هو الذي عرف أهل المدينة بأمر أهل الكهف وليس مظهر مبعوثهم، ممـا يـدفعنا إلـى استنتاج أن (شكل العملة) يلعـب دورا أكبـر مـن (شـكل

الإنسان) في الدلالة على حقبة زمنية معينة وعلى اختلافهما عما عداها.

والواقع أن ذلك يمكن أن يقودنا إلى نتيجة أخرى ذات أهمية علمية خاصة، وهي إمكانية استخدام العملات النقدية في التصنيف التاريخي والجغرافي، واعتبارها من المؤشرات التاريخية الاقتصادية أيضا. وبناء على ذلك، فإن العملة النقدية المتداولة يمكن أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمجموعة محددة من الأحداث الاجتماعية أو السياسية التي تتم على المستوى المحلي أو العالمي.

وبالقياس على ما سبق، فإن تلك الأحداث المتميزة يمكن أن تستخدم بدورها في التصنيف التاريخي الدقيق، بل إنها يمكن أن تستخدم في الفصل التاريخي بين حقبة سابقة يتم تجاهلها تماما وحقبة زمنية أخرى يبدأ في الاعتداد بها وأخذها وحدها في الاعتبار، وذلك مثلما فعل عمر بن الخطاب ﵁ حيث يرجع إليه الفضل الأول في اختيار يوم الهجرة كبداية للتاريخ الإسلامي (عباس العقاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢١٣).

والواقع أن القصص القرآني للأنبياء، وقصص الصحابة أيضا ذاخرة بالدروس المستفادة في مجال تخصيص الوقت واستخدامه بأسلوب رشيد وفعال، لكننا نفضل الاكتفاء بذلك القدر حتى تتاح لنا أيضا فرصة التعرف على ما يمكن أن يكون قد ورد بالتراث الفكري الإسلامي القديم من أفكار متميزة في المجال المعني. ذلك ما نود إلقاء بعض الضوء عليه في الجزء التالي والأخير من استعراضنا لبعض الزوايا الهامة للوقت وفقًا للمنظور الإسلامي النموذجي.

٧/٣: **الوقت في التراث الفكري الإسلامي**:

في حدود معلوماتنا وما توصلنا إليه من نتائج بحثية في ذلك المجال، لوحظ عدم وجود دراسة موجهة بعينها للبحث في مجال الوقت، وإن تم التعرض إليه، فيكون ذلك كنقطة تعرض – ضمنًا – بين نقاط أو مجالات بحثية أخرى، لذلك فقد وجدنا صعوبة في استنباط نقاط متميزة حول الوقت مما تعرفنا عليه من نماذج الدراسات الفكرية المعنية مثل تلك المتعلقة بابن سينا وأحمد بن علي الدلجي ومحمد بن الحسن الشيباني وجعفر بن علي الدمشقي... إلخ.

ومع هذا، فإن هناك بعض النقـاط ذات التوجيهـات الإرشادية المفيدة حول الوقت التي تمكننا من التقاطهـا مـن مجموعة الدراسات التراثية ونوجزها فيما يلي:

١) **الماوردي**: **التقسيم الاقتصادي للوقت كأسلوب لتحسين كفاءة العمالة**:

والمفكر هنا هو أبو الحسن الماوردي الذي ولد فـي عام ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م في البصرة وعاش في أزهى عصور الثقافة الإسلامية في العصر العباسي الثـاني، وكـان مـن اهتماماته الفكرية كيفية تحسين الكفـاءة الإنتاجيـة للعمالـة وكيفية رفع أدائها. ولقد اعتبر التقسيم الاقتصـادي الرشـيد للوقت من أهم العوامل المساعدة على تحقيق الهدف المنشود. حيث يتضح من فكر الماوردي أنه يجـب إعطـاء العامـل أوقات للراحة في أثناء ساعات العمل اليومية وذلك بالإضافة إلى ضرورة منحه أوقات عطلة دورية. ويرى الماوردي أن المسلم لا يجب أن يكون لديه وقت فراغ بحيث يكون حـرا تماما في كيفية قضائه حتى إن كان ذلك الوقت هـو أوقـات الراحة والعطلة التي دعا بوجوب منحها للعامل. وبناء عليه،

فلم يوصِ الماوردي بأن يستغل العامل أوقات العطلة والتوقف المسموح به عن العمل في اللهو أو في السكون التام (وهو ما يسمى بلغة العصر الاسترخاء)، إنما نصح الماوردي بأن يستغل العامل ذلك الوقت المقتطع من أوقات العمل في تثقيف نفسه وفي زيادة خبراته ومهاراته بتحصيل العلم، حيث إن ذلك يضمن له تطوير مداركه وخبراته باستمرار، وبالتالي فهو يقيه من شر الاستغناء عنه من قبل صاحب العمل طالما أن عطاءه سيكون مستمرا.. ومتجددا. وفي ذلك يقول الماوردي نصا: "فليس كل الوقت وقت اكتساب، فلابد للمكتسب من أوقات استراحة وأيام عطلة. ومن كانت عطلته في تحصيل العلم فقد نجا".

وهو هنا يتفق عرضا – مع الشيباني في رفضه تخصيص كل وقت الإنسان في عملية التكسب فقط؛ وفي ضرورة تخصيص جزء من الوقت لممارسة أنشطة أخرى مفيدة مثل تحصيل العلم (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: زينب الأشوح، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٢) ابن خلدون: خروج الأشياء من القوة إلى الفعل يتطلب زمنًا:

ففي حديث ذلك العالم الموسوعي عن الصناعة وتحليله لما يتعلق بها من جوانب وأبعاد (عبد الرحمن بن خلدون، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣١٥)، أوضح الأهمية البالغة للعلم في تقدم الصناعة في أي مجتمع، وذكر أنه: "على قدر جودة التعليم وملَكَةِ المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته، وأوضح أن تلك الصناعات منها البسيط (وهو ما يختص بالضروريات) ومنها المركب (وهو ما يختص بالكماليات). ونتيجة لارتباط درجة تقدم الصناعة بالتعليم فإن الصناعات البسيطة (المتعلقة بالضروريات) يكون قدر التعليم المرتبط بها (أو القائمة عليه) بسيطًا نسبيا، ويوضح ابن خلدون "كيف أن الزيادة التدريجية في العلم والمعرفة تنتقل بتلك الصناعات تدريجيا إلى الأكثر تركبا وتعقيدا وتقدما، وأن ذلك لا يحدث إلا عبر فترات زمنية ممتدة حيث ينتهي الحال بعد حد زمني فاصل منها إلى انطلاق الصناعة نحو التقدم الراقي الشامل. وفي ذلك يقول ابن خلدون "ولا يزال الفكر يخرج أصنافها

ومركباتها من القوة إلى الفعل، بالاستنباط شيئًا فشـيئًا علـى التدريج، حتى تكمل، ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال، إذ إن خروج الأشياء من القوة إلى الفعـل لا يكون دفعة، لا سيما في الأمور الصناعية، فلابد له إذن مـن زمان".

٣) ابن خلدون: مرحلة الفراغ هي آخر الأطوار الزمنية لاستبداد ذوي السلطان:

ومن ذلك المنظور المتميز، نجد أن ابن خلود يقـرر أن كل دولة تنتقل – عبر الـزمن – إلـى أطـوار مختلفـة وحالات متجددة يتأثر بها أهلها أيضـا فتختلـف أحـوالهم وأخلاقهم تبعا لذلك. وقد قسم أطوار الدولة إلى خمسة أطوار يرى أن الدولة غالبا ما تمر بها: الطور الأول: طور الظفـر والنصر والاستيلاء على الملـك؛ والطـور الثـاني؛ طـور الاستبداد على القوم وانفراد أصحاب الحكم والنفوذ بالملـك. أما الطور الثالث فهو الذي يعنينا حيث يوضح ابن خلدون أنه طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طبـاع البشر إليه مثل الميل إلى تحصـيل المـال وتخليـد الآثـار

والتوسع في الضرائب وتشييد المباني الحافلـة والمصـانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة...

ويتضح لنا أن المقصود مـن كلمـة الفـراغ التـي اعتبرها ابن خلدون مؤشرا على الطور الثالث للدولة يختلف تماما عما اعتدنا فهمه من ذات الكلمة في الأمـور المعتـادة لأن الفراغ هنا لا يعني التوقف عن العمل التكسبي والمعيشي والتحصيلي، بل يبدو أنه يقصد به التفرغ لتحصيل الأمـوال وسلب الممتلكات من الغير بدليل أن ابن خلدون ذكـر فـي نهاية حديثة عن ذلك الطور بأنه: "آخر أطوار الاستبداد مـن أصحاب الدولة، لأنهم في هـذه الأطـوار كلهـا مسـتقلون بآرائهم، بانون لعزهم، موضـحون الطـرق لمـن بعـدهم" (ابن خلدون، المرجع السابق، ص ١٣٩). ويسـتدل علـى صحة ذلك المعنى البديل لمـا تـدل عليـه كلمـة الفـراغ المستخدمة هنا أن ابن خلدون ذكر أنه في الطـور الرابـع يحدث القنوع والمسالمة والاكتفاء بالاقتداء بمن سبقهم بينمـا في الطور الخامس والأخيـر يحـدث الإسـراف والتبـذير والتخريب لما تم التفرغ لجمعه وحصاده بشكل مكثـف فـي

الطور الثالث مما يؤدي إلى نهاية الدولة وتـدهور أحـوال مواطنيها.

٤) **الراغب الأصفهاني**: **الفراغ معول هدم للكيان البشري الصحيح**:

هذا العالم عاش في القرن الخامس الهجـري بـين أصفهان وبغداد وكان من أئمة السنة ومن أهم كتبه الذريعـة والمفردات (شوقي دنيا، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الكتاب الثالث، ص ١٩). وقد ورد ذكره للأثر السلبي لوقت الفـراغ فـي معرض حديثه عن البطالة واستهجانه لها لاعتبارهـا أمـر متعارض مع الفطرة الإنسانية وقد ربط مـا بـين حـدوث البطالة وبين مفهوم (الفراغ) الذي اعتبره "يبطـل الهيئـات الإنسانية" كما حذر من تكاسل الإنسان وعزوفه عن العمـل والنشاط لأن في ذلك تعطيل لقدرات الأعضاء البشرية عـن أداء وظائفها التي خلقها ا من أجلها، واعتبـر أن العمـل والنشاط فيهما تحريك طبيعي لتلك الأعضاء أمـا التكاسـل والركن إلى الفراغ والراحة فإن ذلك من شـأنه أن يقضـي على كل ما يملك الإنسان ويتمتع به من قدرات وقوى مادية

ومعنوية، ولقد ذكر الراغب في ذم الفراغ واستهجان طلـب الراحة والتحذير من ذلك مقولة مشـهورة يمكـن بحـق أن تصبح قولاً مأثورا سهل التداول بين ألسنة الحكماء حيث كان مما قال في هذا الشأن: "وأن من تعود الكسـل ومـال إلـى الراحة، فقد الراحة" (شوقي دنيا، المرجع السابق، ص ٣٧).

٥) **أقوال مأثورة عن أهمية الوقت**:

وعلى ذكر كلمة الأصفهاني التي انتهينـا بعرضـها توا، نود أن نختم ذلك العرض المـوجز بـبعض الأقـوال الموجزة للسلف الصالح، والتـي يمكـن أن تنطـوي علـى إشارات وإرشادات فعالة حول الوقت أكثـر قيمـة وأعمـق مغزى مما قد يشار إليه في صفحات متعددة.

- في الأثر: أن نوحا ﷺ جاءه ملك الموت قـائلاً: يا أطول الأنبياء عمرا: كيف وجدت الدنيا؟ فقالـك وجـدتها كأنها لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

- "إن حقا بالنهار لا يقبله بالليل، و حق بالليـل لا يقبله بالنهار" (أبو بكر الصديق).

- "إني لأكره أن أجد أحدكم سبهللاً، لا فـي عمـل الدنيا، ولا في عمل الآخرة" (عمر بن الخطاب).

- "يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك" (الحسن البصري).

- "أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه" (الحسن البصري).

ويقصد بذلك القول الرائع: أن العمر إذا ضاع فات ولم يعد ولا يمكن تعويضه، عكس الدرهم إذا ضاع يوما وارتحل، فيمكن له أن يعود ويتم تعويضه.

- "والوقت أنفس ما عنيت بحفظه... وأراه أسهل ما عليك يضيع" (الوزير ابن هبيره).

- "إذا مضى يوم ولم أطلع يدا... فما ذاك من عمري" (غير معروف اسم قائله).

ويقصد بذلك أنه إذا جاء على المرء يوم ولم يضع فيه معروفًا أو يزداد علما، فهو يوم غير محسوب من عمره.

- "إضاعة الوقت من علامات المقت" (غير معروف اسم قائله).

(الأقوال السابقة مأخوذة من كتاب الوقت بين حرص السلف وتفريط الخلف لأبي محمد البيلاوي).

ونريد أن نختم تلك الأقوال المأثورة بمسك فاح من قول لعمر بن الخطاب، حيث يتضح من كلماته الموجزة المعبرة بعض الإرشادات الهامة لقضاء وقت الفراغ بشكل إيجابي فعال حيث كان هو دائما يفعل، فقد كان يهتم بممارسة الرياضة والمصارعة والفروسية بالإضافة إلى تفقده بنفسه لأحوال الرعية وسعيه في مساعدتهم (عباس العقاد، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢١٣).

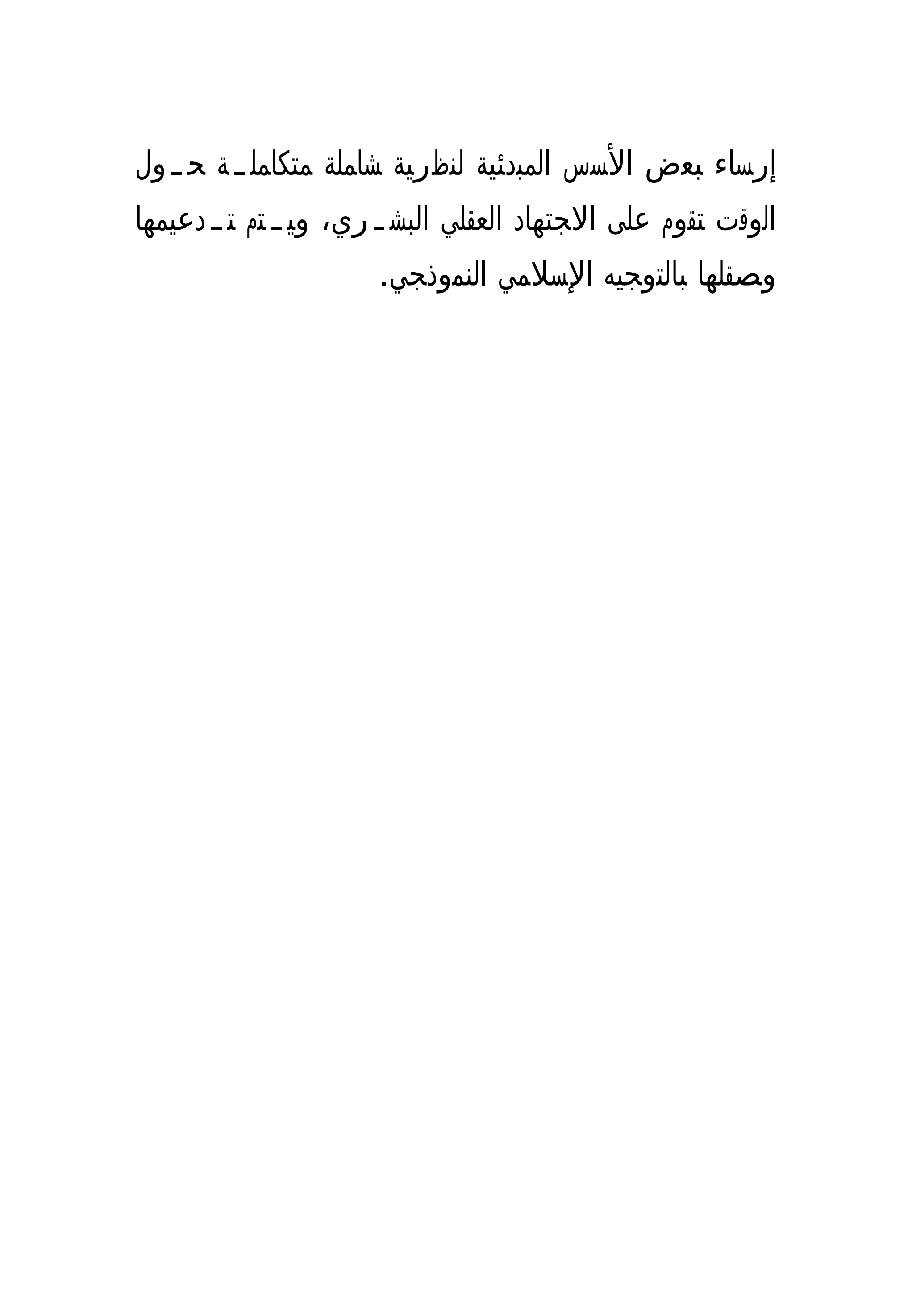
ففي كيفية قضاء وقت الفراغ يقول عمر بن الخطاب ﵁:

"علموا أولادكم السباحة والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر"، كما يقول: "لن تخور قوى مادام صاحبها ينزع ويغزو" (أي يرمي بالقوس، ويركب ظهر الخيل بغير ركاب)، (عباس العقاد، المرجع السابق، ص٢١٣).

وبعد أن انتهينا من تقديم المنظورين الوضعي والإسلامي لعنصر الوقت وتوضيح كيفية معالجة كل من الجانبين له، أصبح من الواضح – بما لا شك فيه – أن الوقت لا يمثل أساسا لحياة الإنسان فحسب. بل إنه يمثل

أيضا روح العلم الشامل؛ وجوهر النظرية الاقتصادية ومـا يتشعب منها من قـوانين وفـروض ومسـلمات وسياسـات وغيرها من أبعاد وجوانب ومكونات، وقد لا نكون مبـالغين إذا قررنا أن الوقت وكيفية تخصيصه واستغلاله يعتبر أحـد المؤشرات الجوهرية التي تفصل ما بين مجموعـة الـدول المتقدمة (التي تحسن استغلاله)، وبين الدول المتخلفة (التـي تجهل أهميته أساسا)، وكذلك فهو يفصل مـا بـين الفئـات البشرية المادية (الذين يركزون استغلالهم للوقت على الأمور المادية والدنيوية فقط)، والفئات البشرية ذات الصلات الوثيقة بخالقهم عز وجل (حيث يعتبرون وقت العبادات من أساسيات حياتهم).

وقبل أن نوصي بإعادة النظر فـي كـل النظريـات الاقتصادية، بل والنظريات العلمية علـى إطلاقهـا وإعـادة ترتيبها بعد إدخال الوقت كعامل مشترك حتمي في مكونـات أي منها، نود أن نبدأ توا في الجزء الختامي التالي بمحاولـة لاستنباط بعض القواعد والفروض والمسلمات التي يمكن أن نشتقها مما تم عرضه وتقديمه عبـر الصـفحات الماضـية، آملين بذلك تقديم بعض اللبنات التي يمكـن أن تسـاهم فـي



إرساء بعض الأسس المبدئية لنظرية شاملة متكاملـة حـول الوقت تقوم على الاجتهاد العقلي البشـري، ويـتم تـدعيمها وصقلها بالتوجيه الإسلامي النموذجي.

خاتمة، وبعض التصورات المقترحة: رؤية وضعية منقحة بالتوجيه الإسلامي

بالرجوع إلى كل ما تم سرده حول الوقت والجوانب والمتضمنات المتعلقة به، أصبحنا نتصور كل إنسان بشـري وكأنه سجل يتكون من صفحات بيضاء تمثل عـدد لحظـات عمره على أرض الحياة الدنيا؛ حيث يصبح لزاما على كـل إنسان أن يملأ تلك الصفحات البيضاء الفارغة. ولاشك فـي أن كل شخص سوف يختلف عن الآخر في كيفية ملء تلـك الصفحات، وفي الزمن الذي سيستغرقه من أجل إتمام ذلـك العمل. وقد نجد كثيرا من الكسـولين أو المهملـين دائمـي التأجيل لعملية ملء الفراغات المستهدفة في صفحات حياتهم، أو أنهم يتركون كثيرا من تلك الصفحات بيضاء كما هي كلها أو في مساحات متفاوتة منها؛

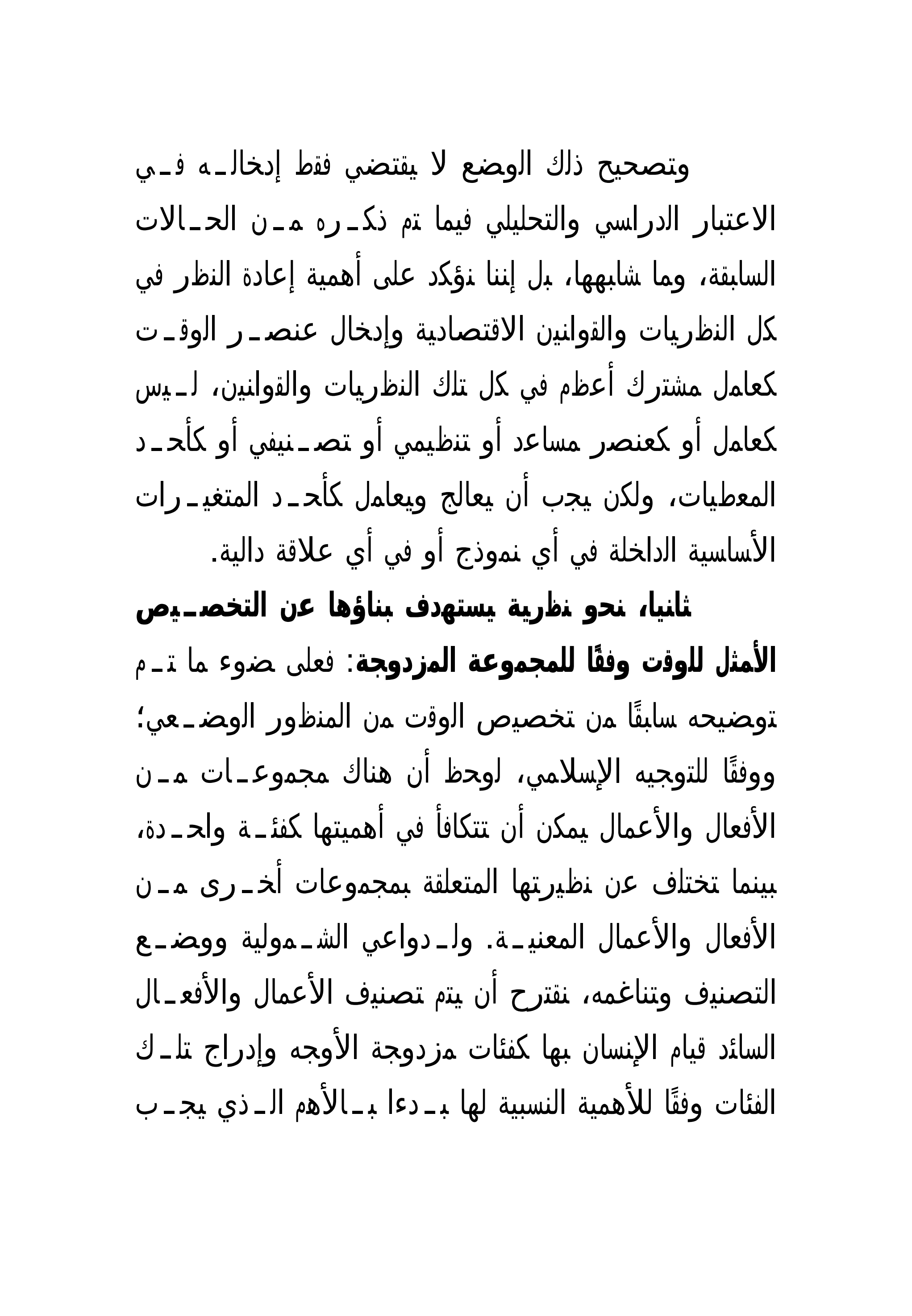
كما أن بعض العازفين عـن الإبـداع أو بـذل أي مجهود ذي قيمة إيجابية يمكن أن يلجـأ إلـى (الشـخبطة) العشوائية باعتبارها أسرع وأسهل وسيلة لملء تلك الصفحات بدون بذل أي مجهود في تهذيب وتنقيح ما يفعل. فكل همـه هو إعفاء نفسه من مغبة اللوم والعتاب لعدم إنجاز المطلوب منه.

وبالاقتراب بشكل أكبر من أرض الواقـع الحقيقـي، وتطبيق تصورنا الخيالي على ما يمكنه أن يحدث عليها مـن قبل البشر. يمكن أن نقول أن لكل إنسان بشري كتاب يخصه حيث تسجل فيه كل أعماله وسلوكياته **وكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمنَـاه طَائِره فِي عنُقِهِ ونُخْرِج له يوم الْقِيامةِ كِتَابا يلْقَاه منْشُورا * اقْرأْ كتَابك كَفَى بِنَفْسِك الْيوم علَيك حسِيبا** (الإسراء: ١٣، ١٤). ولن يستطيع أي إنسان الإفلات من المحاسبة على مـا تم تسجيله في كتابه هذا من كل صغيرة وكبيرة فـي حياتـه **ما لِهذَا الْكِتَابِ لاَ يغَادِر صغِيرةً ولاَ كَبِيـرةً إِلاَّ أَحصـاها** (الكهف: جزء من الآية ٤٩).

وعلى الرغم من عدم وجود نظرية علمية مخصصة بعينها للوقت، خاصة في مجال الدراسات الاقتصادية؛ إلا أن

العرض السابق يكشف عن كنوز فكرية حول ذلك العنصـر الجوهري في حياة الإنسان، تصلح لتوفير ركائز وأسس لعدد من النظريات المختلفة المتعلقة بالوقت. وفيما يلـي، بعـض التصورات المقترحة حول النظريات التي يمكـن صـياغتها ونسج مكوناتها في مجـال الوقـت، استرشـادا بالتوجيـه الإسلامي ذي الطبيعة النموذجية، وذلك على ضوء مـا تـم سرده إجمالاً من بيانات ومعلومات.

أولاً، بالرجوع إلى ما تم عرضه في تلـك الدراسـة الجارية، اتضح أن الوقت لم يأخذ حظه بالدراسة المتعمقة في علم الاقتصاد كأحـد المتغيـرات الداخلـة فـي العلاقـات الاقتصادية الدالية المعروفة (كما في حالة استبعاده، بل وعدم التعرض له على الإطلاق كأحـد العوامـل المـؤثرة علـى العرض والطلب)؛ وتم تجاهله – خطأ – باعتبـاره ضـمن مجموعة عوامل الإنتاج المتعـارف عليهـا فـي العـرف الاقتصادي (الأرض والعمل ورأس المـال والتنظـيم) ولـم يستخدم أبـدا كأحـد مـدخلات أو مخرجـات أي عمليـة إنتاجية...إلخ.



وتصحيح ذلك الوضع لا يقتضي فقط إدخاله في الاعتبار الدراسي والتحليلي فيما تم ذكره من الحالات السابقة، وما شابهها، بل إننا نؤكد على أهمية إعادة النظر في كل النظريات والقوانين الاقتصادية وإدخال عنصر الوقت كعامل مشترك أعظم في كل تلك النظريات والقوانين، ليس كعامل أو كعنصر مساعد أو تنظيمي أو تصنيفي أو كأحد المعطيات، ولكن يجب أن يعالج ويعامل كأحد المتغيرات الأساسية الداخلة في أي نموذج أو في أي علاقة دالية.

ثانيا، نحو نظرية يستهدف بناؤها عن التخصيص الأمثل للوقت وفقًا للمجموعة المزدوجة: فعلى ضوء ما تم توضيحه سابقًا من تخصيص الوقت من المنظور الوضعي؛ ووفقًا للتوجيه الإسلامي، لوحظ أن هناك مجموعات من الأفعال والأعمال يمكن أن تتكافأ في أهميتها كفئة واحدة، بينما تختلف عن نظيرتها المتعلقة بمجموعات أخرى من الأفعال والأعمال المعنية. ولدواعي الشمولية ووضع التصنيف وتناغمه، نقترح أن يتم تصنيف الأعمال والأفعال السائد قيام الإنسان بها كفئات مزدوجة الأوجه وإدراج تلك الفئات وفقًا للأهمية النسبية لها بدءا بالأهم الذي يجب

تخصيص نسبة أكبر من وقت الإنسان له فالأقـل، فالأقـل أهمية وذلك كما يتضح من التصنيف التالي:

١) أداء الفروض التعبدية/ العمل من أجل التكسـب الضروري: وجهان لعملة واحدة أساسية بالدرجة الأولى فـي أولويات وقت الإنسان، فبدون تحقق الوجـه الأول يعاقـب الإنسان ويتعرض للهلاك الأخروي، بينما يتعرض المقصـر في إنجاز متطلبات الوجه الثاني لمخاطر الهلاك الدنيوي.

٢) الطعام والشراب؛ الحاجات الشخصية والنظافة؛ النوم/ رعاية أفراد الأسرة خاصة صغارها: كلها ضرورات لا يمكن تجاهلها، ولابد أن تتزامن مع الفئة السـابقة بحيـث يمكن تخصيص وقت أساسي كافٍ وشبه ثابت لها جميعا، مع ضرورة توزيع ذلك الوقت فيما بين تلك البنود المختلفة على أساس النسبة والتناسب وفقًا للمتطلبات الزمنية المتباينة فيمـا بينها.

٣) التواصل مـع الغيـر/ وأداء النوافـل: فتلـك المجموعة من الأفعال ضرورية في حياة الإنسان ولكنها أقل في درجة إلحاحهـا مقارنـة بـالمجموعتين المـزدوجتين المدرجتين سابقًا. وفي نفس الوقت فإن العنصرين المدرجين

في الفئة المزدوجة الحالية لهما نفس الدرجة المتكافئـة مـن الأهمية. فالتواصل مع الناس مثل صلة الرحم والسعي فـي مساعدة الناس وأداء أمورهم يساعد الإنسان فـي الاحتفـاظ التوازني الطبيعي في الحياة كإنسان (اجتماعي بطبعه). أمـا أداء النوافل فهو ضروري لتدعيم الفروض ولتعويض ما قد يحدث من نقص وقصور في أدائها كلها أو بعضها، كمـا أن ذلك يتيح للإنسان فرصة تحسين موقفه الأخروي.

٤) ممارسات لتحسين القدرات/ اللهـو والترفيـه الإيجابي: حيث يتمثل الشق الأول في كل ما يمكن أن يفعلـه الإنسان بشكل يساهم في ممارسة أنشطة رياضـية مختلفـة، أو ممارسة هوايات أخرى بناءة كالأعمـال الفنيـة المفيـدة والتعليم والثقافة والاطلاع... أما الشق الثاني فيتكافـأ مـع الأول في الأهمية لأنه ينطوي على ذات الأهميـة التأثيريـة وإن كان ذلك يحدث في تلك الحالة بشكل مختلف حيث يقوم الإنسان هنا بممارسة سلوكيات ترفيهية مباحة على نحو مـا تم توضيحه من قبل.

وبطبيعة الحال، فإنـه يمكـن إضـافة مجموعـات ازدواجية أخرى على نفس النهج السـابق بشـرط الالتـزام

بثلاثة شروط أساسية؛ أولها أن يكون كل ما يدرج متوافقًا مع المنظور الشرعي وضوابطه وأحكامه؛ ويتمثل ثانيها فـي أن يكون ذلك من الأمور الإيجابية الدافعة للإنسان قدما إلى دنيا التقدم والسعادة؛ مع ضمان المحافظة على الوضع التـوازني الاجتماعي للإنسان مع غيره من البشر والمخلوقات كشـرط ثالث.

ثالثًا: نحو نظرية اللهو والترفيه المباح؛ أو نظريـة الفراغ المشغول؛ أو نظرية الفراغ غيـر الضـائع: فكمـا لاحظنا من العرض السابق، نجد أن هناك تباينًا كبيـرا فـي رأي العلم الوضعي الذي ينظر إلى وقت الفراغ علـى أنـه وقت (حر) يمكن للإنسان أن يقضيه وفقًا لأهوائه ورغباتـه الشخصية البحتة بشكل مطلق، بينما يعتبر ذلك الوقـت فـي نظر الإسلام جزءا لا يتجزأ من وقت الإنسان الإجمالي الذي سيحاسب على ما يفعله في خلاله.

غير أننا يمكن أن نستنبط قاعدة مشتركة يقبلها كـل من المنظورين ويمكن أن تستخدم كإحدى مسلمات النظريـة المعنية في مقامنا الحالي، تلك القاعدة هي: أن الفرد حر في كيفية توزيع الوقت المتاح له (المتبقي بعـد وقـت إنجـاز

الضرورات) بين الأوجه الإيجابية (فقط) لاستثماره، لكنه ليس حرا في إهدار ذلك الوقت المتاح أو في تعدي الضوابط الشرعية والقوانين التشريعية التي تمثل حدودا صارمة يجب على المرء ألا يتخطاها و إلا انتقل به الحال إلى الوجه العقيم أو السلبي لكيفية قضاء الوقت واستغلاله. وتنطبق تلك القاعدة على كل الوقت المتاح للإنسان متضمنًا ما قد يتاح له من وقت فراغ.

وهناك مسلمة أخرى لابد من الاعتراف بها وإقرارها وهي تتمثل في "أن وقت الفراغ هو جزء من الموارد الاقتصادية النادرة ذات الأهمية البالغة في حياة الإنسان". وذلك استرشادا بالحديث الشريف: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٦٧٧٨). وبناء عليه، فلابد من إدراج ذلك الوقت في قائمة المتاح الكلي للإنسان من وقت يتمثل أصلاً في سنوات عمره ولحظاتها، وبالتالي يجب على الإنسان أن يدرج ذلك النوع من الوقت في قائمة توزيعاته وتخصصاته للوقت الكلي بين الاستخدامات المختلفة.

وعلى ضوء ما سبق، فإن أي جزء مقتطع من ذلك النوع من الوقت يتم قضاؤه بشكل سلبي أو في اللاشيء يجب أن يعتبر وقتًا (ضائعا) مثله في ذلك مثل الحال في معالجته بالنسبة للوقت التكسبي تماما. فالفراغ في الإسلام لا يعني أبدا خلو من المسئوليات والتكليفات والسلوكيات والأنشطة الإيجابية، إنما يعني كيفية قضاء الوقت المتبقي (بعد المخصص بصفة أولوية وأساسية للضروريات المعيشية والحياتية من عبادات ومستلزمات المحافظة على النفس) بشكل إيجابي وفعال ودافع للنفس وللآخرين وبحيث يساهم بفعالية في تحسين أحوال الفرد والآخرين وفي مساعدتهم على القيام بالرسالة الأساسية للتواجد على الأرض وهي التعبد إلى ا والخلافة القويمة على الأرض بمن فيها.

رابعا: نحو نظرية الوقت الفعال؛ والوقت العقيم/ السلبي: واستطرادا للنقطة السابقة فإنه يجب التمييز بين صنفين رئيسيين من وقت الإنسان، وقتًا فعالاً يتم قضاؤه في إنجاز عمل أو فعل يتيح للإنسان فرصة تحسين أحواله الدنيوية أو فرصة زيادة ميزان حسناته الأخروية؛ ووقتًا عقيما أو سلبيا سيحاسب الإنسان ويعاقب عليه بدرجات

متفاوتة لأنه في حالة عدم إنجازه لأي شيء مفيد يكون بذلك قد أهدر جزءا من المتاح له من مورد الوقت، أما إن قضـى بعض وقته في القيام بأعمال سلبية (عادة منحرفة) فتصـبح المصيبة أعظم، والإنسان في تلك الحالة ليس مخيـرا فـي العمل أو عدم العمل في أثناء أوقات حياته، بل هـو مـأمور بالعمل في كل لحظة يستطيعها وذلك كما أوضحنا في جـزء سابق عملاً بالحديث الشريف الذي يوضح أن الإنسان يسـأل عن كل لحظة في عمره كيف قضاها (عن عمره فيما أفناه).

وكما ذكرنا عاليه، فإن أي وقت لا يتم قضاؤه بشكل إيجابي يصبح وقتًا ضائعا يحاسب عليه الإنسان، وقد اقتـرح العالم "نابيج" استخدام (الساعة الدقيقة) لتدنية الوقت الضـائع (الذي يرفضه العلم الوضعي أيضا ولكن رفضه هنا يقتصـر على الوقت المتعلق بالعمل التكسبي)، بينما يقدم لنا الحـديث النبوي الشريف مؤشرا أفضل وأكثر دقـة لتحديـد الوقـت الضائع ويؤكد على ضرورة تدنيته إلى الصـفر طالمـا أن الإنسان سوف يسأل عن (عمره فيم أفناه) وعن (شبابه فـيم أبلاه).

وبناء على ما سبق، فإن نظرية الوقت الفعال والوقت العقيم المقترحة تقوم على عدة مسلمات لا جدال فيها أولهـا يتلخص في أن كل لحظة من عمر الإنسان إما أن تحسب له (في حالة قيامه فيها بأي عمل أو سلوك أو نشـاط إيجـابي وفعال له وللآخرين)؛ أو أن تحسب عليه (وذلك فـي حالـة تفويتها بدون القيام بما سبق، أو في حالة قضائها في أمـور سلبية أو ضارة بالذات أو بالآخرين مثل الإدمـان أو اللهـو غير المباح).

أما المسلمة الثانية فتقوم علـى أسـاس أن الوقـت الضائع لا يشمل فقط الإجازات وأيام العطلة المقتطعـة مـن وقت العمل الرسمي أو التكسبي الخاص (كما يتضـح مـن المنظور الوضعي المبين في ٢/ ٤ من الدراسة الحالية)؛ لكن يجب أن يتم أخذ كل الأوقات التـي يحياهـا الإنسـان فـي الاعتبار. مع ضرورة مراعاة تباين الظروف والحالات التي يمكن أن تؤثر على نمطية قضاء الوقت والأشكال المختلفـة له، وذلك نتيجة للاخـتلاف فـي النـوع والسـن والحالـة الاجتماعية والحالة الصحية والحالة الذهنية إلى آخـره مـن العوامل الخارجية التي يمكن أن تتداخل في تأثيراتها علـى

كيفية تخصيص الوقت وقضائه من ناحية، وعلى درجات محاسبة الإنسان على ذلك من ناحية أخرى.

وهناك أيضا مسلمة ثالثة تعتبر الوقت إيجابيا طالما قضاه الإنسان في إنجاز عمل أو سلوك مفيد ليس فقط للذات أو لغيره من البشر، بل حتى إن كان ذلك العمل أو السلوك مفيدا للكائنات الأخرى النافعة، حتى مع الحيوانات التي يعتقد أنها جماد مع أنها تشعر وتتفاعل ولكن على طريقتها الخاصة. ويستدل على ذلك بقصة دخول مسلم من السابقين الجنة نتيجة عطفه على كلب ضال ظامئ وتقديم الماء إليه في خفه أو في حذائه.

خامسا: نحو نظرية الوقت المميز: فقد اتضح مما سبق أن هناك وقتًا مميزا من اليوم إما في الصباح الباكر أو في آخر الليل. واعتبر أصحاب ذلك الرأي (جيتيندرا ميشرا Jitendra Mishra وبرابها كرا ميسرا Prabhakra Misra). أن ذلك الوقت المميز في خلال اليوم الواحد يقدر بنحو ساعة أو ساعتين حيث يمكن للإنسان في خلاله القيام بأكثر الأعمال والمهام أهمية وارتباطًا بأهدافه الجوهرية.

والواقع أن هذين العالمين لم يأتيا بجديد، حيث إن الإسلام قد سبقهما بالإشارة إلى وجود ذلك الوقت المميز الذي يكون في الفجر (في الصباح الباكر) وفي النصف الأخير من الليل (في آخر الليل) كما ذكر المؤلفان. ولقد شجع الإسلام على الاستيقاظ والتعبد في الثلث الأخير من الليل حيث ينزل ا سبحانه وتعالى للعباد ويستجيب لأدعيتهم، بينما حث الإسلام على ضرورة المحافظة على أداء صلاة الفجر وجعلها (قرآنًا مشهودا). وكما اتضح مما عرضناه في هذا الصدد فإن يوم المسلم عادة ما يبدأ بعد أداء تلك الصلاة الفاتحة ليوم جديد، حيث إن أفضل وقت مميز للبدء في النشاط الشاق أو التكسبي هو الصباح الباكر وذلك استرشادا بالحديث الشريف: "بورك لأمتي في بكورها" (صحيح الجامع الصغير، جـ ١، ٢٨٤١).

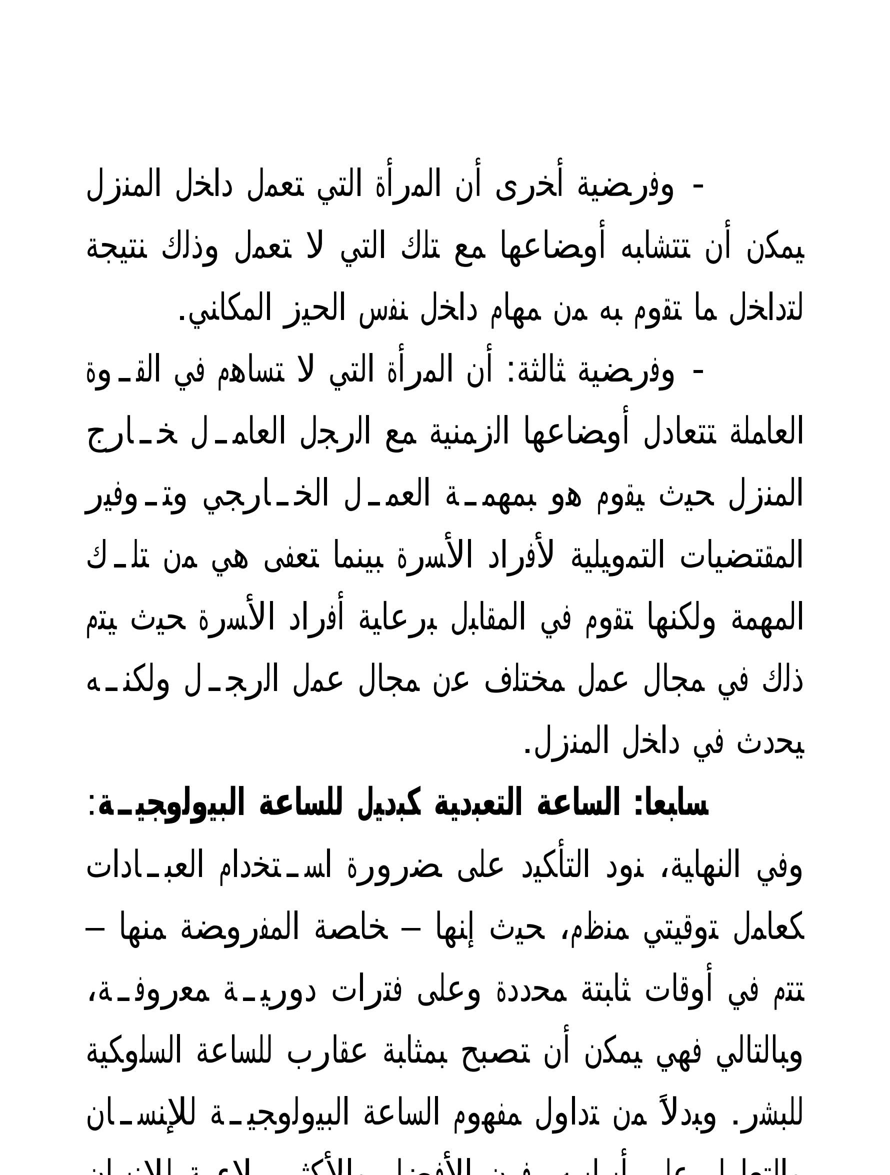
وبناء على ما سبق، نؤكد على أهمية صياغة نظرية زمنية شاملة يمكن أن يطلق عليها نظرية الوقت المميز أو المتميز، بحيث تشمل النوع المتميز من الأوقات ليست فقط الموجهة للعمل التكسبي أو التعليمي، ولكن أيضا للتعبد وللنوم وللترفيه وللتواصل مع الآخرين... إلخ.

وبكلمات أخرى، فإن النظرية المقترحة هنا، يجب أن تقوم على أساس شمولية أعمال الإنسان الجـادة والترفيهيـة وتوزيع وقت الإنسان بين تلك الأعمال المختلفة وفقًا للوقـت المميز المناسب لكل فئة متميزة من تلك الأعمال، وبالرجوع إلى طيات البحث يمكن العثور على أصـناف أخـرى مـن الوقت المميز لبعض الأنمـاط الأخـرى مـن السـلوكيات والأفعال.

سادسا: نحو نظرية الوقت النسائي: وهنا نوصـي بشدة بأن تتم صياغة نظرية منفردة تتعلق بمعالجـة الوقـت المرتبط بالمرأة حيث إن المرأة تعيش وضعا مختلفًا – فـي الحالات الطبيعية – عن نظيره بالنسبة للرجـل. ويجـب أن تقوم تلك النظرية على عدة مسلمات تتمثل في:

- أن المرأة يجب أن تخصص الوقت الأساسي فـي حياتها لرعاية أسرتها وزوجها:

وتقوم تلك النظرية على افتراض أن المرأة العاملـة تحظى بوقت فراغ أقل ممـا يحظـى بـه الرجـل نتيجـة لأخطبوطية المهام التي تلتزم بالقيام بها في ثـلاث قنـوات: العمل المنزلي؛ رعاية أفراد الأسرة؛ والعمل خارج المنزل.



- وفرضية أخرى أن المرأة التي تعمل داخل المنزل يمكن أن تتشابه أوضاعها مع تلك التي لا تعمل وذلك نتيجة لتداخل ما تقوم به من مهام داخل نفس الحيز المكاني.

- وفرضية ثالثة: أن المرأة التي لا تساهم في القـوة العاملة تتعادل أوضاعها الزمنية مع الرجل العامـل خـارج المنزل حيث يقوم هو بمهمـة العمـل الخـارجي وتـوفير المقتضيات التمويلية لأفراد الأسرة بينما تعفى هي من تلـك المهمة ولكنها تقوم في المقابل برعاية أفراد الأسرة حيث يتم ذلك في مجال عمل مختلف عن مجال عمل الرجـل ولكنـه يحدث في داخل المنزل.

سابعا: الساعة التعبدية كبديل للساعة البيولوجيـة:

وفي النهاية، نود التأكيد على ضرورة اسـتخدام العبـادات كعامل توقيتي منظم، حيث إنها – خاصة المفروضة منها – تتم في أوقات ثابتة محددة وعلى فترات دوريـة معروفـة، وبالتالي فهي يمكن أن تصبح بمثابة عقارب للساعة السلوكية للبشر. وبدلاً من تداول مفهوم الساعة البيولوجيـة للإنسـان والتعامل على أساسه، فمن الأفضل والأكثر ملاءمة للإنسان وضمانًا لتعظيم منافعه الدنيوية والأخروية، أن تستخدم كبديل

الساعة التعبدية. وما من شك في أن إمكانيـة تنفيـذ ذلـك الاقتراح وتعميم استخدام الساعة التعبدية النموذجية يتوقـف بشكل كبير على النظام الاجتماعي الكلي الذي تتحـدد مـن خلاله أوقات العمل الرسمية، وكذا أوقات الراحـة وأوقـات العطلة الرسمية. حيث إن مثل تلك الأوقات الرسمية يمكن أن تعرقل تطبيق نظام الساعة التعبدية إذا ما كانت تلك الأوقات الرسمية للعمل وللعطلات تتعـارض مـع أوقـات العبـادة الأساسية أو تتجاهلها في عملية التخصيص الملائمة للوقـت وتوزيعه على البنود المختلفة.

نحو نظرية الاستغلال الإيجابي للوقت: وهي تقـوم على مسلمة أساسية تتمثل في أن الاستغلال الإيجابي للوقـت هو ذلك الذي يتم توزيعه بكفاءة بين أربعة قنوات أو أهداف: تقوية البدن، تقوية الروح، تقوية العقـل، وتحسـين الحالـة المعنوية.

وأخيرا، - وليس بآخر – نكرر دعوتنا لعلماء الاقتصاد والباحثين في مجالاته المختلفة بضرورة أخـذ الوقـت كعامـل مشترك أعظم في كل الأبحاث والتحليلات وفي مراعاة المعالجـة الإسلامية النموذجية له.. ولنتذكر جميعنا أن الوقت هو الحيـاة، وأنه مستمر الانقضاء، وأنه لا رجعة لما ذهب منه!

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

كتب

- القرآن الكريم
- أبو زكريا محي الدين يحيي النووي، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (جزءين) الطبعة الثانية، شرح وتحرير محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية، (مصر).
- أبو محمد أنور البيلاوي، بدون تاريخ، الوقت بين حرص السلف وتفريط الخلف، دار الإيمان، القاهرة (مصر).
- أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، رياض الصالحين، محمد الصادق بسيس (محقق)، الطبعة الأولى، المكتبة العتيقة، (تونس)، دار التراث (القاهرة).

- أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، بـدون تاريخ، مختصر منهاج القاصدين، تحقيـق كمـال علي الجمل، مكتبة الإيمان، المنصورة، (مصر).
- إسماعيل بن عمر القرشي البصروي ثم الدمشـقي أبو الفداء عماد الدين بن كثيـر، ١٤١٧ هـ ـ / ١٩٩٦م، تفسير القرآن الكريم، تحقيق وتحرير طه عبد الرءوف سـعد، الطبعـة الأولـى، (أربـع مجلدات)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (مصر).
- الحافظ بن كثير، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، قصـص الأنبياء، عصام الدين الصـبابطي (محقـق)، دار فجر للتراث، القاهرة، (مصر).
- حسن عز الدين الجمل، ١٤١٣ هـ ـ / ١٩٩٣م، الأسماء الحسنى، دار الغـد العربـي، القـاهرة، (مصر).
- دايل تيمب (محرر)، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، إدارة الوقت، ترجمة وليد عبد اللطيف هوانـة، الإدارة العامة للبحوث، معهد الإدارة العامـة، الريـاض، (المملكة العربية السعودية).

- رونالد إيرنبرج وروبرت سميث، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م، اقتصاديات العمل، ترجمة فريد بشير طاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، (المملكة العربية السعودية).
- زينب صالح الأشوح/ ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م، الدليل الشامل إلى الاقتصاد الإسلامي بين البحث النظرية والتطبيق، دار غريب، القاهرة (مصر).
- زينب صالح الأشوح، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م، الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي – نظرة تاريخية مقارنة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (مصر).
- زينب صالح الأشوح، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، في الإنتاج المنزلي تكمن حلول وحلول، الدار الجامعية، الإسكندرية، (مصر).
- سلوى صابر، يناير، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، "تأثير سياسات إعادة الهيكلة الرأسمالية في عمل المرأة"، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٣٥، العدد

الأول، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، (مصر).

- السيد يس (مشرفًا)، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، تخصيص الوقت – دراسة استطلاعية لعينة في الحضر، المرجع السابق.
- شوقي أحمد دنيا، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م، سلسلة أعلام الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى، مكتبة الخريجي، الرياض، (المملكة العربية السعودية).
- صبحي عبد الرءوف عصر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، دار الفضيلة، القاهرة، (مصر)؛ دبي، (الإمارات).
- عباس محمود العقاد، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، عبقرية عمر، نهضة مصر، القاهرة، (مصر).
- عبد الخالق فاروق، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، اقتصاديات الوقت الضائع، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، (مصر).

- عبد الرحمن بن خلدون، ١٤١٣ هـ ـ / ١٩٩٣م، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميـة، بيـروت (لبنان).
- عبد المقصود محمـد سـالم، جمـادى الآخـرة ١٤١٥هـ / نوفمبر ١٩٩٤م، في ملكوت ا مع أسماء ا ، الطبعة الثالثة عشرة، دار جماعة تلاوة القرآن الكريم، القاهرة، (مصر).
- عصام الصبابطي، حازم محمـد، عمـاد عـامر (محققون)، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، صحيح مسـلم بشرح النووي، الطبعة الأولى، (تسـعة أجـزاء)، دار الحديث، القاهرة، (مصر).
- علا مصـطفى أنـور، ١٤١٩ هـ ـ / ١٩٩٨م، "تخصيص الوقت في الإطار العالمي"، تخصـيص الوقت – دراسة استطلاعية لعينة فـي الحضـر، المرجع السابق.
- ليلى عبد الجواد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م، "منهجية البحث"، تخصيص الوقت – دراسـة اسـتطلاعية لعينة في الحضر، برنامج بحوث تقديم السياسـات

الاجتماعية، بحث السياسة الثقافية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، (مصر).
- محمد سلطان أبو علي وهناء خير الـدين، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م، الأسعار وتخصـيص المـوارد، الطبعة الرابعة، بدون ناشر، القاهرة (مصر).
- محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤١١ هـ ـ / ١٩٩١م، المعجم المفهرس لألفـاظ القـرآن الكـريم، دار المعرفة، بيروت، (لبنان).
- محمد ناصـر الـدين الألبـاني، ١٤٠٨ هـ ـ / ١٩٨٨م، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفـتح الكبير)، تحرير زهيـر الشـاويش، (مجلـدين)، المكتب الإسـلامي، بيـروت (لبنـان)، دمشـق (سوريا).
- محيا زيتـون، ينـاير، ١٤١٩ هـ ـ / ١٩٩٨م، "أوضاع المرأة العاملة فـي القطـاعين الرسـمي وغير الرسمي"، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٣٥، العـدد الأول، المركـز القـومي للبحـوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، (مصر).

- نجم عبود نجم، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م، نظام الوقت المحدد، إدارة البحوث والدراسات، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، (مصر).

دوريات

- زينب صالح الأشوح، ذو القعدة ١٤٢٣ هـ / يناير ٢٠٠٣م، "من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة"، مجلة الأزهر، الجزء (١١)، السنة (٧٥).
- منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م، "المسح الشامل للمجتمع المصري"، مجلد الأسرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة (مصر).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Books

- Arthur L. Hayward & John J. Sparkes, ١٩٨٩٥, The Concise English Dictionary, Omega Books, London, U.K.
- Gayle G., and Griffiths M., ١٩٨٤, Program Activities For Improving Weaning Practices, Report Prepared for UNICEF: American Public Health Association, Washington, U.S.A.
- Graham Bannock, Ray Rees, The Penguin Dictionary of Economics, ١٩٨١, Middlesex, England, New York, U.S.A.
- Harold L. Vogel, ٢٠٠١, Entertainment Industry Economics, Combridge University Press, Cambridge, U.K.
- John Hassard (ed.), ١٩٩٠, The Sociology of Time, Macmillan Inc., London, U.K.
- Robert Allen, ١٩٨٩, "Leisure: The Purpose of Life and The Nature of

Philosophy in the Philosophy of Leisure", in: Tom Winnifrith and Cyrill Barrett (eds.), Macmillan Press, London, U.K.

- Steven Ten Have, Wanter Ten Have, Frams Stevens, Marcel Van der ELST and Fiona Pol – Coyne, ٢٠٠٣, Key Management Models, ١st edition, FT Prentice Hall, Financial Times, London, New York and many other places.
- Tom Winnifrit & Cyril Barrett (eds), ١٩٨٩, Leisure and Human Needs, London, Macmillan Press, U.K. PP ٣٤ – ٤٩.

Periodicals

- Davanzo J. and Donlad L. ١٩٨٣, "The Comptability of Child Care With Market And Nonmarket Activities: Preliminary Evidence from Malaysia", in Buvinic, Lycette and Mc Greevy, (eds), Women And Poverty in the Third World, Johns Hopkins University Press, Baltimore.

- King E. and Robert E., ١٩٨٣, "Time Allocation And Home Production in Phillippine Rural Households" in Buvinic, Lycette and Mc Greevey, (eds), Woman and Poverty in The Third World, Johns Hophins University Press, Baltimore.
- Paolucci Garry, ١٩٩٦, "The Chaning Dynamics of Working Time", Time and Society, ٥, ٢.
- John Urry, ١٩٩٤, "Lesireu and Social Identity", Time and Society, ٣،٢.
- Barry Popkin, (١٩٨٠), "Time Allocation of The Mother And Child Nutrition", Ecology of Food And Nutrition, Gordan and Breach Science Publishers Inc, ٩., London.
- Harvry A.S & Scotia H. N., "Time – Use Studies: A Tool for Macro and Micro Economic and Social Analysis", Social Indicators Research, No. ٣٠.
- Wray J. and Auirre A., ١٩٦٩, "Protein – Calorie Malnutrition in: Caudelaria,

Colombia", Journal of Tropical Medicine, ١٥, ٣, London.

- Suet – Ling Pong, ١٩٩١, "Time Effect of Women's Labor on Family Income Inequality: The Case of Hong Kong", Economic Development and Cultural Change, The University of Chicago, U. S. A.
- Muhammad Najatullah Siddiqi, ١٩٨٠, "Muslim Economic Thinking A Swrvey of Contemporary literature" in: Khalid Ahmed (ed.), Studies in Islamic Economics, International Center for Research In Islamic Economics, King Aziz University, Jeddah & The Islamic Foundation, U. K.
- Moore GH and Hedges J. N., February ١٩٧١, "Trends in Labor and Leisure", Monthly Labor Review, ٩٤, ٢.
- Barry Papkin and Florentino Solon, August ١٩٧٦, "Income, Time, The Working Mother and Child Nutrition", Environmental Child Health, U. S. A.

- Jablonski M., Kunze K., and Otto P., February ١٩٩٠, "Hours At Work: A New Base for BIS Productivity Statistics, Monthly Labor Review, ١١٣, ٢.